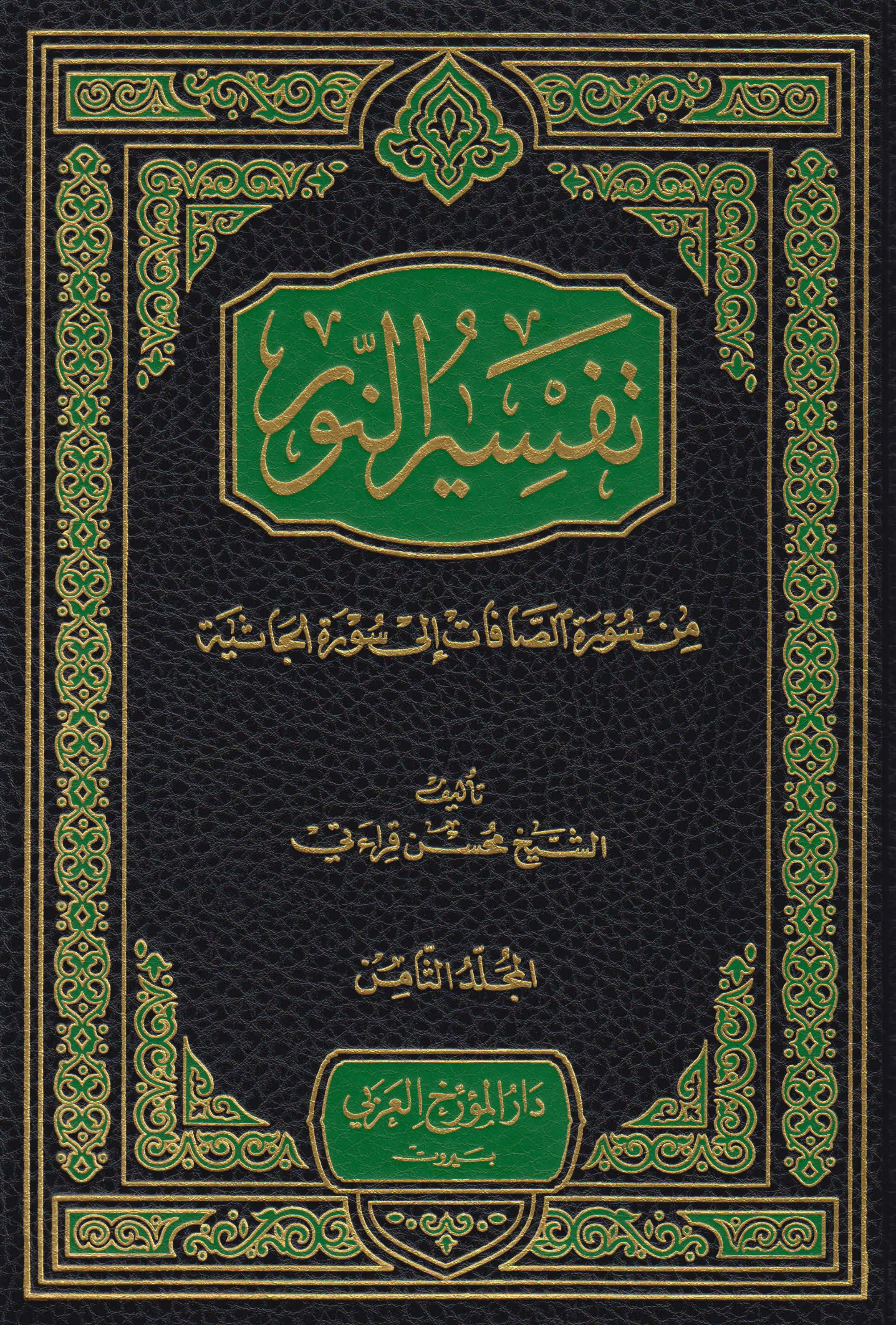
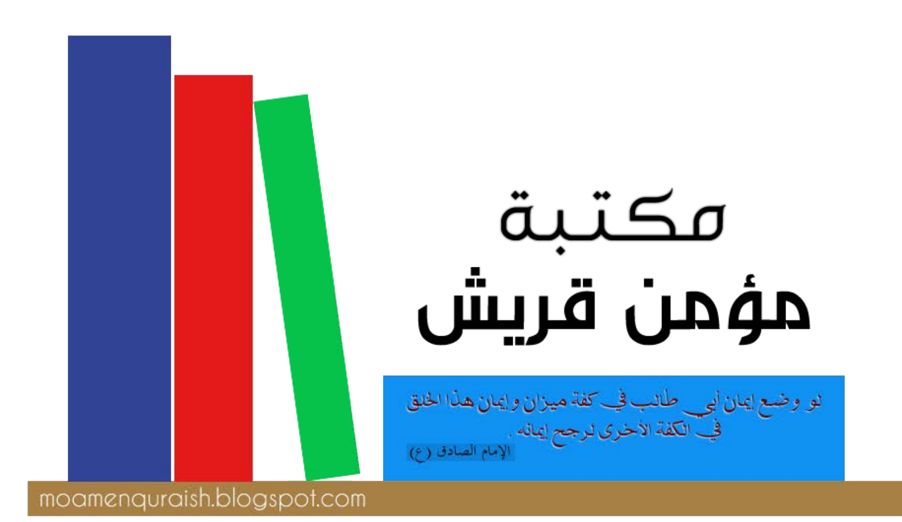


تفسير النور
من سورة الصافات إلى سورة الجاثية
تأليف
الشيخ محسن قراءتي
المجلد الثامن
دار المؤرخ العربي
بيروت


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

تفسير النور



من سورة الصافات إلى سورة الجاثية

تأليف

الشيخ محسن قراءتي

ترجمة

السيد علي الموسوي

مراجعة الترجمة

محمد حسن زراقط

المجلد الثامن

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



طبع هذا الكتاب بالتعاون مع

المركز الثقافي للدروس القرآنية

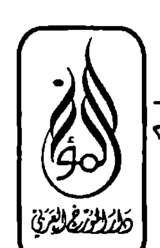


بيروت - حارة حريك - قرب جامع الحسنين - فوق صيدلية دياب - ط ٢

تلفاكس: ٥٤١٤٣١ - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - ص.ب: ١٢٤/ ٢٤

البريد الإلكتروني al_mouarekh@hotmail.com

www.al-mouarekh.com

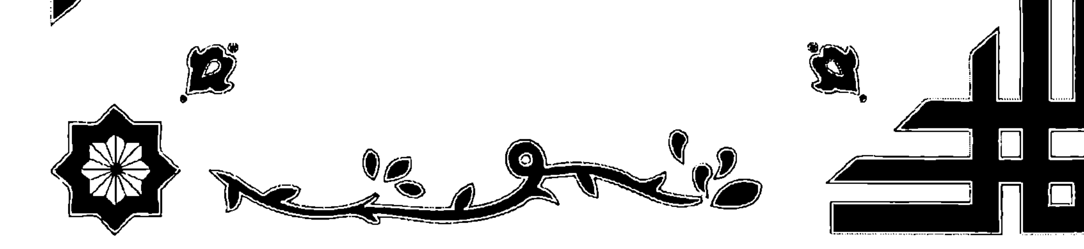




سُورَةُ الصَّافَّاتِ

السورة: ٣٧ الجزء: ٢٣

عدد الآيات: ١٨٢



ملامح سورة الصافات

سورة الصفّات مكيّة وآياتها مئة واثنتان وثمانون.

اسم هذه السورة مأخوذ من أوّل آيةٍ فيها، حيث ورد فيها القسم بالصّافات، وهم مجموعة من الملائكة يقفون صفّاً لتنفيذ الأمر الإلٰهيّ الموجّه إليهم، كما هو الحال في الآية ١٦٥ من هذه السورة أيضاً حيث ورد فيها مفردة «الصَّافون».

وتتشابه هذه السورة في الاسم مع سورة «الصفّ»، والتي تُشير إلى الصفوف المحكَمَة للمقاتلين في ساحة الحرب.

وهذه السورة هي أوّل سور القرآن الكريم التي تبدأ بالقسَم.

وكما هو الحال في سائر السور المكيّة فإنّ أكثر آيات هذه السورة تتحدَّث عن المبدإ والمعاد، وتمتاز بلسان التذكير والإنذار.

كما تُشير هذه السورة إلى تاريخ الأنبياء كنوح، إبراهيم، إسحاق، موسى، هارون، إلياس، لوط ويونس، وقصة إبراهيم عليه السلام هي الأكثر تفصيلاً من بين قصص هؤلاء الأنبياء.

كما تُدين هذه السورة العقائد الباطلة للمشركين في ما يرجع إلى العلاقة بالله عزّ وجلّ وبالجن والملائكة، وتؤكّد أنَّ النصر سوف يكون في النهاية للحقّ على الكفر والشرك والنفاق.

ورد التأكيد على قراءة سورة الصافات في يوم الجمعة، وورد أنّ تلاوتها توجب سعَة الرزق وحفظ المال والولد من الشيطان[١].

(١) تفسير مجمع البيان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾﴾

إشارات

- تبدأ هذه السورة بثلاثة أقسام إلهيّة، والله ﷻ وإن كان غنيّاً عن القسم والمؤمنون مسلّمون لكلامه دون حاجة إلى القسم، ولكن القسم يؤتَى به للدلالة على أهميّة وعظمة المحلوف به والاهتمام به. ولذا يُقسم الله ﷻ في كتابه بأمور عديدة.
- المراد من «الصافّات»، و«الزاجرات»، و«التاليات»، الملائكة المنتظمة في صفوف لتنفيذ الأوامر الإلٰهيّة، فهي التي تزجر الناس عن الوسوسة وتتلو ذكر الله باستمرار؛ نعم، قيل إنَّ المراد من هذه الآيات المجاهدون الذين يقفون في صفوفٍ منتظمة للدِّفاع عن حريم الحقّ ويسعون لتقوية عزائمهم بذكر الله وتلاوة آياته.
- كلمة الزاجرات يمكن أن تكون من الزجر بمعنى المنع، والمراد المنع من الوساوس والمعاصي ويمكن أن تكون من الزجرة بمعنى الصراخ، أي يكون القسَم في الآية بهؤلاء الذين كانوا ينادون بالحق في الناس على مرِّ التاريخ.

التعاليم

١ ـ من الأهميّة بمكان تنظيم الأمور بنحو يخدم الهدف في هذه الحياة (وقد ورد الحديث عن النظم والانضباط في سورتين من القرآن الكريم هما الصافات والصف، وورد القسَم بذلك فيهما)، ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾.

٢ ـ النظام، الوحدة، القدرة، الانسجام الفكريّ والتعاون والتي تتجلّى في الصفّ الواحد هي من خصائص وعلائم العاملين لله، ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾.

٣ ـ لا بدّ من أن تتوافر في المجتمع عوامل تمنع من المعصية وتنهى عن المنكر، ﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا﴾.

٤ ـ لا بدّ لكلّ نظام إلهي أن يستمدّ العون من ذكر الله من خلال تلاوة القرآن، ﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾، والدّفاع عن الحقّ ﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ﴾، على أن يترافق ذلك مع نظم الأمور والجهوزيّة التامّة، ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾.

٥ ـ لا بّد عند القيام بأيّ عمل من أن يكون غاية في الإتقان، وبأفضل نظم ﴿صَفّٗا﴾، وبأفضل القدرات ﴿زَجۡرٗا﴾، وبأفضل ذكر لله ﴿ذِكۡرًا﴾.

٦ ـ أطلِق شعار التوحيد بثبات وإحكام وبلغة بليغة وبديعة قبل أيّ شيء آخر، (ففي هذه الآيات بعد أن بدأ بالقسَم بتناسق جميل جاءت كلمة التوحيد، ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾.

٧ ـ لا نقسم لأيّ شيء، (الأقسام في القرآن الكريم إنّما ترد في القضايا المهمّة والرئيسة كالمبدإ والمعاد). ففي سورة الذاريات وبعد عددٍ من الأيمان يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ﴾(١).

وفي سورة المرسلات وبعد عدد من الأيمان يتعرّض بالحديث عن يوم القيامة، فيقول هناك: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾(٢).

وهنا بعد عدد من الأيمان يأتي الحديث عن التوحيد فيقول تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾ (نعم، لا بدّ في مواجهة من يتمسّك بالشرك بشدّة من الإتيان بالقسَم تلو القسَم).

٨ ـ يرى المشركون فرقاً بين الألوهيّة والربوبيّة لله ﷻ، ولذا جاءت الآية لتؤكّد على أنّهما شيء واحد، ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

٩ ـ الوجود كلّه خاضع للربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

١٠ ـ ليس لكلّ شيء ربٌّ؛ لأنّ ربَّ الوجود كلّه واحدٌ لا شريك له، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

---

(١) سورة الذرايات: الآية ٥.
(٢) سورة المرسلات: الآية ٧.

١١ ـ من أدلّة التوحيد: وحدة نظام السموات والأرض وسائر مخلوقات عالم الوجود، ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

١٢ ـ الأرض كرويّة الشكل؛ (فكلمة المشارق تدل على اختلاف شروق الشمس وغروبها، وفي هذا دلالة على كرويّة الأرض).

١٣ ـ للشمس ونورها دور مؤثّر في حياة الإنسان؛ (فعلى الرغم من كون الشمس جزءاً من السموات؛ ولكنّه جاء على ذكرها في المشارق وذلك للدلالة على أهميّة طلوع الشمس)، ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾

إشارات

- تُطلق كلمة مارد على كلِّ شيء لا خير فيه ولا بركة، فيقال للشجر الذي لا ورق فيه: شجر أمرد.

التعاليم

١ ـ تزيين السماء هو من مظاهر الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ... إِنَّا زَيَّنَّا﴾.

٢ ـ الميل إلى الزينة والجمال هو جزء من الميول الفطريّة لدى الإنسان، والقرآن يؤكّد على ذلك حيث يقول: ﴿زَيَّنَّا السَّمَاءَ﴾.

٣ ـ الزينة والجمال أصل من الأصول؛ فخلق الله كلّه يتّصف بالجمال، ﴿زَيَّنَّا السَّمَاءَ﴾.

٤ ـ في العالم العلويّ أسرار يسعى الشياطين للوصول إليها؛ ولكنّهم عاجزون عن ذلك، ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾.

٥ ـ للجنّ وللشياطين من الجنّ القدرة على الوصول إلى الغيب؛ ولكنّهم مُنعوا من ذلك، ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾.

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

إشارات

- القذف هو رمي الشيء من مكانٍ بعيد. وتعبير الملأ الأعلى يشير إلى المكانة العليا للملائكة.
- دحوراً بمعنى السَّوْق قهراً مع الذِّلة والضِّعَة، والواصب الدائم. الخطفة هي أخذ الشيء بسرعة، والثاقب هو النافذ في الشيء.
- عن النبي ﷺ في حديث طويل (عن المعراج) قال: **«فَصَعِدَ جَبْرَئِيلُ وَ صَعِدْتُ مَعَهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ـ وَعَلَيْهَا مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ صَاحِبُ الْخَطْفَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وَتَحْتَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، تَحْتَ كُلِّ مَلَكٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك»**[١].

التعاليم:

١ ـ الملائكة يعلمون بأخبار أهل الأرض ويحدِّث بعضهم بعضاً بهذه الأخبار، كما أنّ الشياطين تتمكّن من الاستماع لحديث الملائكة، ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ...﴾.

٢ ـ استراق السمع من عمل الشيطان ولا بدّ من محاربته، ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾.

٣ ـ جند الله حاضرون في كلّ مكان، ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾.

٤ ـ لا بدّ من الثورة على شياطين المجتمع، ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾.

٥ ـ الشياطين موجودات مكلّفة وهي في معرض العقاب والسؤال الإلهيّين، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢، ص ٥.

٦ ـ المواظبة على حفظ الأسرار واجب، ﴿وَحِفْظًا... وَيُقْذَفُونَ... دُحُورًا... فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾.

٧ ـ للاطلاع على أسرار العالم العلوي أهميّته بالنسبة للشياطين، ويظهر ذلك من استراقهم للسمع حتّى مع كونهم يُقذفون من كلّ جانب، ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾.

٨ ـ الشهب والصخور السماويّة تمتثل الأمر الإلهيّ، وهي تُرمى لهدفٍ وغايةٍ وليست صدفةً ودون غاية، ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

٩ ـ تُصاب الشياطين بمقتلٍ بعد أن تسترق السمع لخبرٍ من أخبار الغيب في السماء، ﴿ثَاقِبٌ﴾.

١٠ ـ الشياطين موجودات يمكن رؤيتها فتكون هدفاً، ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥)﴾

التعاليم

١ ـ المقارنة والسؤال طريق لفتح باب التفكير أمام الناس، ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾؛ (أين خلقُ الإنسان؟ من حفظ السماوات على سعتها؟).

٢ ـ الحدّ من غرور أهل الغرور والسخرية يكون بتذكيرهم بمنشئهم، ﴿طِينٍ لَّازِبٍ﴾.

٣ ـ لا تأثير لنصائح المربّين في أصحاب القلوب القاسية، ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾.

٤ ـ الفاسدون يشكّلون بيئةً لفساد الآخرين، ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

٥ ـ يلجأ العدو أحياناً إلى السخرية بدل قبول الحقّ والمنطق، ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

٦ ـ يسعى العدو أحياناً في دعوته إلى الحديث بطمأنينةٍ وإصرار، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

٧ ـ يعترف المشركون بكون القرآن خارقاً للعادة (يصف المشركون القرآن بالسحر، والسحر يُطلق على العمل الخارق للعادة).

٨ ـ السخرية والاستهزاء بالمقدّسات مقدّمة للكفر وإنكار الحق، ﴿يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوٓا... سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾

إشارات

- الدّاخر بمعنى الذليل والحقير والزجرة بمعنى الصيحة والصرخة العالية.
- يسعى مرضى القلوب عند إثارتهم الشبهات إلى طرح العديد من الأسئلة على الرغم من إمكان الاكتفاء بسؤال واحد: ﴿أَءِذَا... إِنَّا... أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾.

تعاليم:

١ ـ ليس لمنكر المعاد منطق ولا استدلال صحيح، ولذا يلجأ إلى الاستبعاد بدل الاستدلال، ﴿أَءِذَا﴾.

٢ ـ يرى المشركون أنَّ إحياء الموتى أبعد إمكاناً من إحيائهم هم، ﴿أَءِنَّا... أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾.

٣ ـ لا بدّ من الإجابة عن الأسئلة والشبهات بوضوح تام، وإن صدرت لجاجاً وعن سوء نيّة، ﴿قُلْ نَعَمْ﴾.

٤ ـ صيرورة الإنسان تراباً لا تمنع من إحيائه ثانية، ﴿قُلْ نَعَمْ﴾.

٥ ـ إنكار المعاد عناداً هو سبب للذّل في يوم القيامة، ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾.

٦ ـ قيام القيامة يكون بالصوت والصيحة، ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ﴾.

٧ ـ قيام القيامة يكون دفعياً وليس تدريجياً، ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾.

٨ ـ القيامة أمر سهل على الله ﷻ، ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾.

٩ ـ يُبعث المشركون يوم القيامة وهم مبهوتون ينظرون، ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

- الأزواج كما تكون بمعنى الزوجات تستخدم في معنى الشركاء في الفكر والاعتقاد.
- ورد في مرويات السنّة والشيعة أنّ من مصاديق السؤال في قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ السؤال عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام[١].
- ورد في الروايات أنّ أول ما يُسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله عزّ وجلّ الصلوات المفروضات، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحجّ المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت[٢].

التعاليم:

١ ـ إنكار المعاد سوف يكون سبباً لحسرة الكفّار، ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾.

٢ ـ يوم القيامة هو يوم الحسرة والإقرار من المنكرين، ﴿يَٰوَيْلَنَا...﴾، ولكنّ هذه الحسرة لا تنفعهم ويصدر الأمر بإرشادهم إلى طريق جهنّم، ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾.

٣ ـ مضافاً إلى عذاب جهنّم، في القيامة تحقير ولوم وأذىً نفسيّ أيضاً، ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾. (ونقرأ هنا أيضاً: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾، فعلى الرغم من أنّ الهداية تستخدم في الدلالة على الخير خاصّة، ولكنها استخدمت هنا للدلالة على جهنم من باب التحقير والاستهزاء.

٤ ـ قلق الكفّار من العقاب، ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾، ولكن الله عزّ وجلّ يصف ذلك اليوم بأنّه يوم الفصل، ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾.

---

(١) فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٩؛ نقلا عن الديلمي، في ما رواه ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة، ص ٨٩؛ عن أبي سعيد الخدري.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ١٣٤؛ وسائل، ج ٤، ص ١٢٤.

٥ ـ الأسوأ من تكذيب الحقّ الإصرار عليه، ﴿كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

٦ ـ تكذيب المعاد ظلم للنفس، ﴿تُكَذِّبُونَ... ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟...﴾، كما أنّ الشرك ظلم عظيم (وأعظم صفة لأهل جهنّم هي الظلم).

٧ ـ الملائكة هم المكلّفون بجمع المشركين وسوقهم إلى جهنم. ولذا يُخاطب الملائكة بقوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾.

٨ ـ يحشر كلُّ إنسان مع شركائه في العقيدة ومع من يحبّ، ﴿ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾.

٩ ـ ما يُعبد من دون الله ﷻ لا يُعين الإنسان على الخلاص ممّا يُصيبه، بل هو يُصاب بذلك أيضاً، ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾.

١٠ ـ من أنواع العقاب لهذا الإنسان أن يُحشر مع تلك الأصنام التي لا روح لها، ﴿ٱحْشُرُوا۟... وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾.

١١ ـ من لم يتّبع الهداية الإلٰهيّة في هذه الدنيا، تكون هدايته إلى جهنّم في يوم القيامة، ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾.

١٢ ـ عاقبة الكفر والشرك جهنّم، ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

١٣ ـ على الرغم من أنَّ مصير منكري المعاد وخاتمة أمرهم سوف تكون في جهنّم، ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ إلا أنهم يسألون أيضاً عن النعم وعن التكاليف، ﴿مَّسْـُٔولُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات

□ مستسلمون من باب الاستفعال للمبالغة في التسليم بمعنى التسليم الكامل، أو بمعنى أنَّ المشركين يَستسلمون للقهر الإلٰهيّ بدل السعي لحماية بعضهم بعضاً.

□ اليمين من اليُمن بمعنى الخير والبركة، أي إنّكم كنتم تأتوننا من باب الخير فتحرفوننا عن الهدى، أو أنّه كناية عن القدرة والغلبة؛ لأنّ اليد اليمنى هي رمز القدرة.

❑ ورد في العديد من آيات القرآن الكريم التعرّض لحديث أهل جهنم مع بعضهم البعض، أو لحديثهم مع الشيطان، أو مع المؤمنين، أو مع الملائكة أو مع الله، وفي هذا الحديث يستمدُّون طرقاً للخلاص ممَّا هم فيه، ولكن الجواب يأتيهم دائماً بالنفي، وفي حديثهم يُلقون أحياناً اللوم على بعضهم البعض في التقصير ويتَّهم أحدهم الآخر البعض بأنّه سبب ضلاله: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾، ولكن الجواب يكون بنفي ذلك والبراءة منه، وأنّهم هم الذين تركوا الإيمان واستبدلوه بالكفر.

التعاليم:

١ ـ لا يتمكّن المجرمون من تقديم النصرة والعون لبعضهم البعض في يوم القيامة، ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾.

٢ ـ حالة المجرمين في يوم القيامة هي التسليم، ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.

٣ ـ يسعى المجرمون في يوم القيامة لتبرئة أنفسهم وإلقاء تَبِعَة ذنبهم على غيرهم، ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾.

٤ ـ الاستفادة من القدرات[١] أو التّظاهر بحبِّ الخير[٢] هي من الأساليب التي يَستخدمها أئمَّة الكفر والشرك في سبيل إضلال الآخرين، ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾.

٥ ـ لا يرضى أحد في يوم القيامة بأن يحمِل جرماً ارتكبه غيره، ﴿لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يعترف أئمّة الكفر بضلالهم في يوم القيامة، كما يعترف هؤلاء بمسؤوليّتهم

---

(١) بناء على كون كلمة اليمين علامة على القدرة.

(٢) بناء على كون اليمين من اليمن أي الخير والبركة.

عن إضلال أتْبَاعهم، ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾؛ ولكنهم ينفون عن أنفسهم مسؤولية الإجبار والقهر والتسلط في ذلك، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾.

٢ ـ الظروف والأسباب التي تؤدّي إلى الانحراف كامنة في داخل المنحرفين وليست بسبب ضغطٍ خارجيّ، ﴿كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾.

٣ ـ يقرّ أخيراً أئمّة الشرك في يوم القيامة بالتوحيد وبالربوبيّة لله ﷻ، ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾.

٤ ـ الوعد والوعيد الإلٰهيّين وصلا إلى مسامع أهل الشرك في هذه الدنيا، ولكنّهم أنكروا ذلك عمداً، ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾.

٥ ـ الإنسان موجود غير خاضعٍ للجبر الاجتماعيّ والفكريّ، ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾.

٦ ـ ضلال النفس سببٌ لإضلال الآخرين، ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

٧ ـ الله ﷻ عادل في عذاب أئمّة الكفر وأتْبَاعهم، ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

٨ ـ لعامّة الناس تأثيرهم على ظهور الأنظمة الفاسدة أو الأفراد الفاسدين، كما أنّ لهم تأثيرهم على دعمهم وتقويتهم واستمرار ظلمهم؛ وذلك لأنّه لو لم يكن لهم أيّ دور أو تأثير في ذلك لما كانوا مشتركين في العذاب، ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ سنّة العدل الإلٰهيّ فيما يرجع إلى عقاب المجرمين واحدة، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

٢ ـ سبب العذاب معصية الإنسان، ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

٣ ـ علامة المجرم روح الاستكبار في داخله أمام التوحيد، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

٤ ـ يدعو الأنبياء الناس إلى الله وليس إلى أنفسهم، ﴿قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

٥ ـ من علامات الاستكبار: اتّهام الآخرين، الاستهزاء بهم والتعصّب للعقائد الخرافيّة، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ... لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾.

٦ ـ التكبّر موجب لاضمحلال فكر الإنسان (يتهم أعقل الناس بالجنون ويرى الأصنام المصنوعة من الحجارة آلهة)، ﴿ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾.

٧ ـ يجب دفع التّهم، ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾.

٨ ـ لكلام رسول الله ﷺ ولشعار «لا إله إلا الله» جاذبيّة شديدة موجودة في الفطرة (فاتّهام النبي بأنّه شاعر كان بسبب ما لكلامه من جاذبيّة)، ﴿لِشَاعِرٍ﴾.

٩ ـ كان للمشركين آلهة متعدّدة، ﴿ءَالِهَتِنَا﴾.

١٠ ـ تعاليم الأنبياء كافّة واحدة، فإنهم يدعون إلى التوحيد والحقّ، وقد صدّقهم نبي الإسلام أيضاً، ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

١١ ـ على الإنسان أن يكون من أهل الحقّ، وأن يصدّق أهل الحقّ، ﴿جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

١٢ ـ عقاب من يتّهم عن علمِ القرآن بأنّه شعر، والنبي بأنّه مجنون هو العذاب الأليم، ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

- تطلق صفة المخلِص على الأشخاص البعيدين عن أنواع الشرك، الرياء والنفاق والذين يرون أنفسهم عبادا لله، أمّا صفة المخلَص فهي تطلق على من أخلصهم الله ﷻ نظراً إلى ما يتمتّعون به من كمالات.

التعاليم

١ ـ العذاب الإلٰهيّ يكون عادلاً، ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ (نعم العذاب الأليم في القيامة هو تجسّم لسلوك المشركين ولاستكبارهم في هذه الدنيا).

٢ ـ لا بدّ من أن يقترن التهديد بالبشارة، ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

٣ ـ إنَّ سبب كون الإنسان من المصطَفين والمختارين عند الله ﷻ هو عبوديّته لله، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

٤ ـ عقاب العصاة ومجازاتهم تكون على قدر أعمالهم، وأمَّا ثواب عباد الله المصطفين فيزيد عن عملهم، ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ الثواب في الجنّة ماديّ ومعنويّ إلى جنب بعضهما البعض، ﴿فَوَٰكِهُ... مُّكْرَمُونَ﴾.

٦ ـ لقاء أولياء الله هو من النِّعَم المعنوية في الجنّة، ﴿سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

٧ ـ التقابل في الدنيا قد يلبس شكل الخصومة أحياناً، ولكن التقابل في الآخرة يكون قرين السرور والسعادة، ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

٨ ـ ثواب أهل الجنّة يكون شاملاً لكلِّ شيء:

أ ـ الاختيار الإلٰهيّ، ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾؛ (المصطفون من الله يتمتَّعون بمقامٍ رفيع، ومفردة أولئك إشارة إلى مقامهم الرفيع).

ب ـ الرزق (المعلوم) وهو كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**يعلمه الخدّام فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إيّاه**»[1].

ج ـ الرزق ماديّ ومعنويّ، ﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾.

د ـ مكان نعيم، ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

هـ ـ الحضور في جمع أهل الجنّة يقترن بالأنس والمحبَّة والسرور.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

إشارات

- القدح هو الإناء الخالي ومتى ملئ أُطلق عليه (كأس)، وقد تُطلق كلمة (كأس) ويُراد منها الشراب وليس الإناء.
- تُطلق كلمة مَعين على الماء الزلال الجاري.
- الغَوْل هو الفساد الخفيّ، والمراد من الترف هو: الزوال التدريجيّ للعقل.
- الطرف جفن العين، وقاصرات الطرف كناية عن أنّ الزوجات في الجنّة يغضض أبصارهنّ عن النظر إلى الآخرين، أو كناية عن النظر بنصف العين وهو أمر يجذب القلب، ولعلّ المراد أنّ نساء الجنّة على قدر من الجمال بنحو تجعل الواحدة منهن عين زوجها خاضعةً لها، أي إنّها ونظراً إلى جمالها فإنّ زوجها لا ينظر إلّا إليها.
- عِين جمع عيناء وهي صاحبة العين الكبيرة والجميلة والسوداء.
- بيض جمع بيضة وهي بيض النعام ذات اللون الأبيض المخلوط بشيء من الصفرة والذي يمتاز بالصفاء، ويحملها الحيوان تحت ريشه كي لا تتلوّث بالغبار. وقد كان العرب يشبّهون المرأة الجميلة بها[١].

التعاليم

١ ـ اللذائذ الجسمانيّة المرتبطة بالبطن والشهوة موجودة في الآخرة أيضاً، ﴿فَوَاكِهُ، بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ، قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾.

٢ ـ لا يتحدّد الثواب في الجنّة بجهةٍ خاصّة، بل النعم تأتي إلى أهل الجنّة من كلّ جهةٍ فتُحيط بهم، ﴿يُطَافُ﴾.

---

(١) تفسير راهنما.

٣ ـ اللون الأبيض هو من ألوان الجنّة التي تدلّ على الضياء، الجمال، الصحّة وهو لون محبَّب إلى القلب، ﴿بَيْضَآءَ... بَيْضٌ﴾.

٤ ـ ليس للذائذ الجنّة أيّ نوع من الآثار الخفية أو البيّنة؛ فشراب الجنّة لذيذ، ولكنّه غير مسكر، كما لا تترتب عليه آثار الشراب الدنيويّ، ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾.

٥ ـ غضّ الطرف عن الغير هو خصائص نساء أهل الجنّة، ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾.

٦ ـ نساء الجنّة يتمتعن بالجمال ويجذبن القلوب، وهنَّ أيضاً طاهرات عفيفات مستورات، ﴿عِينٌ... بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾

إشارات

□ (يوم الدين) هو من أسماء يوم القيامة، و(مدينون) من الدين بمعنى الجزاء.

التعاليم

١ ـ لا ينسى الإنسان في الجنّة ذكريات عالم الدنيا، ﴿كَانَ لِى قَرِينٌ﴾.

٢ ـ يتلاقى أهل الجنّة، فيجلسون على أسرّة ويتحادثون فيسأل بعضهم البعض عمّن كان معهم في الدنيا، ﴿كَانَ لِى قَرِينٌ﴾.

٣ ـ تجوز مجالسة الكفّار في الدنيا، مع حفظ المعتقدات الدينيّة، ﴿كَانَ لِى قَرِينٌ﴾.

٤ ـ يتناول حوار أهل الجنّة إنكار المنكرين وحججهم، ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ... يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾.

٥ ـ ليس للكفّار من دليل على إنكار المعاد، سوى الاستبعاد والتعجّب، ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا...﴾.

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

إشارات

□ «أردى» من الإرداء بمعنى السقوط من مكان عال موجب للهلاك.

التعاليم

١ ـ يطّلع أهل الجنّة على الحال التي عليها أهل جهنم، ﴿فَاطَّلَعَ﴾.

٢ ـ مكان منكري القيامة في وسط الجحيم، ﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

٣ ـ يمكن لأهل الجنّة أن يتحدّثوا مع بعض أصحابهم من أهل جهنّم، ﴿قَالَ...﴾.

٤ ـ يجب الحذر من صديق السوء، ﴿كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾.

٥ ـ يبذل أهل الفساد جهدهم لإفساد الآخرين، ﴿كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾.

٦ ـ لو انقطع اللطف الإلٰهيّ لحظةً عن هذا الإنسان لكان سقوطه حتميّاً، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ...﴾.

٧ ـ قد يكون بعض العباد المخلَصين على شفا حفرة من الهلاك، ولكن اللطف الإلٰهيّ ينالهم فتكتب لهم النجاة، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾.

٨ ـ من النعم الإلٰهيّة على الإنسان أن يكون مصوناً من التأثّر برفقة السوء، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾.

٩ ـ لا يرى أهل الجنَّة أنفسهم مستحقِّين للجنَّة، بل يرون ذلك لطفاً ونعمةً من الله ﷻ، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

التعاليم

١ ـ إنَّ أهل الجنّة ونظراً إلى السرور الذي يعيشون فيه لا يصدِّقون ما هم فيه من نِعَم الجنّة؛ لذا يُبدون تعجّبهم من الخلود في النعيم، ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾.

٢ ـ لا سبيل في الجنّة للموت والهلاك، ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾؛ وذلك خلافاً لما في جهنّم حيث إنّ الموت والهلاك يُصيب أهل النار بسبب العذاب، ولكنّ الله يُحييهم ثانيةً.

٣ ـ المؤمن العاصي يؤمر به إلى جهنّم أولاً ثمّ بعد ذلك إلى الجنّة، إذ لا معنى للعذاب بعد الجنّة، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

٤ ـ من الممكن أن يُسلِمَ الإنسان وإن كان في محيطٍ فاسد، وإن عانى الصعوبات في ذلك، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

٥ ـ الفوز الكبير هو بالنجاة في هذه الدنيا من رفاق السوء، وفي الآخرة من عذاب جهنّم، ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

٦ ـ لا بدّ من إرشاد الناس إلى المُثل السليمة، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾.

٧ ـ لا يتنافى العمل بغرض الوصول إلى نِعَم الجنّة مع الإخلاص، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ﴾.

٨ ـ ينبغي أن يسعى الإنسان ليكون ما يقوم به الإنسان من عملٍ في هذه الدنيا بغرض الوصول إلى أهداف عليا، وإلّا أوجب الحسرة والخسران، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ﴾.

٩ ـ لا يكفي الإيمان وحده، بل لا بدّ من أن ينضمَّ إليه العمل، ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾

إشارات

❑ النُّزُل هو استقبال الضيف عند نزوله وروده.

❑ الزقّوم هو نبات فيه سمٌّ ينبت في الصحراء ولو فصلت أوراقه وخرجت منها مادّة فلاقت الجسم أصابته بورم. وقد ورد في سورة الدخان قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من المقايسة بين نماذج اللطف الإلٰهيّ ونماذج الغضب الإلٰهيّ ليحثّنا على فعل الأفضل، ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ... أَذَٰلِكَ خَيْرٌ... أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾.

٢ ـ الإنسان يطلب الخير بفطرته، ويسعى لما هو الأفضل، ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ... أَمْ﴾.

٣ ـ أهل الجنّة هم ضيوف الله ﷻ، ﴿نُّزُلًا﴾.

٤ ـ الظالمون الذين يحرقون القلوب في هذه الدنيا سيكون طعامهم محرقاً في الآخرة، ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾.

٥ ـ أن تنبت في قعر جهنم شجرة فإن في ذلك تجل للإرادة الإلٰهيّة، ﴿شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾

إشارات

❑ الطلع هو حمل النخل، والمراد من الشوب هو الخليط والمزيج. ويُطلق على ما يُشرَب بعد الطعام لأنَّه يَختلط في المعدة مع الطعام.

❑ لـمَّا كان الشيطان موجوداً يمثّل السوء والقبح والخبث في أذهان المسلمين،

فإنَّ الله ﷻ شبّه طلع شجر الزقوم برؤوس الشيطان مع أنّ البراعم ينبغي أن تكون أمراً جميلاً ومحبوباً، كما أن الملاك في أذهان الناس هو مظهر الحسن والكرامة؛ لذلك قالت نسوة مصر في مديحهم ليوسف: ﴿...إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1].

التعاليم

١ ـ لأهل جهنَّم كما لأهل الجنّة طعام وشراب؛ ولكنّ طعامهم فضلاً عن كونه كريهاً ومنفّراً فإنَّه قبيح الشكل والطعم وموجبٌ للأذى، ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ... لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾.

٢ ـ لا طريق للفرار ولا طريق للخلاص من طعام أهل جهنَّم، ﴿لَآكِلُونَ... فَمَالِـُٔونَ﴾.

٣ ـ إنَّ جوع أهل جهنم يبلغ حداً يملأون بطونهم بأسوأ أنواع الطعام، ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾.

٤ ـ ليس العذاب الأخرويّ مرحليّاً، بل جهنم هي مستقرّهم الأبديّ، ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾؛ (فلعلّ أهل جهنم يُنقلون إلى مكانٍ آخر لتناول طعامهم وشرابهم من الزقوم والحميم ثمَّ يعادون إلى مكانهم الأوّل).

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

إشارات

□ يُهرعون بمعنى السير بسرعة. ويذمّ الله ﷻ في هذه الآية أولئك الذين يتّبِعون تقاليد الآباء ومعتقداتهم دون أدنى تأمّل وبأسرع ما يمكنهم.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣١.

□ من خصوصيّات أهل جهنّم، التقليد الأعمى للآباء والأجداد؛ مع أنّه لا يجوز التقليد في العقائد، ولا بدّ من أن تبتني عقائد الإنسان على أساسٍ عقليّ وبمنهج استدلاليّ.

التعاليم

١ ـ لا يصحّ التقليد الأعمى للآباء في العقيدة والسلوك الخاطئين وتحت أيّ عنوان من العناوين، ﴿أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ... عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾.

٢ ـ أسوأ أنواع التقليد هو تقليد الآخرين مع العلم بانحرافهم والمعرفة بضلالهم، ﴿أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾.

٣ ـ للعقائد الباطلة للآباء تأثيرها على الأبناء، ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾.

٤ ـ لا ينبغي الانجرار وراء تقاليد وسنن الآباء إذا كانت من الباطل، (﴿يُهْرَعُونَ﴾ بمعنى الاتّباع القهري وبلا اختيار).

٥ ـ لا ينظر إلى كلّ ما يورَث من ثقافة الآباء نظرة مدحٍ وثناء، ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾.

٦ ـ أهمّ واجبٍ في البيئة المنحرفة هو اليقظة الدائمة. وقد أرسل الله ﷻ في الأمم الضالّة منذرين، ﴿ضَلَّ قَبْلَهُمْ... أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾.

٧ ـ إنَّ الله ﷻ أتمّ الحجّة عليهم، ﴿أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾.

٨ ـ فساد أكثر الناس في المجتمع ليس سبباً لضلال ذوي الاستعداد للهداية، ﴿ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ... أَرْسَلْنَا فِيهِم﴾.

٩ ـ دراسة التاريخ سببٌ للهداية والاعتبار، ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾؛ فنحن مأمورون بالتأمّل والتدبّر في مصير الكفّار الذين امتازوا بالتعصّب والعناد.

١٠ ـ على الرغم من وجود الأكثريّة الفاسدة فإنَّ بإمكان الإنسان أن يكون عبداً لله دون أن ينجرف مع تلك الأكثريّة، ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

١١ ـ عبادة الله سببٌ لتلقّي الألطاف الخاصّة، ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

١٢ ـ الإخلاص في العبادة سببٌ للنجاة من سوء العاقبة، ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

١٣ ـ عباد الله هم فقط الذين تلقّوا تحذير الأنبياء بجدّ، ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

إشارات

- لقد تكرّر ذكر نوحٍ في القرآن الكريم كنموذجٍ أعلى وأسوة للثبَات والمقاومة، وذكر قصّة نوح في القرآن كان لتسلية النبي وبثّ الطمأنينة في نفسه، ولهذا النبيّ الكريم خصائص منها:

  أ ـ أوّل أنبياء أولي العزم، ولذا أُطلق عليه لقب شيخ الأنبياء.

  ب ـ النبي الوحيد الذي ورد التعرّض لذكر مدّة دعوته في القرآن الكريم.

  ج ـ السلام الإلٰهيّ الخاص من الله ﷻ له حيث أُضيف إلى هذا السلام عبارة: ﴿فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

  د ـ النبي الذي لا يؤمن به ابنه ولا زوجته بل كانا يرفضان دعوته.

- كلمة (آخِر) تعني في اللغة العربيّة نهاية الشيء، و(آخرين) أي الذين سيكونون في المستقبل. وأمّا (الآخَر) و(الآخَرين) فهو بمعنى الغير.

- الفرق بين التاريخ الذي يسرده القرآن الكريم وبين التاريخ الموجود في كتب التاريخ هو تصدّي القرآن بعد نقل حادثة وقعت في التاريخ لبيان السُّنَن الإلٰهيّة في موردها: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

- لعلّ المراد من نداء النبيّ نوح ﵇ في هذه الآية هو ما ورد في الآية ٢٦ من سورة المؤمنون حيث قال تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾

❑ الله ﷻ هو نعم المجيب، أي إنّه يستجيب لكلّ ما فيه صلاح العباد، لا ما يحدِّده العباد، فلعلّ العبد يطلب أمراً والله ﷻ يقدّر له أمراً آخر. وقد يطلب العبد شيئاً من الله ﷻ ولكنّ الله ﷻ يؤخِّر الاستجابة، وقد يطلب شيئاً ولا يَستجيب الله له كما في قصة نوح حيث طلب نجاة ولده، ولكنّ الله ﷻ لم يستجب له.

❑ المراد من البلاء والكرب العظيم هو الطوفان والغرق أو أذيّة الناس له؛ نعم، الدعوة إلى الدّين والرسالة تترافق مع الصعوبات والمشاكل.

❑ ورد عند الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾، أنّه قال: **«الحقّ والنبوّة والكتاب والإيمان في عقبه وليس كلّ من في الأرض من بني آدم من ولد نوح»**[1].

التعاليم

١ ـ لا يصل أولياء الله ﷻ إلى طريق مسدود، ومتى واجهتهم صعوبات لجأوا إلى الدعاء والاستمداد من القدرة الإلٰهيّة الواسعة للتغلّب على تلك الصعوبات، ﴿نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾.

٢ ـ مع سعَة العلم الإلٰهيّ، فالله ﷻ بكلّ شيء عليم؛ ولكنّ للدّعاء والطلب من الله ﷻ أثره الخاصّ، ﴿نَادَىٰنَا﴾؛ (فالنداء والدعاء وإظهار الحاجة إلى الله ﷻ بابٌ للإجابة).

٣ ـ إذا دعا الإنسان الله ﷻ بإخلاص كان دعاؤه مستجاباً، ﴿نَادَىٰنَا...﴾.

٤ ـ استجابة الدعاء تقترن بالحكمة والرحمة ودون منّة، ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾.

٥ ـ طلب نوح من الله ﷻ أن لا يُبقي من الكافرين أحداً، وأن ينجيه وأتباعه، ولكن الله ﷻ الذي من صفاته (المحسن)، وهبه السلام وبقاء النسل ولعلّ هذا هو المراد من قوله: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾، أي نعطيك أكثر ممّا طلبت.

(١) تفسير نور الثقلين.

٦ ـ لقد حفظ الله ﷻ نبيّه نوحاً في الماء وإبراهيم في النار، ﴿نَجَّيْنَٰهُ﴾؛ (الماء والنار ليستا شيئاً أمام الإرادة الإلٰهيّة).

٧ ـ النسب والرحم ليسا سبباً لكون الشخص من الأهل (ولذا قال تعالى في هذه الآيات ونجيّناه وأهله، مع علمنا بأنّ الله ﷻ قد أهلك ولده بالطوفان. ولذا يكون المراد من الأهل هم الأقارب والرحم الذين يكونون على عقيدةٍ واحدةٍ)، ﴿أَهْلَهُۥ﴾.

٨ ـ انقراض أو بقاء أيّ نسلٍ هو بيد الله ﷻ، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾.

٩ ـ نسل البشر اليوم هم نسل نوح ومن كان معه من أنصاره، ﴿هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾.

١٠ ـ أولياء الله ﷻ أحياء يتلقّون التحية والسلام، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١١ ـ إنّ سبب بقاء الذكر الحسن بين الناس والسلام من الله هو الإحسان، ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

١٢ ـ إنَّ الثواب الإلٰهيّ للمحسنين هو عادة وسنّة إلهيّة، وليس أمراً يتحقّق صدفةً واتّفاقاً، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾.

١٣ ـ يعطي الله ﷻ المحسنين الدنيا أيضاً، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

١٤ ـ التسليم على الأنبياء والأولياء الإلٰهيّين هو فعل إلهي، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٥ ـ المحسنون الذين يَنالون الدرجات الإلٰهيّة هم الذين يكون الإيمان منطلقاً لأعمالهم لا طلب الشهرة، ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ... إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٦ ـ إذا اقترن الإحسان بالإيمان والعبوديّة لله ﷻ، فإنّ قيمته عند الله ﷻ تكون أعلى وأرقى، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٧ ـ عندما ينزل العذاب في الدنيا تكون النجاة من نصيب المؤمنين فقط، وأمّا الآخرون فينالهم العذاب سواء كانوا من الكافرين أو من المحايدين. قال تعالى: ﴿أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾، ولم يقل: «أغرقنا الكافرين».

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾

إشارات

- ❑ كلمة شيعة تعني الجماعة التّابعة لرئيسٍ مشْتَرَك.
- ❑ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من كلّ ما سوى الله تعالى، لم يتعلّق بشيء غيره[1].
- ❑ للنبيّ إبراهيم عليه السلام خصائص امتاز بها عن سائر الأنبياء منها:

أ ـ إنّه مع كونه شخصاً واحداً ولكنَّ الله عزّ وجلّ عدّه أمّة: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[2].

ب ـ كان بالإضافة إلى النبوّة إماماً للناس: ﴿...إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾[3].

ج ـ بعض الأنبياء كموسى، وعيسى ومحمد (عليهم أفضل الصلاة والسلام) من نسله.

د ـ مراسم الحجّ هي ذكرى لأحداث جرت مع إبراهيم عليه السلام.

هـ ـ رأى إبراهيم ملكوت السماء والأرض وباطنهما، ﴿نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4].

و ـ ذكر له القرآن الكريم ألقاباً وصفات خاصّة، كالصدّيق، الأوّاه، الحليم، الخليل، الحنيف، القانت وصاحب القلب السليم.

التعاليم

١ ـ لا بُعد للمنزل في السفر المعنويّ والروحانيّ (فعلى الرغم من أنّ البُعد الزمنيّ بين النبي إبراهيم عليه السلام والنبي نوح عليه السلام يبلغ آلاف السنين إلّا أنّ القرآن الكريم

(١) تفسير مجمع البيان.
(٢) سورة النحل: الآية ١٢٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٤.
(٤) سورة الانعام: الآية ١٧٥.

جعل إبراهيم من شيعة نوح، ونوح قائد حركة التوحيد)، ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾.

٢ ـ إنّ طريق الأنبياء كافّة واحد، والأنبياء هم أسوة وقدوة لبعضهم ولا دور لعنصري الزمان والمكان في أصول وأسس الأديان السماوية، ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾. وفي مورد آخر يخاطب الله نبيه محمدا بقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[1]؛ أي بهدى الأنبياء اقتد.

٣ ـ كلمة شيعة وخلافاً لدعوى أعداء الشيعة، ليست من اختراع أنصار الإمام علي عليه السلام، ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾.

٤ ـ من مهام الأنبياء:

أ ـ الارتباط بالأنبياء السابقين، ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾.

ب ـ التسليم أمام الله عزّ وجلّ: ﴿جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

ج ـ إنقاذ المجتمع من أنواع الشرك: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾.

٥ ـ لا بدّ أولاً من تطهير النفس والداخل، ثمّ الانتقال إلى مرحلة تطهير المجتمع. (امتلاك القلب السليم ضروريّ لنجاح عمل القادة الدينيين)، ﴿جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

٦ ـ القلب السليم شرط للتقرّب إلى الله عزّ وجلّ واللّجوء إليه، ﴿جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

٧ ـ إنّ الشيعي الحقيقيّ والتّابع الحقيقي للأنبياء عليهم السلام هو صاحب القلب السليم والطاهر، ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

٨ ـ من علامات الإيمان الراسخ: الصراحة، والشهامة، وعدم مراعاة النسب والقوم في الدعوة. ولذا ذمّ إبراهيم تقاليد أبيه، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

٩ ـ أولياء الله لا يَتيهون في البيئة الفاسدة، بل يتولّون تغييرها وإصلاحها، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

---

(١) سورة الانعام: الآية ٩٠.

١٠ ـ السنّ ليس شرطاً في النهي عن المنكر، ﴿لِأَبِيهِ﴾. وكذلك العدد ليس شرطاً، ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾.

١١ ـ تبدأ فريضة النهي عن المنكر بالأقربين، ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

١٢ ـ تبدأ فريضة النهي عن المنكر بالمنكرات الرئيسيّة كالشرك، ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

١٣ ـ الوظيفة الأولى للأنبياء محاربة الشرك، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

١٤ ـ لا بدّ من أن نحرِّك وجدان فاعل المنكر عند نهيه عن المنكر، ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

١٥ ـ لا يُشترط في النهي عن المنكر احتمال التأثير الفوريّ والتامّ، فلعلّ التأثير يأتي لاحقاً، وقد يكون محدوداً أو غير ذلك، ﴿قَالَ... مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

١٦ ـ عبادة الأصنام نوعٌ من الإفك والكَذِب، ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً﴾.

١٧ ـ مضافاً إلى قبح عبادة غير الله ﷻ فكذلك إرادة عبادة غير الله ﷻ، ﴿تَعْبُدُونَ، تُرِيدُونَ﴾.

١٨ ـ تدبير وإدارة عالم الوجود في ظلّ الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

إشارات

□ جرت عادة أهل بابل وهو المكان الذي كان يُقيم فيه النبي إبراهيم عليه السلام، على إقامة احتفال سنويّ يعدُّون فيه الطعام ويضعونه في بيوت الأصنام طلباً للبركة، ثمّ يخرجون خارج المدينة جميعاً للاحتفال، وبعد ذلك يعودون إلى بيوت الأصنام ليأكلوا ذلك الطعام. وكانوا يدعون النبي إبراهيم ليشاركهم في تلك الاحتفالات، ولكن إبراهيم عليه السلام كان يتحيّن الفرصة لكي يحطِّم أصنامهم لعلّ ذلك يوجد صدمةً في نفوسهم، وكان لأهل بابل على جري عاداتهم وتقاليدهم اعتقادٌ بالنجوم وما لها من تأثير على مصير الإنسان، فلذلك نظر إبراهيم في

النجوم وذكر لقومه أنّه يرى طبقاً للنجوم أنّه سيصاب بالمرض لو خرج من المدينة، فاقتنعوا بذلك كمبرِّرٍ لعدم خروجه معهم، ولم يصرّوا عليه في ذلك.

□ ومن الواضح أنّ إبراهيم لم تكن لديه مثل تلك العقيدة بتأثير النجوم، ولكنّه لأجل إقناع الناس استخدم طريقتهم التي يثقون بها. كما أنّه وفي أسلوب دعوته لهم إلى عبادة اللهِ الواحد ذكر عبادة النجوم أولاً ثم تبرّأ من عبادتها[1].

التعاليم

١ ـ لا بدّ في التبليغ من مخاطبة كلّ طائفةٍ من الناس بما يتناسب معها. (فالطائفة التي تعتقد بتأثير النجوم لا بدّ من استخدام لغة ثقافتهم تلك في دعوتهم)، ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ، فَقَالَ﴾.

٢ ـ لا بدّ من استخدام وسائل جديدة ومبتكرة في دعوة الناس إلى الحقّ وفي مواجهة الباطل. (فالنبي إبراهيم عليه السلام امتنع عن الخروج معهم إلى خارج المدينة وقام بما خطَّط له من تحطيم أصنامهم)، ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾.

٣ ـ لا بدّ من أن يكون المؤمن فطناً ونبيهاً ليغتنِمَ الفرص التي تُتاح له، ﴿فَنَظَرَ... فَقَالَ﴾.

٤ ـ للأنبياء المرسلين من الله عزّ وجلّ مشروع طويل الأمد يغتنمون فيه أيّ فرصة تُتاح لهم لتطبيقه. (فنقرأ في الآية ٥٧ من سورة الأنبياء وعده إيّاهم بتحطيم أصنامهم، ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾، وقد أنفذ ذلك الوعد ضمن ما خطّط له).

٥ ـ ينبغي للقادة الدينيّين للمجتمع مواجهة الاتّجاهات الفكرية المنحرفة وذلك من خلال مبادرتهم إلى الفعل، ولا يكون دورهم ردّة الفعل فقط، بل ينبغي لهم التخطيط لذلك ورسم خريطة عمل لمواجهة العدو، ﴿فَنَظَرَ... فَقَالَ... فَرَاغَ﴾.

٦ ـ تتوقّف مغافلة العدو لأجل توجيه ضربة إليه على معرفة عادات ذلك المجتمع

---

(١) سورة الأنعام: الآيات ٧٦ ـ ٧٨.

العدو وتقاليده ومعتقداته، ﴿فَنَظَرَ... فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

٧ ـ إنّ منطق الأنبياء في الدعوة إلى الله وإبطال عبادة الأصنام هو منطق واضح وفطريّ وعقليّ، ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ... مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

إشارات

- راغ بمعنى ذهب إلى أمرٍ ما بعيداً عن أعين الناس. و﴿يَزِفُّونَ﴾ بمعنى الحركة السريعة والعجولة ويُطلق على مراسم العرس الزفاف لأنّه يقترن بالنشاط والحركة.
- حيث أقسم إبراهيم على تحطيم أصنامهم فقال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾[١]، وحيث لم تجد الموعظة وإقامة الدليل معهم نفعاً، برّ إبراهيم بقسَمِه وقام بتحطيم أصنامهم دفعةً واحدةً، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾؛ ولذا وصف الله ﷻ إبراهيم في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾[٢].

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن يقوم الإنسان بكلّ عملٍ بشكلٍ علنيّ، بل إنّ بعض الأعمال ينبغي القيام بها بعيداً عن عيون الأعداء، ﴿فَرَاغَ﴾.

٢ ـ للنهي عن المنكر مراحل، فإن لم تكن المرحلة الأولى وهي الوعظ نافعة، فلا بدّ من الانتقال إلى المرحلة العمليّة، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ...﴾.

٣ ـ لا بدّ لمواجهة الباطل وإصلاح المجتمع من امتلاك القدرة على ذلك، ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾.

---

(١) سورة الانبياء: الآية ٥٧.   (٢) سورة النجم: الآية ٣٧.

٤ ـ ليس لكلِّ فنٍ قيمة. (فقد تفنَّن القوم في صناعة الأصنام، المجسّمات، ولكنّ إبراهيم عليه السلام قام بتحطيمها. إذاً لا بدّ من تحطيم مظاهر الباطل وإن بذَلَ الباطل المال في سبيلها، فمظاهر الشرك والخرافات لا قَداسة لها)، ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾.

٥ ـ لا بدّ من الجمع بين المنطق والقوّة، ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ... أَتَعْبُدُونَ﴾.

٦ ـ في سبيل التوحيد تصحّ التضحية بكلّ شيء. (الإمام الحسين ذهب فداءً لإبطال حكم الطاغوت، بل إنّ كلَّ ما عانى منه الأنبياء بل وتقديمهم أرواحهم كان في سبيل التوحيد، وهنا أيضاً قام إبراهيم بعمل وتحمل مخاطره في سبيل القضاء على عبادة الأصنام)، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ... ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾.

٧ ـ لا تتوقّع أن يسكن العدو أمام أيِّ ضربةٍ يتلقّاها. فقد أسرع عبدة الأصنام ناحية إبراهيم، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ... قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾.

٨ ـ لا يمنع السجن ولا الحبس الأنبياء من الدعوة إلى الله. (فقد بادروا إلى الإمساك بإبراهيم وسؤاله إن كان هو الذي حطّم أصنامهم، ولكنّ إبراهيم أجابهم بدعوتهم إلى التوحيد)، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾.

٩ ـ لا يليق بالإنسان أن يعبدَ ما يصنعه بيده، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾.

١٠ ـ إنّ ما يصنعه الإنسان بيده هو أيضاً من صنع الله، ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

١١ ـ لا وجود لمنطقٍ صحيح ولا لاستدلالٍ موجَّه لعبادة الأصنام، ولذا يلجأ عبدة الأصنام إلى استخدام القوّة، ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾.

١٢ ـ إنّ التعصّب والتحجّر يصل حدّاً يجعل الإنسان يأمر برمي نبيٍّ معصوم كإبراهيم عليه السلام صاحب العلم والمعجزة والبيان في النار لأجل بعض الحجارة والأخشاب، ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾.

١٣ ـ إذا أدّى الإنسان تكليفه فإنّ الله عزّ وجلّ هو الذي سيُذهب كيد أعدائه، ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

١٤ ـ الإرادة الإلٰهيّة حاكمة على الأسباب الطبيعيّة، ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

إشارات

- ورد عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**ذهابه إلى ربّه بوجهه إليه عبادة واجتهاداً وقربة إلى الله** عزّ وجلّ»[1]. إنّ قيمة كلِّ حركةٍ هي بقيمة الهدف الذي تتّجه إليه، ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾.
- في الآية ٨٣ من سورة الشعراء يطلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يُلحِقَه بالصالحين، وفي هذه الآية يطلب من الله أن يهَبَه ذرّيّةً صالحة.
- لم يصف الله عزّ وجلّ من بين كافّة أنبيائه أحداً بالحلم عدا إبراهيم وإسماعيل. ﴿...إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[2]، ﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾.
- قصَّ القرآن العديد من الأحلام، والتعبير عنها في اليقظة دليلٌ على استقلاليّة الروح وارتباطها بالأمور الغيبيّة، من ذلك:

أ ـ رؤيا يوسف أنّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له يسجدون.

ب ـ رؤيا حاكم مصر حيث رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف.

ج ـ رؤيا صاحبَي يوسف في السجن وقد فسّره لهما يوسف.

د ـ رؤيا النبي صلى الله عليه وآله دخوله والمسلمين المسجد الحرام.

رؤيا النبي إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ولده.

التعاليم

١ ـ لا يصل أولياء الله عزّ وجلّ إلى طريقٍ مسدود، بل يجدون باباً للخلاص من خلال التوكّل على الله والتوجّه إليه، ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٤.

٢ ـ الربوبيّة الإلٰهيّة سببٌ في الهداية الإلٰهيّة، ﴿رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾.

٣ ـ نسير في خطّ الله ﷻ ونحن مطمئنُّون للطفه، ﴿سَيَهۡدِينِ﴾. (منك الحركة ومن الله البركة).

٤ ـ الذرّيّة الصالحة هبة إلهيّة، وهي من دعاء الأنبياء، ﴿هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٥ ـ إنّ ما ينبغي أن يكون محور اهتمام في الذرّيّة هو أن تكون صالحةً دون الأمور الأخرى، ﴿هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٦ ـ الذرّيّة الصالحة هي أفضل ناصرٍ في مسيرة الأسرة وحركتها إلى الله ﷻ، ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي... رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٧ ـ من علامات الولد الصالح كونه عوناً لأبيه في العمل والسعي، ﴿مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾.

٨ ـ حكم رؤيا الأنبياء يَختلف عن حكم رؤيا الآخرين، لا سيما إذا تكرّرت الرؤيا، ﴿أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ﴾؛ (رؤيا الأنبياء هي نوع من الوحي، وقد ورد في الرواية أيضاً: «رؤيا الأنبياء وحي»[(١)].

٩ ـ ينبغي أن يعتمد الأب في أسرته الحوار العاطفيّ والمتَّسِم بالاحترام مع أبنائه، وكذلك العكس، ﴿يَٰبُنَيَّ... يَٰٓأَبَتِ﴾.

١٠ ـ لا بدّ وأن يتخلّى الإنسان السائر في طريق الله عن كلّ تعلّقٍ حتّى التعلّق بالأبناء. (فقد أُمر بذبح ولده الذي مكث ينتظر مجيئه ما يقارب القرن، ولم يأتِ إلّا بعد التضرع والدعاء إلى الله ﷻ وقد بلغ سنّ الرشد وأصبح عون أبيه بعد كبر سنّه)، ﴿أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾.

١١ ـ استخدِمْ أسلوب مشاورة الأبناء وطلب رأيهم في الأمور لأجل تربيتهم وتنمية شخصيّتهم، ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾.

١٢ ـ سؤال الناس عن موقفهم من بعض الأمور أمر مهم؛ لأنه باب إلى معرفة مدى استعدادهم حتّى في الأمور الواضحة والمسلّمة الفائدة. (لم يكن لدى إبراهيم من شكٍّ في ما أُمِرَ به؛ ولكنّه مع ذلك سأل ابنه)، ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾.

---

(١) تفسير البرهان.

١٣ ـ المؤمن مسلّم أمره إلى الله ﷻ ولا يبحث عن الأعذار أمام الأوامر الإلٰهيّة، ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾، مع أنّ إسماعيل كان بإمكانه أن يقول لأبيه:

أ ـ هذا الخطاب كان رؤيا وليس يقظة.

ب ـ قتل الولد حرام.

ج ـ الأمر لا يدل على الفورية، فتريث.

د ـ إن هذا الأمر إرشاديّ وليس مولوياً، وهو حسن وليس بواجب.

١٤ ـ يُمكن للصغار أن يحثّوا الكبار على امتثال الأمر الإلٰهيّ، ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾

١٥ ـ ينبغي عندما نؤدّي عملا أن نضع الهدف الأعلى نصب أعيننا. (لم يقل إسماعيل: اذبحني، اقتلني؛ لأنّ ذلك سوف يؤدّي إلى جعل الأمر شاقاً على أبيه، بل قال له: افعل ما تؤمَر، أي افعل ما أمرك الله به).

١٦ ـ لا بدّ للعمل بالتكليف من التحلّي بالصبر والثبات، ولا بدّ من أن يطلب الصبر من الله ﷻ، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

١٧ ـ الصبر والثبات هو من سيماء الصالحين، ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ... مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

١٨ ـ صبر إسماعيل هو نتيجة الوعد الإلٰهيّ بأن يكون حليماً، ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ... مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

١٩ ـ لا بدّ من أن ننظر إلى كلّ ما نملكه من كمالٍ على أنّه من عند الله، ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

٢٠ ـ قل: «إن شاء الله»، عند العمل، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾

إشارات

ـ تلّه بمعنى ألقاه على التراب. الجبين هو طرف الوجه والجبهة.

□ بعد أن أعلن الأب والابن (إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام) استعدادهما لامتثال الأمر الإلٰهيّ، وقام إبراهيم بوضع ابنه على التراب على وجهه، جاء النداء بعدم إرادة ذبح إسماعيل، وأنّ المراد هو أن نقطع تعلقّك بولدك في سبيل الله وهذا ما أثبته إبراهيم.

أهميّة الدّافع والنيّة

للدّافع والنيّة أهميّة أساسيّة في تعاليم القرآن ومدرسة أئمّة أهل البيت عليهم السلام. وبلغ ذلك حدّاً اعتبرت الروايات أنّ نيّة المؤمن للقيام بعملٍ خير من العمل. «نيّة المؤمن خير من عمله»[1]. فالكثير ممّا لم يؤدَّ من العمل كان محلّاً للثناء نظراً للدافع الإيجابيّ، فيما صدر اللوم على كثير من الأعمال التي صدرت بسبب ما كان خلفها من دافعٍ ونيّة.

ونذكر هنا نماذج من الأعمال التي كانت محلّاً للمدح والثناء والثواب على الرغم من أنّها لم تصدر:

- إقدام النبي إبراهيم عليه السلام على التضحية بولده، ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾.
- ذهب أويس القرني للقاء النبيّ صلى الله عليه وآله وزيارته وعلى الرغم من أنّه لم يوفَّق لهذا اللقاء ولكن زيارته كانت مقبولة، مع أنّ بعض من كان إلى جانب النبيّ كان يؤذيه.
- جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ممّن كان عاجزاً عن الجهاد بسبب الفقر، فكانوا يتولّون وأعينهم تفيض من الدمع حزناً[2].
- من يبدّل الله سيئاته حسنات، ﴿...يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ...﴾[3].
- نيل من مات محبًا لأهل البيت عليهم السلام أجر الشهادة وثوابها: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً»[4].

---

(١) سورة الكافي، ج ٢، ص٨٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٩٢.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

(٤) البحار، ج ٢٣، ص ٢٣٣.

• من يُضاعَف له الثواب على عمله: ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾.
• وأمّا الأعمال الحسنة التي ورد ذمّها فهي:
• العمل الذي يَصدر عن سوء نيّة أو يقترن بالرياء والعجب: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[1].
• العمل الحسن إذا انضمّ إليه عمل سّيىء، كالصدقة مع المنّ: ﴿...لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ...﴾[2].
• فعل من وصفهم الله ﷻ بأنّهم يظنّون أنّهم يفعلون فعلاً حسناً: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3].

التعاليم

١ ـ العمل الممدوح هو الذي يقترن بالتسليم والرضا، ﴿أَسْلَمَا وَتَلَّهُ﴾.
٢ ـ يمكن لفتىً في سنِّ الشباب أن ينال الكمالات المعنويّة ويصل إلى رتبة أولياء الله الكِبَار، ﴿أَسْلَمَا﴾.
٣ ـ علامة التسليم الحقيقي الإقدام على العمل فوراً، ﴿أَسْلَمَا وَتَلَّهُ...﴾.
٤ ـ الصبر على الطاعة هو الذي يخلق حالة التسليم في الإنسان أمام الأمر الإلٰهيّ، ﴿مِنَ الصَّابِرِينَ... أَسْلَمَا وَتَلَّهُ﴾.
٥ ـ الأوامر الإلٰهيّة قد تكون امتحانيّة. (أردنا ان نختبرك لا أن نريق دم إسماعيل)، ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾.
٦ ـ الأهمّ من العمل هو التصميم على العمل والتسليم، ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾.
٧ ـ الألطاف الإلٰهيّة ليست جزافاً؛ بل تسير بحساب دقيق، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، (كل من كان كإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مسلّماً أمره لله ﷻ فإنّه سوف ينال الثواب واللطف الإلٰهيّين).

---

(١) سورة الماعون: الآية ٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

٨ ـ من أعظم الابتلاءات الإلٰهيّة التخلّي عن الولد. (من خلال هذا الامتحان اتضحت درجة إيمان وإخلاص إبراهيم وإسماعيل)، ﴿ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ۝١١٣﴾

إشارات

- الفداء، والفدية بمعنى ما يُقدَّم لدفع الموت والبلاء.
- وعد الله ﷻ نبيّه إبراهيم ﷺ أن يُبقيَ ذكره الحسن خالداً، ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾؛ ولذا كانت كافّة أعمال الحج ومناسكه من الطواف بالكعبة إلى الصلاة خلف المقام هي بإمامة إبراهيم ﷺ، وكذلك جعل النبوّات في نسله، كما أنّ كافّة سبل الخير ترجع إليه.

التعاليم

١ ـ للأضحية (ذبح الحيوان) تأثيرها في دفع الخطر طبقاً للثقافة الدينية، ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾.

٢ ـ التضحية هي من السنن الإبراهيميّة، ﴿بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾.

٣ ـ قد تتحوّل حادثة تاريخيّة محدَّدة إلى تظاهرة تاريخيّة كبرى، ﴿بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾؛ ففي كلِّ سنةٍ تتم التضحية بمئات آلاف البقر والغنم والإبل، تخليداً لقصّة إسماعيل والأضحية التي كانت لأجله.

٤ ـ بقاء الذكر الحسن هو من الألطاف الإلٰهيّة التي يُنعِم بها الله على أوليائه، ﴿وَتَرَكۡنَا...﴾.

٥ ـ في التجارة مع الله ربح أبديّ، ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

٦ ـ يسلّم الله ﷻ على أنبيائه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[2] نعم في ما يرجع إلى نبيّ الإسلام ﷺ فإنّ الله وملائكته يصلّون عليه، وكذلك المؤمنون بأمرٍ من الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ...﴾[3].

٧ ـ إثابة المحسنين هي سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

٨ ـ إبراهيم مثالٌ ونموذجٌ للمحسنين، ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

٩ ـ لإبراهيم ذرّيّة مباركة. نقرأ في الدعاء: اللّهم بارك على محمدٍ وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ﴾.

١٠ ـ لا انفصال بين الإيمان والإحسان، ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ... ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

١١ ـ قيمة الولد بصلاحه، ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

١٢ ـ قد لا يكون حتّى من هو من ذرّية النبي أهلاً للإيمان، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا... ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ...﴾؛ فالعلاقة النسبيّة لا تكون سبباً حتمياً لهداية الأبناء أو ضلالهم. (فقد يكون الأب نبياً ويكون ابنه ضالاً).

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ التذكير بالألطاف الإلٰهيّة على الأنبياء السابقين هو سبب لتسلية نبيّ الإسلام ﷺ وللمسلمين، وعامل يبثُّ الطمأنينة في نفوسهم في ظلِّ الظروف الصعبة التي كانوا يعيشون فيها في مكة، ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا﴾.

---

(١) سورة الصافات: الآية ٧٩

(٢) السورة نفسها: الآية ١٢٠

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

٢ ـ من أعظم النعم الإلٰهيّة على الإنسان أن يمنّ عليه برفع العذاب الروحي عنه، ﴿مَنَنَّا... نَجَّيْنَا... مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

٤ ـ من كان محلاً للطف والنصرة الإلٰهيّين فإنّ النصر سوف يكون حليفه حتماً، ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

٥ ـ المرحلة الأولى هي النجاة من الطاغوت، ثمّ تأتي بعد ذلك مرحلة الدعوة إلى كتاب الله وسبيله، ﴿نَجَّيْنَا... وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَٰهُمَا﴾.

٦ ـ إنّ تعاليم ومضامين التوراة وسائر الكتب السماوية بيّنةٌ، وقابلة للفهم من الناس كافّة، ﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾.

٧ ـ لا بدّ وأن يكون لسان الدعوة إلى الدّين خطابةً وكتابةً، بلغة واضحةٍ وبيّنة، ﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾.

٨ ـ الأنبياء أيضاً بحاجة إلى الهداية الإلٰهيّة، ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

٩ ـ الذكر الحسن ثواب إلهيّ يُنعِم به الله ﷻ على الإنسان في هذه الدنيا، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾. وقد ذكر الله ﷻ ذلك في هذه السورة في شأن نوح في الآية ٧٨ وفي شأن إبراهيم في الآية ١٠٧ وفي شأن موسى وهارون في الآية ١١٩.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

إشارات

□ متى تعرّض في هذه السورة بالذكر الحسن لنبي من الأنبياء أشار إلى عناصر ثلاثة هي:

١ ـ الإحسان،

٢ ـ الإيمان،

٣ ـ العبادة، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ أولياء الله أحياء يتلقّون السلام منه، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ...﴾.

٢ ـ لا بدّ من حفظ المراتب عند إظهار الاحترام للآخرين (السلام أولاً على موسى ثم على هارون).

٣ ـ سلام الكبير على الصغير أمر مطلوب؛ (فالله ﷻ يسلم على مخلوقاته).

٤ ـ الدعوة إلى الله وبيان المعارف الإلٰهيّة هو من أنواع الإحسان، ﴿مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ... ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٥ ـ موسى وهارون قدوة وأسوة للمحسنين، ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٦ ـ اللطف الإلٰهيّ بالمحسنين هو من السنن الإلٰهيّة، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٧ ـ إثابة المحسنين هو من ضروريّات الإدارة ومن السنن الإلٰهيّة، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٨ ـ لا ينفصل الإيمان عن الإحسان، ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ... ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٩ ـ الإيمان بالله ﷻ والعبوديّة له هما السبيل لنيل الألطاف الإلٰهيّة، ﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾

إشارات

□ تطلق كلمة (بعل) على الزوج. وكان عبدة الأصنام يطلقون على بعض الأصنام التي يعبدونها والتي يرونها أفضل منهم صفة (بعل).

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن ننسى ما بذله الأنبياء وما تعرّضوا له في مسيرة دعوتهم، وأن

نستلهم الدروس من حياتهم وطريقتهم في التعامل مع أتبَاعهم ومع أعدائهم، ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٢ ـ بعثة الأنبياء هي من السنن الإلٰهيّة، ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٣ ـ التقوى تقع على رأس ما دعا إليه الأنبياء وهي أساس الكمالات كافَّة، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

٤ ـ إنّ صاحب التقوى يتخلّى عن كلِّ عقيدةٍ لا تعتمد على المنطق والعقل، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾.

٥ ـ إنّ المقارنة بين الأصنام وبين الله ﷻ توقظ أيّ ضمير نائم، ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ﴾.

٦ ـ النِّظام الأحسن هو النِّظام الحاكم على عالم الوجود، ﴿ٱلْخَالِقِينَ﴾.

٧ ـ لا تليق العبادة إلّا بأحسن الخالقين، ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ﴾.

٨ ـ العبوديّة الخالصة هي سبب للنجاة من الحساب والعذاب الإلٰهيّين في يوم القيامة، ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

إشارات

❑ المراد من ياسين هو إلياس الذي تعرّض له قبل آيات، فهما اسمان لمسمّىً واحد، كما في مثل (سينا) و(سينين) والتي هي اسم مكانٍ. وأفضل دليل على هذا الأمر هو أنّه في الآيات اللّاحقة يذكره مستخدماً ضمير المفرد، فيقول: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا﴾، هذا أولاً، وثانياً، إن تشابه وتكرار هذه الآيات في سياق الحديث عن الأنبياء السابقين أي عن نوح، إبراهيم، موسى وهارون يدلنا على أن المراد من إلياسين في قوله سلام على إلياسين هو نفس (إلياس) في قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

❑ الروايات التي وردت بقراءة ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ بـ (آل ياسين)، والتي صرَّحت بأنّ

المراد منها أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)، لم ترد عن أهل البيت ولا يمكن الاعتماد عليها.

□ تكرار آية: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في هذه السورة لأجل الترغيب في اتّباع الأنبياء؛ لأنّهم كانوا من المحسنين.

التعاليم

١ ـ نتعلّم من الله ﷻ التوجه بالسلام على الأنبياء والأولياء، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾.

٢ ـ من السنن الإلٰهيّة الثابتة اللطف والعناية الإلٰهيّة الخاصّة بالمحسنين، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣ ـ معيار تلقي السلام من الله ﷻ هو الإحسان الذي يكون قريناً للإيمان والعبوديّة، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ... ٱلْمُحْسِنِينَ... عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٤ ـ كلُّ من كان كإلياس ممّن يدعو إلى الدّين، فهو من المحسنين الذين يستحقّون تلقّي الثواب الإلٰهيّ، ﴿إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ... سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ... ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

إشارات

□ غابر بمعنى باقٍ، كما أنّ الغبار هو ما يتبقّى من التراب.

□ العجوز هي المرأة الطاعنة في السنّ، العاجزة عن العمل والسعي.

□ كلمة دمّرنا من التدمير بمعنى الإهلاك.

□ تقع قرية قوم لوط والتي نزل بها العذاب في طريق الحجاز والشام حيث كانت القوافل تعبر إلى جانبها صباحاً ومساء.

□ يذكر علماء النفس من أصحاب الاتّجاه اللاديني أسباباً لبناء الشخصيّة الإنسانيّة

يخضع الإنسان لها بشكلٍ غير اختياري، ومن ذلك ما يعبَّر عنه بـ (النّظام الاجتماعيّ أو النُّظام الاقتصادي هو الباني لشخصيّة الإنسان).

ولكن الإسلام يرى الإرادة محور بناء الإنسان لا الظروف الخارجيّة الحاكمة عليه، فهذه زوجة فرعون وقد كانت في بيت فرعون تعيش معه بل وشريكة حياته؛ ولكنّها لم تقع إطلاقاً تحت سيطرته، كما نجد العكس فهذه زوجة لوط ونوح كانتا تعيشان في بيت نبيين ولكنّهما اختارتا طريقاً آخر.

التعاليم

١ ـ التعرّض لتاريخ الأنبياء وما لاقوه من صِعَاب لتسلية النبيّ ﷺ ولتثبيت المؤمنين، ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٢ ـ يُعطي الله ﷻ كلَّ إنسانٍ ما يستحقُّه من ثواب أو عقاب، ﴿نَجَّيْنَٰهُ... إِلَّا عَجُوزًا﴾.

٣ ـ العلاقة التكوينيّة التي تخضع لقوانين الطبيعة لا تكون سبباً للنجاة، بل لا بدّ من توافر علاقة عقائدية فكرية، ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾.

٤ ـ حساب الأنبياء منفصل عن حساب زوجاتهم، ﴿نَجَّيْنَٰهُ... إِلَّا عَجُوزًا﴾.

٥ ـ أهل بيت الأنبياء إنّما هم الذين يتّبعونهم فكرا وعملا لا الذين يرتبطون بهم نسباً، ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا﴾.

٦ ـ لا فرق بين زوجة النبي وبين سائر الناس مع عدم امتلاكها للرقيّ المعنويّ، ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

٧ ـ النجاة والهلكة بيد الله ﷻ، ﴿نَجَّيْنَا... دَمَّرْنَا﴾.

٨ ـ لا ينبغي العبور على آثار الماضين دون نظرٍ واعتبار، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٩ ـ مصير قوم لوط عبرة للجميع، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

إشارات

- يُطلق على العبد الهارب دون إذنٍ من مالكه اسم (العبد الآبق). والنبيّ يونس ﷺ ترك قومه دون أن يأذن الله له في ذلك.
- ساهم: من السهم وهو بمعنى القرعة. وقد ذكروا أنّ حوتاً منع السفينة من متابعة سيرها، ورأوا أنّه إن لم يذهب أحد منهم فداء فإنّ الخطر سوف يحدق بكافّة المسافرين. ولذا بعد أن خرجت القرعة على يونس ألقوه في فم الحوت ليرتفع بذلك الخطر عنهم.
- مدحضين: من الإدحاض بمعنى الاهتزاز وهو في هذه الآية كناية عن الانكسار وما لحقه من كون القرعة عليه ولم تكن له.
- يُطلق الحوت على السمك سواء أكان كبيراً أم صغيراً؛ ولكنّه يستعمل في السمك الكبير أكثر.
- إذا كان الخروج والابتعاد عن الناس من قِبَل النبيّ بأمرٍ إلهيّ فإنّ هذا الخروج يكون موضعاً للتقدير، ولذا وجّه الخطاب إلى لوط بقوله: ﴿...فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ...﴾[1]؛ ولكنّه متى كان بلا إذن فإنّ مثل هذا الخروج يكون فراراً ولا يقدّر عليه الإنسان ﴿أَبَقَ﴾.
- لا بدّ من أن تكون القصّة مختصرة ومتنوّعة ومفيدة. وفي هذه السورة تعرَّض الله ﷻ لقصّة كلّ نبيٍّ بعددٍ محدود من الآيات.
- لجأ يونس إلى الفرار لقلّة صبره؛ لذا لم يكن في ذلك أسوةً لسائر الأنبياء اللّاحقين، وبهذا يفسّر الخطاب الإلٰهيّ لنبي الإسلام، ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ

---

(١) سورة هود: الآية ٨١.

﴿ٱلۡحُوتِ﴾[1]، وكذلك به يفسّر تأخير قصة هذا النبي في كلام الله ﷻ إلى الأخير.

التعاليم

١ ـ في التعرّف على تاريخ الأنبياء درس لنا اليوم، ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

٢ ـ اللّجوء إلى القرعة بين الأفراد أمر مشروع، ومعروف سابقاً، ﴿فَسَاهَمَ﴾.

٣ ـ قد تكون الحيوانات مأمورة من عند الله ﷻ للقيام بعمل، ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾.

٤ ـ الفرار من المسؤوليّة ليس طريقاً للخلاص (يونس فرّ من قومه؛ ولكنه أصبح في حال أسوأ)، ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾.

٥ ـ بعض المشاكل التي نقع فيها في حياتنا تنشأ من التقصير في أداء المسؤوليّة، ﴿أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ... فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾.

٦ ـ الإنذار قد يكون لازماً أحياناً، ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾.

٧ ـ لا ينبغي لتبدّل الظروف أن يكون سبباً لابتعادنا عن الله ﷻ، ﴿مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾.

٨ ـ تسبيح الله ﷻ سبب للخلاص من الابتلاءات والمصائب. فيونس ﵇ نادى وهو في بطن الحوت: ﴿...سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾.

٩ ـ من أسباب النجاة أن يكون للإنسان رصيدٌ في طاعة الله ﷻ. (فقد كان كل من فرعون ويونس في داخل الماء، ومصير فرعون كان الغرق وأمّا مصير يونس فهو النجاة؛ لأن الأول كان من العصاة والثاني كان من الصالحين)، ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

١٠ ـ إذا اقتضت الإرادة الإلٰهيّة فإنّ بإمكان الإنسان اللبث حيّاً إلى يوم القيامة في بطن الحوت، ﴿لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾. فالعمر الطويل للإمام المهديّ ليس بعيداً ولا مستبعَداً.

---

(١) سورة القلم: الآية ٤٨.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

﴿۞ فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

إشارات

- نبذ بمعنى رمى والعراء هي الأرض القاحلة التي لا نبات فيها.
- تُطلق كلمة شجر على الشجرة نفسها وقد تُطلق على النبات الذي لا ساق له ولا أغصان، واليقطين هو القرع وقد احتمى به يونس من حرّ الشمس، ومن الحشرات؛ لأنّها لا تجتمع على ورقها.
- قد يرد العدد في القرآن الكريم بنحو التحديد، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾؛ والمراد عشر ليال لا تزيد ولا تنقص.

وقد يرد العدد ويكون المراد منه الكثرة. نحو قوله تعالى: ﴿...لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1]، فقد كان بعض اليهود يتمنّى أن يعيش ألف سنة والمراد من الألف الكثرة.

وقد يرد العدد في القرآن ويراد به العدد التقريبيّ كالآية التي نتعرّض لها بالشرح الآن، حيث ورد في تعداد قوم يونس أنّه مائة ألف أو أزيد، ﴿مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

ورد في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام: لبث يونس في بطن حوت ثلاثة أيام... فأخرجه الحوت إلى الساحل ثمّ قذفه فألقاه إلى الساحل وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهو القرع، فكان يمصه ويستظلّ به وبورقه، وكان تساقط شعره ورقّ جلده[2].

- لقد حفظ الله أربعة من الأنبياء: موسى ويوسف من جانب الماء، نوحاً على وجه الماء، ويونس في داخل الماء، ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ... فَنَبَذْنَهُ﴾.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن تمنع المحبّة من اللوم. فقد وجّه الله عزّ وجلّ لومه ليونس ولاقى ما

(١) سورة البقرة: الآية ٩٦. (٢) انظر: تفسيري القمي ونور الثقلين.

لاقى؛ ولكنّ ذلك لم يجعله موضعاً للحرمان من العنايات الإلٰهيّة الخاصة، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ، أَنۢبَتۡنَا، أَرۡسَلۡنَٰهُ﴾.

٢ ـ لا ينبغي تجاهل أدوية الأعشاب، ﴿شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾.

٣ ـ من آيات القدرة الإلٰهيّة إنبات اليقطين في أرضٍ خالية من النبات (العراء)، ﴿أَنۢبَتۡنَا... شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾.

٤ ـ ينبغي في الإدارة الاستعاضة عن التخلّي عن الطاقات بالسعي لإعادة بنائها والاستفادة منها ثانية، ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾.

٥ ـ سعة ومحدوديّة دعوة الأنبياء تابعة للاختيار والأمر الإلٰهيّين. (بعض الأنبياء بعث للناس كافة، وبعضهم بعث لمنطقة خاصة)، ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾.

٦ ـ دعاء يونس وتسبيحه من أسباب نيله اللطف والعون والنصرة من الله، ﴿مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ... أَنۢبَتۡنَا﴾.

٧ ـ لا يُعدّ الفرار دليلاً على عدم الرجوع. فيونس لجأ إلى الفرار؛ ولكنّه رجع إلى قومه وأدّى وظيفة إبلاغ رسالته. (نعم قد يضطر الإنسان قهراً للاستقالة أو لطلاق زوجته؛ ولكن ذلك لا يمنعه من الرجوع مع المصلحة في ذلك)، ﴿أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ... وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾.

٨ ـ التوبة عمّا سلف سببٌ للنعيم في المستقبل. فقوم يونس تابوا فرفع الله ﷻ عنهم العذاب وأفاض عليهم النِعَم، ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ﴾.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

التعاليم

١ ـ سؤال الوجدان مفتاح للتفكير واليقظة، ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ﴾.

٢ ـ بعض المعتقدات تفتقد للمنطق إلى حدٍّ يكفي أدنى تأمّل أو تفكير للتوصّل إلى بطلانها، ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾.

٣ ـ سوف يُسأل المجرمون عن ظنّهم أنّ الملائكة من الإناث، ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا﴾.

٤ ـ لا يحقّ للجاهل أن يُبدي رأيه في الأمور، ﴿وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾.

٥ ـ عقائد المشركين أفكار موضوعة وكاذبة، ﴿مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾.

٦ ـ التعرّض بالحديث للناس عن العقائد الخرافيّة التي يؤمن بها الآخرون يثمر في إدراكهم قيمة الهداية الإلٰهيّة، ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾.

٧ ـ إنّ الذين يقولون إنّ المسيح هو ابن الله هم كالمشركين الذين جعلوا الملائكة بناتاً لله، ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾.

٨ ـ الولد ذكراً أو أنثى سواء، ولا فضل لأيٍّ منهما على الآخر، ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾.

٩ ـ تصل العقيدة الباطلة بالإنسان إلى أن يرى السوء في البنت والخير في الصبيّ، فينسب البنات إلى الله والصبيان إليه، ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾.

١٠ ـ لا بدّ من أن تكون المسائل الاعتقادية موافقة للعقل، ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؛ أو تعتمد على الفطرة، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، (تذكّر ذلك الشيء الذي تقتضيه الفطرة الإنسانيّة أو الذي يَعتمد على النقل، ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ﴾.

١١ ـ الكتب السماويّة هي حجّة وأساس في الحكم في ما يرجع إلى الله ﷻ، ولا حديث في هذه الكتب عن وجود ولد لله ﷻ، ﴿فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

إشارات

□ في المراد من هذه العلاقة المدَّعاة بين الله ﷻ وبين الجن رأيان: أحدهما أنّ الجنّ شريك لله ﷻ، كما نقرأ ذلك في الآية المئة من سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾، والثاني أنّ الله ﷻ قد اتَّخذ زوجةً من الجنّ ومنهما ولدت الملائكة.

التعاليم

١ ـ الإنسان المجرّد من كلّ منطقٍ وبرهان يصدّق كلَّ خرافةٍ وتهمةٍ تُنسب لأيّ أحدٍ، إلى حدّ يصدّق فيه بأنّ لله ﷻ زوجة من الجنّ، ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾.

٢ ـ الجنّ موجود عاقل ومكلّف يَعتقد بالمعاد والمثول بين يدي الله ﷻ للحساب في ظلّ سلطة العدل الإلٰهيّ، ﴿عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

٣ ـ الكلُّ يخضع للحساب بين يديّ الله ﷻ وليس لله قرابة مع أحد، ولو أنّ للجنّ نسباً مع الله ﷻ لما تمّ إحضارهم بين يدي الله ﷻ للحساب والعقاب، ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

٤ ـ كلَّما جرى الحديث عن خرافةٍ تُنسب إلى الله ﷻ، فإنَّ من اللازم تنزيه الذّات الإلٰهيّة بذكر التسبيح وهو قول: (سبحان الله)، ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ... سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

٥ ـ كلَّما تعرَّضت الآيات بالحديث عن الضَّالين والمنحرفين، أُخرِج عباد الله بالاستثناء. ففي هذه السورة تكرّر قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

٦ ـ البشر كافّةً، عدا عباد الله المخلَصين، عاجزون عن وصف الله ﷻ بما يليق به، ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

إشارات

- كلمة فاتن من (الفتنة) وهي بمعنى الغواية.
- فتعاليم الشرك وعبادة الأصنام تعجز عن الصمود أمام التوحيد ولو كان لها أنصار اليوم فإنّها سوف تصل في المستقبل القريب إلى طريقٍ مسدود.
- كلمة صالٍ من (صالي)، وهو الشخص الذي يلازم شيئاً عن اختيار منه لذلك.

التعاليم

١ ـ خلق الله ﷻ الإنسان حرّاً وهو الذي يختار طريقه بيده وليس للأصنام ولا لعبَدة الأصنام القدرة على إجبار أحدٍ على شيءٍ من ذلك، ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾.

٢ ـ من يخضع لتأثير المشركين والأصنام هم أصحاب الطينة الخبيثة وأعداء الحقّ فقط. (المشركون والأصنام عاجزون عن خداع الناس وعن الوقوف أمام التوحيد إلّا من أراد باختياره أن يسلك طريق الشرك والانحراف)، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

إشارات

- قد يكون المراد من المقام المعلوم هنا مقام المخلَصين الذي ورد التعرض له في الآيات السابقة: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[١]، أي إنّ لكلٍّ واحدٍ من العباد المخلَصين والمصطَفين من الله ﷻ مقاماً ومنزلةً معيّنة. كما ورد في بعض الروايات بيان أنّ مصداق هذه الآية هم الأئمّة المعصومون والأوصياء الإلٰهيّون[٢].

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٦٠.

(٢) انظر: تفسيري نور الثقلين وراهنما.

التعاليم

١ ـ لكلّ موجودٍ في عالم الملائكة مقام ومنزلة ومسؤوليّة خاصة في سلسلة مراتب الوجود، ﴿مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾.

٢ ـ ليست الملائكة ببنات الله، بل هي مخلوقات خاضعة للأمر الإلٰهيّ تعمل على امتثال أوامره وقد اصطفّت لذلك بنظمٍ وانضباط، ﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾.

﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

إشارات

- ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ مشركي مكة وكفّار قريش كانوا يظهرون تعجّبهم من اليهود والنصارى كيف يكذّبون أنبياءهم وكانوا يقولون لو أنّ عندنا كتاباً من عند الله لآمنا به، ولكن حين جاءهم محمد صلى الله عليه وآله كفروا به[1].
- لعلّ معنى الآية أنّ المشركين كانوا يقولون لو أنّ لدينا خبراً عن الموحّدين السابقين وأنهم يَحيون الآن حياةً سعيدة لكنّا من أهل التوحيد أيضاً، ولجهلهم اتّجهوا إلى الكفر.

التعاليم

١ ـ الدعاوى كثيرة والمدّعون كثر؛ ولكن عندما يحين وقت العمل يُميّز المؤمن من الكافر، ﴿لَوۡ أَنَّ عِندَنَا... لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ... فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ﴾.

٢ ـ لا يصحّ ردّ المنطق والاستدلال باستعراض التاريخ الماضي، ﴿لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

٣ ـ لا بدّ من التفكير في عاقبة العمل، والغفلة عن العاقبة سبب موجب للكفر والإنكار، ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

إشارات

❑ ورد التعرّض في هذه السورة لقصص عددٍ من الأنبياء كنوح، إبراهيم، موسى، هارون، إلياس، لوط ويونس. وهذه الآية هي بمثابة البيان النهائي وخاتمة عمل هؤلاء العظام وذلك لأجل طمأنة النبيّ ﷺ وتشجيع المسلمين.

❑ **سؤال**: كيف نشاهد أنّ الهزيمة قد تلحق ببعض أولياء الله ﷻ مع أنّ الله ﷻ وعدهم بالنصر والظفر؟

الجواب: **أولاً**: إنَّ هذا الوعد الإلٰهيّ قد تحقَّق ونحن نجد اليوم أنَّ عدد أتباع الأديان السماوية هم أكثر من أتباع سائر المذاهب الوضعيّة البشريّة. ونجد أنّ أعداء الأنبياء أصابهم الفناء فلا أثر لهم ولا ذكر. وأمّا ذكر الأنبياء ﷺ فما زال حيّاً، ونشاهد الناس كيف تتعامل باحترام مع ما يُنسب من الأمكنة إليهم. ولذا نجد أنَّ درجة محبّة الأنبياء وقداستهم في نفوس الناس لا يمكن مقارنتها مع أيٍّ من العلماء والفنّانين والكتّاب والشعراء وأهل السياسة على مرّ التاريخ.

ثانياً: إنّ السبب في الهزائم التي لحقت بهؤلاء هو تقصير أتباعهم في أداء مسؤوليّاتهم وعجزهم، لا انعدام النصرة والمدد الإلٰهيّين. كما هو الحال في معركة أحد فإنّ سبب الهزيمة التي لحقت بالمسلمين هو ما لحق بهم من ضعف وتخلّف عن طاعة أمر النبي ﷺ.

ثالثاً: لا ينبغي أن ننسى الانتصار العلمي والمنطقي والعقلي.

رابعاً: لا ينبغي أن ننسى الهلاك والعذاب الإلٰهيّ الذي لحق بالكفار.

خامساً: لم نصل إلى نهاية الدنيا بعد والأهداف الحقّة سوف تسود في هذه الأرض بظهور المهدي (عجل الله تعالى فرجه).

التعاليم

١ ـ نصرة الأنبياء سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾.

٢ ـ مستقبل البشريّة سوف يكون انتصاراً للأنبياء وهزيمةً لأعدائهم، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾.

٣ ـ العبوديّة لله ﷻ هي شرطٌ لوصول الأولياء إلى مقام الرسالة، ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

٤ ـ من الأمور الحتميّة انتصار مدرسة الأنبياء على سائر المدارس، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾. (ودليل ذلك اقتران الآية بتأكيدات ثلاثة هي: حرف إنّ، وحرف اللام، والجملة الاسمية).

٥ ـ العبوديّة لله هي الأرضيّة المؤهّلة لتلقّي النصرة منه تعالى، ﴿لِعِبَادِنَا... ٱلْمَنصُورُونَ﴾.

٦ ـ الأنبياء وأتباعهم هم جند الله ﷻ، وجند الله هم المنصورون في كافّة الساحات، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا بدّ للمربّي والقائد من اللّجوء أحياناً إلى الإعراض عن الناس الضّالين والمعاندين تهديداً منه لهم واعتراضاً عليهم، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾.

٢ ـ من كان الوعد الإلٰهيّ هو دعامة نصره، لا بدّ له من التصرف من موقع القوّة، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾.

٣ ـ الإعراض والتولّي عن الضّالين لا بدّ من أن يكون منطقيًا، إلهيًا وموقتًا. (ولا يكون انتقامياً، ولأغراض نفسية، كما لا يكون دائماً).

٤ ـ لا بدّ من اللّجوء إلى التكرار في مقابل تكذيب الكافرين بالوعيد الإلٰهيّ. فقد تكرّر الأمر بـ ﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ... وَأَبْصِرْ﴾.

٥ ـ التنبيه والتذكير وإتمام الحجّة يكون أولا، ثمّ بعد ذلك يأتي دور القوّة والعذاب، ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾؛ مع أنهم كانوا قبلاً قد أنذروا، ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

٦ ـ سوف يُذيق الله ﷻ طعم الهزيمة للمعاندين في هذه الدنيا، وسوف يُشاهد المؤمنون عاقبة ذلك، ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

٧ ـ العزّة التامة هي من الله ﷻ، ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾.

٨ ـ ما ينسبه المشركون إلى الله ﷻ والأوصاف التي يُطلقونها عليه تتنافى مع مقام العزّة والربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

٩ ـ الله ﷻ هو منبع كافّة الكمالات ومصدر الجمال، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

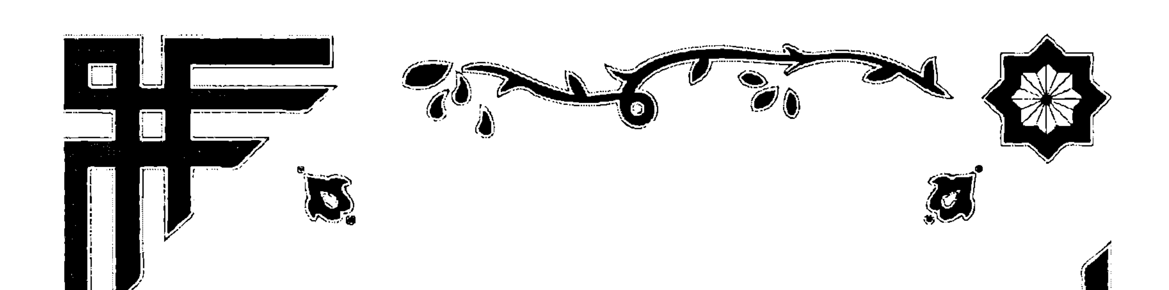
١٠ ـ الله ﷻ وحده هو الذي يستحقّ الحمد، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

١١ ـ الله ﷻ هو مالك ومدبّر الوجود كله، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٢ ـ الوجود كلّه يسير نحو الكمال والرشد، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٣ ـ عالم الخلقة هو تجلٍّ ومظهر من مظاهر الربوبيّة الإلٰهيّة، والربوبيّة تقتضي الحمد والثناء، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ صٓ

السورة: ٣٨ الجزء: ٢٣

عدد الآيات: ٨٨





ملامح سورة ص

سورة «ص» مكيّة وعدد آياتها ثمانية وثمانون.

اسم هذه السورة مأخوذ من الآية الأولى فيها وهو أحد الحروف المقطّعة.

آيات هذه السورة كسورة الصافات تشرح دوام بعثة الأنبياء على مرّ التاريخ ومواجهة المشركين والكفّار لعقيدة التوحيد وللإيمان بالمعاد.

تعرّضت سورة الصافات لسيرة بعض الأنبياء كنوح، لوط، موسى، هارون، إلياس ويونس، وأمّا هذه السورة فقد تعرّضت لسيرة وحياة النبي داود، سليمان وأيوب عليهم السلام.

وتتعرّض في آخرها لقصة خلق الإنسان، سجود الملائكة لآدم ومعصية الشيطان للأمر بالسجود، وذلك ليعلم المؤمنون ما لهذا الإنسان من كرامة ذاتيّة عند الله عزّ وجلّ وليحذروا بذلك من اتّباع الشيطان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

إشارات

- كلمة (عزّة) و(عزيز) هي بمعنى من لا ينفذ إليه. وهذه الصلابة والعزّة قد تكون في محلّها كما في مثل (إن العزة لله ولرسوله...) وقد تكون في غير محلّها وهي التي تكون بمعنى العناد اللجاجة والإلحاح. وقد يكون منشأ العزّة العلم والقدرة والكمالات الأخرى كالعزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأخرى يكون منشأ العزة هو التكبّر والغرور والتعصب والعجب، كما فيما تحكي عنه الآية: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾.
- (شقاق) بمعنى الاختلاف والنزاع الذي يؤدّي إلى الانفصال. ويُطلَق القرن على جماعة الناس الذين يعيشون في زمان متقارن.
- (لات) مركّبة من حرفين، هما: بمعنى النفي وحرف التاء وهو للمبالغة والتأكيد، كحرف التاء في كلمة (علامة). وتستعمل لات في نفي الزمان، أي إنّ هذا الزمان ليس هو زمان مثل هذا العمل. وأمّا كلمة (مناص) فهي من (النوص) بمعنى الملجأ[١].
- حرف «ص» هو من الحروف المقطّعة والتي ورد في الرواية أنّ هذه الحروف هي من المتشابهات التي يختصّ علمها بالله ﷻ[٢].
- المراد من نداء الكفار: ﴿فَنَادَوا۟﴾ هو إعلان ندمهم عن فعلهم السابق، وهذا ندم لن ينفعهم الآن. كما ورد في الآية الرابعة عشرة من سورة الأنبياء ذكر ما يتحدّثون به من قولهم: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

---

(١) تفسير نمونه. (٢) تفسير راهنما.

□ القرآن ذكر، ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾.

ـ ذكر مبارك، ﴿...وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ...﴾[1].

ـ هو ذكر للناس كافّة، ﴿...ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[2].

ـ في متناول الجميع، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ...﴾[3].

التعاليم

١ ـ يدل القسم في كلام الله بالقرآن الكريم على عَظَمة هذا الكتاب وحقانيّة النبيّ ﷺ، ﴿وَالْقُرْآنِ﴾.

٢ ـ القرآن يذكر الإنسان بفطرته الكامنة في داخله ويوقظها فيه ويذكّره بما نسيه، ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾.

٣ ـ على الرغم من اشتمال القرآن الكريم على معانٍ مختلفة ومتنوّعة وافرة، ولكن الهدف الأساس الذي تسير باتّجاهه هو هداية الناس وتذكيرهم، ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾.

٤ ـ عظمة القرآن بكونه ذكراً، ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾، كما أنّ قيمة العالم بعدم كونه من الغافلين. ولذا قال تعالى: ﴿...فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[4]، ولم يقل: «فاسألوا أهل العلم».

٥ ـ الإنسان حرٌّ في اختياره وحرٌّ في اختيار الطريق الذي يريده. والقرآن أُنزل لهداية الناس، ولكن بعضهم اختار طريق الكفر، ﴿ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

٦ ـ سبب كفر الكفّار عنادهم وإصرارهم على الكفر لا قصور القرآن في بيان الحقّ، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾.

٧ ـ لا بدّ من أخذ العبرة من حوادث التاريخ، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

(٢) سورة ص: الآية ٨٧.

(٣) سورة القمر: الآية ١٧.

(٤) سورة النحل: الآية ٤٣؛ وسورة الأنبياء: الآية ٧.

٨ ـ سوف تلحق الهزيمة بأهل الغرور ويتبدّل غرورهم نداءً واستغاثة، ﴿فَنَادَوا﴾.

٩ ـ لا مفرّ من العذاب الإلٰهيّ، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

١٠ ـ التوبة والاستغاثة إنَّما تنفع قبل وقوع العذاب، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ يظنّ الكفّار نقطة القوة لدى النبي نقطة ضعفه، (فكونه من الناس هي نقطة قوّة ولكن الكفّار يتعجبّون من ذلك)، ﴿وَعَجِبُوٓا۟... مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾.

٢ ـ الإنذار هي أهمّ وظيفةٍ من وظائف الأنبياء، ﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾.

٣ ـ لا بدّ أن يكون النبي من الناس لكي يطّلع على ما يحتاج إليه الناس وعلى مواقفهم وشعورهم ولكي يكون قدوةً لهم، ﴿مِّنْهُمْ﴾.

٤ ـ الغرور والخلاف في غير موضعهما يُعتبَران سبباً لتكذيب كلٍّ ما لا يُطابق الأهواء، ﴿فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ... وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

٥ ـ يَلجأ الكفار إلى استبدال لغة المنطق بلغة الاتّهام، ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾

إشارات

- (العجاب) هو الشيء العجيب جدّاً. (الانطلاق) هو الذهاب الذي يُقارن الانفصال عن المرافق. (الاختلاق) بمعنى كون الشيء كذباً لا سابق له، أي ما كان مصنوعاً من نفسه ومخترعاً من قِبَله، ومفترىً من عنده.
- (الملأ) هم الجماعة الذين يَمتازون بأنّهم من الأشراف الذين يملأون أعين الناس.
- مراد الكفّار من «الملّة الآخرة» دين المسيح عليه السلام والذي هو آخر الأديان السماوية قبل الإسلام، لأنّهم يقولون بالتثليث.

❑ قد يكون المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ الإشارة إلى ما يدعو إليه النبي ﷺ ويطلبه وأنّ مطلوبه شيء يُراد بالطبع وهو السيادة والرئاسة، وإنّما جعل الدعوة ذريعة إليه[1].

التعاليم

١ - أوّل خطوةٍ قام بها النبيّ هي رفض الآلهة المخترعة وإثبات الوحدانيّة لله ﷻ، ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾.

٢ - تعجب الكفّار كان من توحيد الله، ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾، ومن النبوّة، ﴿عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الآية السابقة، ومن المعاد، ﴿...أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[2].

٣ - من الصعب على أكثر الناس التخلّي عن عقائدهم السابقة والإيمان بالاعتقاد الجديد، بل ينظرون إلى ذلك على أنه أمر عجيب، ﴿أَجَعَلَ... لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.

٤ - قد يصل الباطل إلى درجةٍ من الاستحكام والقوّة بنحو يُرَى الكلام الحقّ كلاماً عجيباً وغير مقبول، ﴿هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.

٥ - يسعى أئمّة الكفر إلى السير أولاً في خطّ الانحراف، ومن ثمّ دعوة الآخرين إلى سلوك طريق الانحراف؛ وذلك لكي يستطيعوا التأثير، ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ... أَنِ ٱمْشُوا۟﴾.

٦ - ثمّة جماعةٌ من بين الكفّار هي سبب انحراف الآخرين وبقائهم متمسّكين بكفرهم، ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟﴾.

٧ - معرفة الكفّار ممكنة من خلال النظر إلى أقوالهم وأفعالهم:

أ - رمي الشبهات وبثّ الفتن، ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ... لَشَيْءٌ عُجَابٌ... عَجِبُوٓا۟﴾.

ب - السعي لإبعاد الناس عن اتّباع الحق، ﴿ٱمْشُوا۟﴾.

ج - استبدال الدعوة إلى التفكّر بالدعوة إلى التعصّب والرفض، ﴿ٱصْبِرُوا۟﴾.

د - الاعتماد على تقاليد الآباء أو مقارنة التعاليم الأخرى بتعاليم الإسلام، ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾.

---

(١) تفسير الميزان.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٩.

٨ ـ يستغل الكفّار عواطف الناس للدعوة إلى الكفر، ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾.

٩ ـ ليس كلُّ نوعٍ من الصبر والثبات يكون ممدوحاً، ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾. كما أنَّ كل تجديدٍ لا ينبغي أن يكون مرفوضاً، ﴿هَٰذَا... اخْتِلَاقٌ﴾.

١٠ ـ صبر الأنبياء هو في سبيل الله، ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، وأمّا الكفار فصبرهم على الأصنام، ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾.

١١ ـ ثبات أئمّة الكفر على الدعوة إلى الانحراف والترويج له، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾.

﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

إشارات

- (الذكر) هو من أسماء القرآن الكريم. وفي بداية هذه السورة ورد وصف القرآن بأنّه ذكر: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾. كما وصف في هذه الآية نزول القرآن على النبيّ ﷺ بأنّه نزول للذكر، ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، كما نقرأ في الآية ٤٨ أيضاً قوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾، كما ورد في آخر السورة قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

- الشك على نوعين: طبيعيّ وعمدي، وفي الشك الطبيعي يكون سعي الإنسان لفهم الحقيقة، قبل أن يصل إلى العلم، وهذا الشك يُعتبر أمراً إيجابيّاً ولازماً للعقل البشريّ.

ولكن قد يعلم الإنسان أحياناً بأمرٍ ما، ولكنّه يوقع نفسه في الشكّ ويَتجاهل ما علمه ويدعو الآخرين إلى الشك سعياً منه لإخفاء الحقيقة[1]. ومراد القرآن من قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ هو النوع الثاني من الشك.

---

(١) تفسير الميزان.

□ حرف ما في قوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا﴾، هو للتحقير، أي جيش ضعيف وصغير.

التعاليم

١ ـ شكُّ بعض الكفّار في رسالة نبي الإسلام ﷺ يرجع إلى شكّهم في أصل إمكان نزول الوحي، ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ... بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾.

٢ ـ بعض الذين يشكّكون في أحكام الدّين لا يؤمنون بالدّين كلّه، ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ...﴾.

٣ ـ تعود جذور بعض أنواع الإنكار إلى حجاب الحسد (كيف أصبح نبيّاً دوننا؟)، ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾.

٤ ـ من يواجه دين الله ﷻ وقادة هذا الدّين بالاستهزاء لا بدّ من أن يواجَه بنفس ذلك. ففي جواب من قال: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾، يقول القرآن: وما هي الصفة التي تؤهّلهم لذلك، فهل خزائن رحمة الله تحت أيديهم، أو أنّ مُلك السموات والأرض هو بأيديهم؟ إنْ هم إلّا جماعة مهزومة، ﴿أَمْ عِندَهُمْ... أَمْ لَهُم...﴾.

٥ ـ إذا كان الشكّ طبيعيّاً، فلا يَستتبعه العذاب ولا الهلاك، إلّا مع فرض إمكان رفع هذا الشك والوصول إلى اليقين مع عدم التقصير في هذا الأمر، ولكن التشكيك إذا نشأ من الغرور والاستهزاء بالغير والتكبّر عليهم فإنّه يستتبع القهر والعذاب، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾.

٦ ـ لا يؤمن الكفّار ما لم يذوقوا العذاب ويروا النار بأعينهم (لأنّهم حسيّون ولا يؤمنون إلّا بما يرونه بحواسّهم).

٧ ـ بعثة الأنبياء بغرض هداية الناس هي مظهر من مظاهر الرحمة والعزّة والعطاء الإلٰهيّ، ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾.

٨ ـ الله ﷻ معطاء في تربية الناس، ﴿الْوَهَّابِ﴾؛ ولكنه منزّه تماماً عن تأثير الميول البشريّة غير المبررة وغير المشروعة، ﴿الْعَزِيزِ﴾.

٩ ـ اختيار القائد والقانون لا بدّ من أن يكون بيد الله لأنّ نظام عالم الوجود بيده، ﴿مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. كما أنّ النظام التربويّ للإنسان بيده، ﴿رَبِّكَ﴾، كما أنّ رحمته واسعة لا نهاية لها (ولذا لا يحق للناس الاعتراض على صيرورته نبيّاً من بينهم).

١٠ ـ في العالم العلويّ أسباب تدبير العالم السفليّ، ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾.

١١ ـ مهما بلغ عدد أعداء الدّين وعتادهم فإنّهم في مقابل الحقّ لا عدد لهم، ﴿جُندٌ مَّا﴾، ولا قوّة، ﴿مَهْزُومٌ﴾، وليسوا حزباً واحداً بل هم أحزاب متعدِّدة، ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾.

١٢ ـ مصير كلُّ حزبٍ غير إلهي هو الهزيمة والانقراض، ﴿مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾.

١٣ ـ يخبر الله ﷻ عن الغيب وعن مستقبل الكفّار (فمكّة التي شهدت الإنكار والتكذيب بنبوّة نبي الإسلام ﷺ هي التي شهدت فتح مكّة من قِبَل النبيّ)، ﴿مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

إشارات

- (**ذُو الأَوْتَادِ**) صاحب المسامير، وهو كناية عن إثبات القوة والقدرة (**فَوَاقٍ**) بمعنى الرجوع. ويُطلق كذلك على الفصل في إرضاع الحيوان لصغيره لأجل امتلاء الضرع بالحليب.
- ﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾ بمعنى الشجرة، و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ هم القوم الذين يعيشون في مرتع من الماء والشجر.
- تشير الآيات المذكورة إلى المصير السّيىء الذي أصاب قوم ستّة من الأنبياء قبل الإسلام، ليعتبر بذلك الكفّار في زمان نبي الإسلام، وليعلم النبيّ ﷺ

وسائر المسلمين بأنّ تكذيب الأنبياء ليس جديداً بل وقع من قبل الأمم السابقة.

أمّا قوم نوح عليه السلام فقد أغرقهم الله عز وجل بالطوفان، ﴿...فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ...﴾[١].

قوم عاد وقد كذّبوا نبيّهم هوداً عليه السلام، وقد أهلكهم الله عز وجل بريحٍ عاتيةٍ، ﴿...فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[٢] وهي الريح القويّة التي لها صوت.

قوم فرعون الذين أهلكوا في النيل، ﴿...وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ...﴾[٣].

قوم ثمود الذين كذَّبوا صالحاً عليه السلام فأهلكوا بصيحةٍ من السماء، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾[٤]، أي أهلكناهم بالصيحة فأصبحوا هشيماً كالهشيم الموجود في حظيرة الحيوان.

قوم لوط الذين أهلكوا بالزلزال والحجارة من السماء، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا...﴾[٥].

أصحاب الأيكة الذين كذَّبوا شعيباً عليه السلام فأهلكوا بالصاعقة، ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ...﴾[٦].

التعاليم

١ ـ استعراض تاريخ الأمم السابقة المليء بالعبر يُعَدّ علامةً بارزةً لكون القرآن من الذكر، وهي الصفة التي وردت في الآية الأولى من هذه السورة وهي قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾.

٢ ـ يلجأ طاغوت كلِّ زمانٍ متى عجز عن مواجهة المنطق إلى الإيذاء والاعتداء، ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾.

٣ ـ قوم عاد وفرعون ونوح وثمود ولوط هي جماعات لم يكن لها نظير، ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾، (كلمة حزب تطلق على الجماعة المنسجمة والمتَّفقة، وكلمة

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ١٤.
(٢) سورة الحاقة: الآية ٦.
(٣) سورة البقرة: الآية ٥٠.
(٤) سورة القمر: الآية ٣١.
(٥) سورة القمر: الآية ٥٤.
(٦) سورة الحجر: الآية ٧٩.

«أولئك» التي تتضمّن نوعاً من الانحصار تشير إلى أنّهم كانوا قوماً لا نظير لهم).

٤ ـ تكذيب واحدٍ من الأنبياء هو بمثابة تكذيبٍ للأنبياء جميعاً، ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾.

٥ ـ الصيحة والصاعقة نوعان من العذاب الإلٰهيّ في هذه الدنيا، ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾.

٦ ـ إذا جاء العذاب فلا مجال لعودة الكفّار، ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾.

٧ ـ تكذيب الأنبياء هو سيرة الكفار الدائمة على مرّ التاريخ، ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾.

٨ ـ يلجأ الكفّار إلى الاستهزاء بالعذاب الإلٰهيّ، ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾.

٩ ـ الغرور والعناد يجعلان الإنسان مكابرا في انتظار الخطر، ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾.

١٠ ـ القيامة هي يوم الحساب، ﴿يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

❑ تعرّضت هذه السورة لتاريخ تسعة من الأنبياء، فذكرت ثلاثة منهم بالتفصيل وستة تعرّضت لهم بالإجمال. وأوّل هؤلاء هو داود عليه السلام الذي أثنت عليه الآيات بعشرة كمالات.

❑ تعرّضت هذه الآيات لكمالات عشرة حازها داود عليه السلام:

أ ـ مثالٌ في الصبر لنبي الإسلام، ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾.

ب ـ العبوديّة لله عزّ وجلّ، ﴿عَبْدَنَا﴾.

ج ـ اللّجوء إلى الله ﷻ دائماً، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

د ـ القدرة والقوة، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾.

هـ ـ تسخير الجبال لتسبّح معه، ﴿مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾.

و ـ حشر الطير معه، ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾.

ز ـ رجوعها إلى الله معه، ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

ح ـ الملك والسلطة، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾.

ط ـ الحكمة الإلٰهيّة، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾.

ي ـ الحكم والفصل في النزاعات وعند الاختلاف، ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

☐ تعرّض القرآن الكريم وفي العديد من الآيات للطيور، من ذلك:

أ ـ قصّة إبراهيم وإحياء الطير على يديه، ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾[1]، فالطير وسيلة لمعرفة التوحيد والمعاد.

ب ـ من معجزات عيسى عليه السلام أنه كان يصنع من الطين مجسماً كهيئة الطير فينفخ فيها فتصير طيراً بإذن الله، ﴿...وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا...﴾[2].

ج ـ في هذه الآية حيث تسبّح الطير مع داود، ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾

د ـ هدهد سليمان الذي كان رسولاً أوصل كتاب سليمان إلى القوم، ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ...﴾[3].

هـ ـ للطير لغة والأنبياء يعرفون لغة الطير، ﴿...عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ...﴾[4].

و ـ الطير الذي كان سبباً في هلاك أعداء الله، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[5].

ز ـ الطيور المسبّحة والتي تقيم الصلاة، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.
(٢) سورة المائدة: الآية ١١٠.
(٣) سورة النمل: الآية ٢٨.
(٤) سورة النمل: الآية ١٦.
(٥) سورة الفيل: الآية ٣.
(٦) سورة النور: الآية ٤١.

□ المراد من الحكمة، المعارف المتقنة، اليقينيّة والتي لا تقبل الشك والترديد، خلافا للعلم الذي يكون دائماً في معرض الخطأ والتشكيك.

التعاليم

١ ـ ينبغي للقائد أن يتمتَّع بسعة الصدر والصبر مقابل كلام السوء الذي يصدر من الآخرين، ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

٢ ـ تذكّر تاريخ الماضين يساعد على مواجهة المصاعب والمشاكل، ﴿وَٱصْبِرْ... وَٱذْكُرْ﴾.

٣ ـ الاستهزاء والحرب الإعلامية سيرة مستمرّة يقوم بها الكافرون، ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ (الفعل المضارع رمز الاستمرار).

٤ ـ الاستهزاء وإعلام العدو شديد ومسيء جدّاً (ولذا كان النبي ﷺ وهو الموصوف بسعة الصدر والحلم بحاجة إلى الصبر أيضاً)، ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ...﴾.

٥ ـ الأنبياء بحاجة أيضاً إلى المواعظ الإلٰهيّة، ﴿ٱصْبِرْ﴾.

٦ ـ لا ينبغي نسيان دور القدوة في التربية، ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾.

٧ ـ مصدر القدرة على الصبر العبوديّة واللّجوء إلى الله ﷻ، ﴿عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾.

٨ ـ السلطة التي كانت في يد فرعون كانت السبب في استبداده، ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾؛ ولكنّها حيث تكون بيد عباد الله تترافق مع التضرّع والعبودية لله، ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

٩ ـ ينبغي الثناء على توبة وإنابة أصحاب السلطة، ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

١٠ ـ التوبة والإنابة التي لها أهميّتها، هي تلك التي لا تكون مختصرة وللحظة فقط، ﴿أَوَّابٌ﴾، فالنبي داود ﷺ كان كثير الإنابة والرجوع إلى الله ﷻ في كافّة أمور حياته، وهذا الالتفات الدائم كان سببا في ما كان لديه من سلطة، ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

١١ ـ يُمكن للإنسان وبسبب التكامل المعنويّ أن يجعل الطبيعة تسير معه، ﴿سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾.

١٢ ـ العمل الثوريّ الذي قام به داود (الوارد في الآية ٢٥١ من سورة البقرة، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾...). كان سبباً في هذه الألطاف الإلٰهيّة، ﴿سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ... وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾.

١٣ ـ أفضل الأوقات لذكر الله ﷻ العشاء، وعند الصباح كذلك، ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾.

١٤ ـ العبوديّة شرط لتلقّي الألطاف الإلٰهيّة، ﴿عَبْدَنَآ... ذَا ٱلْأَيْدِ... وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾.

١٥ ـ مهما أراد الكفّار الإصرار وعدم الإقرار بسرّ تعظيم الله ﷻ، ولكن ينبغي عليهم أن يعلموا أنّ الوجود في حالة تسبيح لله ﷻ، ﴿يُسَبِّحْنَ﴾.

١٦ ـ للجبال نوع من الشعور، ﴿مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾. كما أنّ بإمكان الحيوانات معرفة الأوقات، ﴿مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ﴾.

١٧ ـ محور تسبيح الحيوانات والجمادات في عالم الوجود هو تسبيح أولياء الله، ﴿مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ... كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

١٨ ـ للطير نوع من الشعور بالله ﷻ وبعالم الوجود، ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

١٩ ـ لا بدّ من أن تقوم الدولة على أساس الحكمة والعدل، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

٢٠ـ النبي داود عليه السلام هو من الأنبياء الذين رزقوا النبوّة والمُلكَ معاً، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ... وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾.

٢١ ـ لا ينفصل الدّين عن السياسة، وقد كان بعض الأنبياء حكّاماً، ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ... وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ... وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

٢٢ ـ لا بدّ لنا من دعم وتقوية دولة أولياء الله. فجملة: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ ترمز إلى أنه ينبغي علينا أيضاً دعم وتأييد ملك أولياء الله ﷻ ودولتهم.

٢٣ ـ ينبغي امتلاك قادة المجتمع لبعض الصفات؛ كالارتباط الدائم بالله ﷻ، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، والسلطة، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾، والحكمة، ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾، والقدرة على الفصل بين المتخاصمين بقوة المنطق، ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات

- (الخصم) بمعنى النزاع والاختلاف، ويطلق على كلا طرفي الدعوى أنّه خصم. كلمة سور تعني الحائط المرتفع، وتسوّراً بمعنى الصعود إلى أعلى الحائط. وكلمة محراب لها معنيان؛ فتارة ترد بمعنى أعلى المجلس وأفضل مكان في المجلس حيث يجلس كبار القوم، وأخرى بمعنى محل العبادة ومكان إمام الجماعة. والشطط هو التجاوز والزيادة والظلم.

- ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «... **فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكين فتسورا المحراب**»[1]. ولعلّه يمكن أن نستفيد من هذه القصة أنّ صناعة الأفلام وتغيير الشكل أو الديكور وإيجاد نوع من الأجواء الحماسية، الصداقة أو العداوة الافتراضيّة، تغيير شكل اللباس والصوت وسائر الأعمال الفنيّة جائز إذا كان لأجل الاختبار أو التعليم، والله العالم.

- لقد بيّن القرآن الكريم في الآيات السابقة الكثير من الكمالات للنبيّ داود عليه السلام وآخرها كان فصل الخطاب، أي القضاء الحاسم والجازم.

- وأمّا في هذه الآيات فإنّ الإشارة فيها إلى ما هيّأه الله عزّ وجلّ لنبيّه داود عليه السلام ليختبره ويعلّمه في ختام هذا الاختبار كيف يحكم بين الناس. وهذه الحادثة التي جرت طبقاً لبعض الروايات من قِبَل بعض الملائكة، حيث فاجأ رجلان النبي داود عليه السلام بحضورهما عنده بنحو ظنّ أنّهما يريدان به سوءاً ولكنّهما طلبا منه أن لا يخاف لأنّهما خصمان اختلفا في أمر يريدان منه الفصل بينهما.

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٩٤، باب ١٤، حديث ١، نقلاً عن تفسير راهنما.

□ يدعم كون المتخاصمين هما مَلَكين ما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام حيث ظهرت الملائكة عليهما ففزعا، فطلبت منهما الملائكة عدم الخوف.

□ للعدالة محوريّتها في القضاء، ولذا ورد التأكيد على العدل في هذه الآيات بعبارات ثلاث مختلفة: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾، و﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾، ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾.

التعاليم

١ ـ لا بدّ قبل الكلام من إيجاد الدّافع لدى المخاطب لاستماع ما نريد قوله، ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾.

٢ ـ يدعو الله عز وجل نبيّه إلى قراءة تاريخ الماضين، ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾.

٣ ـ الظروف المحيطة بممارسة القضاء من الخوف أو عنصر المفاجأة تكون سبباً للعجلة في إصدار الحكم، ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ... فَفَزِعَ﴾.

٤ ـ القضاء في المحراب عبادة، وهذا الأمر يزيد من قداسته وأهميته. (فدكّة القضاء لدى الإمام علي عليه السلام كانت في مسجد الكوفة، ودكّة القضاء لدى داود عليه السلام كانت في المحراب)، ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾.

٥ ـ الخوف والفزع الطبيعي قد يقع من الموحّدين أيضاً، ولا يتنافى ذلك مع التوحيد، ﴿فَفَزِعَ﴾.

٦ ـ الأنبياء وبحكم كونهم بشراً يفزعون من الأمور المفاجئة وغير المتوقّعة، ﴿فَفَزِعَ﴾.

٧ ـ لا بدَّ في القضاء من حضور طرفي الدعوة في المحكمة، ﴿خَصْمَانِ﴾.

٨ ـ الأنبياء هم المرجع والملجأ الذي يلوذ به الناس، ﴿دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ... خَصْمَانِ بَغَىٰ...﴾.

٩ ـ تذكير القاضي عند القضاء وسيلة لحفظه ولصونه من الخطأ والاشتباه، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ﴾.

١٠ ـ ينبغي أن يكون سعي طرفي الدعوى إلى معرفة الحقّ لا حفظ مصالحهما، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾.

١١ ـ ينبغي على قادة المجتمع الإلٰهيّ وقضاته أن يكونوا من الذين يستمعون النصيحة والحقّ، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾.

١٢ ـ تطبيق العدل في المجتمع سببٌ في هداية الناس إلى الصراط المستقيم والابتعاد عن الإفراط والتفريط، ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات

□ جملة: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾؛ أي اجعلها في كفالتي وهذا التعبير كناية عن العطاء والهدية، والمراد من قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِى﴾ من العزّة أي غلبني.

التعاليم

١ ـ النزاع والاختلاف لا يؤدّي إلى نفي الأخوّة، ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ... إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾.

٢ ـ الإنسان بطبعه حريص ويطلب المزيد، ولا يشبع من مال الدنيا، ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾. (وذلك خلافاً لنظرية بعض الفلاسفة الذين يرون أنّ إطلاق العنان في كسب الشهوات والغرائز هو وسيلة للاستقرار، فيرون أنّ الإنسان متى شبع استقرّ).

٣ ـ من كان قاصداً سلب حقّ الآخرين يوفّر مقدّمات عمله ذاك من خلال توفير المنطق الاستدلالي له أمام ما يريد، ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾.

٤ ـ كم من مظلوم لم يتمكّن من أن يبيّن حقّه بكلام متين، فيكون أضعف من الظالم في ذلك. فلا بدّ للقاضي من أن يسعى لاكتشاف الحقيقة ولا يقع في فخّ حلاوة لسان المتّهم، ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات

- ورد التعرّض لقصّة قضاء داود في التوارة الموجودة، ولكنّها تختلف عمّا جاء في القرآن الكريم فهي تنسب له ما لا يَليق بمقام الأنبياء من الكذب ونحوه.

فقد ورد في الإصحاح الثاني عشر من كتاب صموئيل: فأرسل الرب ناثان إلى داود. فجاء إليه وقال له: كان رجلان في مدينةٍ واحدةٍ واحد منهما غنيّ والآخر فقير. وكان للغنيّ غنم وبقر كثيرة جدّاً. وأمّا الفقير فلم يكن له شيء إلّا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها وربّاها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً، تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة. فجاء ضيف إلى الرجل الغنيّ فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيئ للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذي جاء إليه. فحمي غضب داود على الرجل جدّاً، وقال لناثان حي هو الرب إنّه يقتل الرجل الفاعل ذلك. ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنّه فعل هذا الأمر ولأنّه لم يشفق. فقال ناثان لداود: أنت هو الرجل. هكذا قال الربّ إله إسرائيل. أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول. وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيّدك في حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكذا. لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشرّ في عينيه؟ قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي العجلة في القضاء، كما لا ينبغي أن يكون القضاء بالاعتماد على كلام أحد الطرفين فقط. (فالنبيّ داود عليه السلام قضى على أساس سماع أحد طرفي الدعوى والخصومة فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾؛ لذا طلب العفو من الله عزّ وجلّ).

٢ ـ طلب الزيادة، ولو لم يحصل الإنسان على تلك الزيادة، ﴿ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾.

٣ ـ قد يكون الإنسان مالكاً لأموال كثيرة، ولذا لم يوجه دواد لومه لمالك التسع وتسعين نعجة، بل وجّه لومه على طلب الزيادة ظلماً، ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ...﴾.

٤ ـ لا بدّ من أن يُعتمد في اختيار الشريك، الإيمان والعمل الصالح، وإلّا كان الإنسان في معرض وقوع الظلم عليه والتعدّي على حقوقه، ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي... إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

٥ ـ الإيمان والعمل الصالح متى اجتمعا أثمرا، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٦ ـ الشركة باب للزلل وضياع حقّ الشريك، ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي﴾.

٧ ـ الاقتصاد السليم يتحقق في ظلّ الإيمان والعمل الصالح، ﴿لَيَبْغِي... إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٨ ـ قليل من الناس يراعي حقَّ الآخرين، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

٩ ـ كافّة الناس حتّى الأنبياء هم في معرض الاختبار والامتحان، ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾.

١٠ ـ أفضل الموعظه هو الوصية بالإيمان والعمل الصالح ومراعاة حقوق الناس (فقد طلب من النبي داود عليه السلام: ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾، وقال داود عليه السلام: ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي... إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.

١١ ـ يلجأ الأنبياء وبسبب أبسط مخالفة يقعون بها إلى أفضل أنواع الإنابة والتوبة (ترك الأولى من داود كان بقضائه قبل استماعه لطرفي الدعوى)، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

١٢ ـ التوبة إذا كانت على الفور كانت أهمّ، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ﴾؛ (حرف الفاء).

١٣ ـ الربوبيّة الإلٰهيّة هي سبب طلب العفو، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾.

١٤ ـ لحقوق الناس أهميّة بالغة بنحو لو وقع الاستعجال في إصدار الحكم حتّى من النبيّ فإنّ ذلك لا بد من أن يقترن بالاستغفار، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾.

١٥ ـ كان الركوع جزءا من الصلاة حتّى قبل الإسلام، ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾.

١٦ ـ ينبغي أن تكون التوبة في الظاهر وفي الباطن ومن الأعماق أيضاً، ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

١٨ ـ التوبة مضافاً إلى جبرانها ما مضى هي ضمانة للمستقبل كذلك، ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

١٩ ـ المقام المعنويّ له أهميّته إذا أدّى إلى حسن العاقبة وضمان المستقبل، ﴿لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

٢٠ ـ قد تجتمع الدنيا والآخرة لبعض الناس، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ... سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ... عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ أوكل الله ﷻ تدبير أمور عباده إلى أنبيائه، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾.

٢ ـ تدبير أمور الناس حقٌّ من حقوق الله، يجعله لمن يشاء، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ﴾.

٣ ـ لا انفصال للدّين عن السياسة، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾.

٤ ـ تولّي السلطة وأمور الناس نعمة كبرى وشكرها يكون بتطبيق العدالة بين الناس، ﴿جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً... فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾.

٥ ـ الحقّ هو محور القضاء بين الناس، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾.

٦ ـ ينبغي على قادة المجتمع وقضاته أن يكونوا بعيدين عن اتّباع هوى النفس، ﴿خَلِيفَةً... فَٱحْكُم... وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾.

٧ ـ لا بدّ في الإدارة من المحافظة على القوى الفاعلة (فالله ﷻ لم يُخرج أحداً من أوليائه عن مقامه بمجرّد تركه لِمَا كان أولى)، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ... فَغَفَرْنَا... يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ﴾.

٨ ـ القضاء شأن من شؤون الحكم، ولا بدّ من أن يكون من الله ﷻ، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ... إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً... فَٱحْكُم﴾.

٩ ـ للدولة الدينيّة تاريخها الطويل، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ... جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً... فَٱحْكُم﴾.

١٠ ـ سلوك خليفة الله ﷻ لا بدّ من أن يكون مطابقاً للفعل الإلٰهيّ، ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ...﴾[١]، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾.

١١ ـ كلُّ ما يقف بوجه الحق هوى وهوس، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾.

١٢ ـ الخطر في القضاء يتمثّل في الابتعاد عن الحقّ واتّباع هوى النفس، ﴿فَٱحْكُم... بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾.

١٣ ـ كافّة الناس حتّى الأنبياء هم في معرض الوقوع في فخّ الهوى وما يصونهم من ذلك هو التحذير الإلٰهيّ، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾.

١٤ ـ لا تصحّ عبادة الهوى، سواء أكان ميلاً فرديّاً وشخصيّاً أو كان ميلاً جماعيّاً وحزبيّاً، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾.

١٥ ـ عبادة الهوى انحراف وضلال، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ﴾.

١٦ ـ الخطر يأتي بشكل تدريجيّ (الخطوة الأولى عبادة الهوى، الخطوة الثانية الانحراف عن طريق الله، الخطوة الثالثة نسيان يوم الحساب والقيامة ونتيجة ذلك كله العذاب الشديد)، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ... لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾.

١٧ ـ لا يكفي الإيمان بالمعاد؛ بل لا بدّ للإنسان من أن يكون ذاكراً للمعاد (يذكر القرآن في معرض حديثه عن بعض الناس أنّهم ممّن، ﴿...لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[٢]، ولكن نقرأ في هذه الآية أن بعض الناس، ﴿نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾.

١٨ ـ عبادة الهوى ونسيان يوم الحساب هما الخطر الذي يهدّد أولياء الأمر في المجتمع وحكّامه، ﴿جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً... وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ... نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾.

---

(١) سورة غافر: الآية ٢٠. (٢) السورة نفسها: الآية ٢٧.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ الخلق في الرؤية الكونيّة الإلٰهيّة فعل هادف، ﴿مَا خَلَقْنَا... بَٰطِلًا﴾، وفي الرؤية الكونيّة غير الإلٰهيّة الخلق فعل غير هادف، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾.

٢ ـ حيث كان نظام الكون مبنياً على أساس الحقّ فالحكم لا بدّ أن يكون على أساس الحقّ ليتكامل نظام القانون مع نظام الخلق، ﴿فَٱحْكُم... بِٱلْحَقِّ... وَمَا خَلَقْنَا... بَٰطِلًاۚ﴾.

٣ ـ لم تخلق في عالم الوجود أيّ ذرة عبثاً، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾.

٤ ـ لا دليل لدى الكفّار على ما يَعتقدون به، بل يعتمدون في ذلك على الظنّ، ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ...﴾.

٥ ـ حيث كان الخلق لغاية ولهدف فلن ينتهي وسوف يستمر إلى يوم القيامة حيث ينال المؤمن والكافر ما يستحقانه من ثواب أو عقاب، ﴿وَمَا خَلَقْنَا... بَٰطِلًاۚ... فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

٦ ـ الدليل على المعاد هو الحكمة والعدالة الإلٰهيّة. الحكمة: لم يُخلق شيء عبثاً وبلا غاية. والعدالة: أفنجعل المتقين كالفجّار؟ ﴿وَمَا خَلَقْنَا... بَٰطِلًا... أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾.

٧ ـ التقوى لا تعني العزلة والابتعاد عن الناس، بل تعني التواجد في الساحات والعمل، على أن يكون عملاً صالحاً، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٨ ـ الفساد لا ينحصر بالقتل والجناية، بل الذنب نوع من الفساد، ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ... كَٱلْفُجَّارِ﴾.

٩ ـ إنّ من ينظر إلى المحسنين والمفسدين بعينٍ واحدةٍ، فكأنّه ينظر إلى عالم الوجود على أنه باطل، ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... كَٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات

- تُطلق كلمة (مبارك) على الشيء الذي يكون الخير فيه والفائدة منه أمراً ثابتاً وفي حالة ازدياد. والقرآن مصدره مبارك، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى﴾، وقد نزل في ليلة مباركة، ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، وفي مكان مبارك، ﴿بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، وهو بنفسه مبارك، ﴿كِتَٰبٌ... مُبَٰرَكٌ﴾.
- ذكرت الآية الكريمة خصائص القرآن الكريم بالنحو التالي:

أ ـ إنّ نصّه مكتوب، ﴿كِتَٰبٌ﴾.

ب ـ إنّ مصدره الوحي والعلم الإلٰهيّ غير المتناهي، ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾.

ج ـ إنّ المتلقّي له هو الإنسان المعصوم، ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾.

د ـ إنّ محتواه مليء بالخير والبركة، ﴿مُبَارَكٌ﴾.

هـ ـ إنّ الهدف من نزوله هو التدبّر به، ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾.

و ـ إنّ العلم والاطلاع على ما فيه من معارف ومضامين يشكّل مقدّمة للحركة المعنويّة والقرب من الله، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾.

ز ـ من يُكتب له التوفيق في هذا هم العقلاء، ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

اهميّة القرآن والتدبّر فيه

- من لا يتدبّر في آيات القرآن مستحقّ للوم الإلٰهيّ، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1].
- العالم الربّاني هو من كان شغله تعليم القرآن وتدريسه، ﴿...كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[2].

---

(١) سورة محمد: الآية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

• لا بدّ من التعامل بحرص واهتمام جديٍّ مع الكتاب السماويّ، ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾

• من يجعل القرآن مهجوراً سوف يشكوه النبيّ الأكرم ﷺ إلى الله ﷻ في يوم القيامة، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[١].

• ورد عن الإمام السجَّاد عليه السلام أنّه قال: «**لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي**»[٢].

• ورد عند الإمام علي عليه السلام وصفه القرآن بقوله: «**بحر لا يدرك قعره**»[٣].

• يتحدّث الإمام الخمينيّ قدس سره عن أسفه؛ لأنّه لم يصرف عمره بتمامه في التدبّر بكتاب الله ﷻ[٤]، كما يأسف لذلك الملّا صدرا في تفسيره لسورة الواقعة.

التعاليم

١ ـ القرآن مبارك، (فالتلاوة، والتدبّر، والتاريخ، والاستدلال، والقصة، والقدوة، والمعارف، والأخبار الغيبية، والتشبيهات، والأوامر والنواهي كلّها مليئة بالرموز والأسرار)، ﴿كِتَٰبٌ... مُبَٰرَكٌ﴾.

٢ ـ القرآن وإن كان مباركاً؛ ولكنّه للتدبّر وليس للتبرّك بظاهره فقط (كالأمن من الخطر ولأجل حفظ البيت، في السفر وغيره)، ﴿كِتَٰبٌ... مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾.

٣ ـ التدبّر في القرآن هو مقدّمة للتذكّر، وإلّا فلا ينبغي أن يؤدّي الاطّلاع على أسرار القرآن ولطائفه بالإنسان إلى الغرور، ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟... وَلِيَتَذَكَّرَ﴾.

٤ ـ لا بدّ من تدبّر آيات القرآن كافّة لا آيات الأحكام خاصّة، ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

٥ ـ العقل شرط للتدبّر والاستفادة والالتزام بآيات القرآن، ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟... وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٠.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

(٤) صحيفة نور، ج ٢٠، ص ٢٠.

٦ ـ من لا يكون القرآن سبباً لتذكّره لا عقل له، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

٧ ـ القرآن مطابق للعقل، ولذا كان بإمكان أصحاب العقول ومن خلال التدبّر بآياته الوصول إلى أحكامه ورموزه، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. (ليس في القرآن أي أمر يخالف العقل).

٨ ـ لا نهاية لمعارف القرآن. فالأمر بالتدبّر للناس كافّة يدلُّ على أنّ كلَّ من تدبّر به وصل إلى جديد فيه، ولو أنّ العلماء والمفسّرين الماضين قد اكتشفوا كافّة أسرار القرآن لكان توجيه الأمر إلينا بالتدبّر لغواً، ﴿لِيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات

- الصافنات جمع صافنة وهي كلمة تطلق على الفرس عندما تقوم برفع أحد أقدامها عن الأرض شيئاً ما عند وقوفها وتضع الحافر على الأرض، وهذا يدل على نجابة الخيل. والجياد جمع جواد وهو الخيل السريع أو جمع جيّد بمعنى الثمين والغالي.
- كلمة خير تستعمل في أموال الدنيا والمراد منه هنا الخيل، وتركيب «حبّ الخير» هو بمعنى محبّة الشيء الذي يكون خيراً للإنسان. كما قال تعالى في مورد آخر: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[1].

توضيح وبحث

ثمَّ تفسيران مختلفان تماماً في مورد هذه الآيات، والتفسير المطابق لما ذكرناه هو التالي:

---

(١) سورة العاديات: الآية ٨.

كان النبي سليمان عليه السلام يَستعرض الجياد عند العصر لتجهيزها للجهاد، كما هو الحال في استعراضه لجنوده الوارد في الآية ١٧ من سورة النمل: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾؛ فارتباط سليمان بالخيل كان لأغراض جهاديّة وفي سبيل الله، ولذا قال: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾، واستمرَّ سليمان في استعراضه للخيل حتى توارت عن ناظريه، فأمر بإعادة عرضها عليه، وفي الاستعراض الثاني قام سليمان بالمسح على أعناقها وسيقانها إكراماً لها.

وهذا التفسير ينسجم مع ظاهر الآية وقد نقله الفخر الرازي والسيد المرتضى، كما أنَّه هو المستفاد من كلام العلامة المجلسي في بحار الأنوار (ج ١٤، ص ١٠٤). وطبقاً لهذا التفسير يكون المراد من جملة: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ ابتعاد الخيل عن محلِّ العرض وعن ناظري سليمان عليه السلام، ويكون المراد من: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ طلب تكرار عرضها عليه.

ولكن في بعض التفاسير نقرأ التالي: إنّ النبي سليمان عليه السلام شغله استعراض الخيل عن صلاة العصر حتّى غابت الشمس. وقد أزعجه ذلك وأمر بإعادة الشمس وانشغل بالوضوء بمسح يديه ورأسه وعنقه.

وهذا التفسير يواجه الملاحظات التالية:

١ ـ لم تتعرَّض الآيات إطلاقاً لذكر الشمس حتّى يكون المراد من قوله: ﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ هو الغروب، ولكي يكون المراد من: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ هو ردّ الشمس.

٢ ـ إنَّ النبيّ الذي وصفه الله عزّ وجلّ في الآيات السابقة مثنياً عليه بأنّه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ و﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ كيف يمكن أن يَصفه في الآية التالية بأنّه نسي الصلاة؟!

٣ ـ كيف يمكن توجيه طلب ردّ الشمس بلغة الأمر، ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾؟ فإذا كانت الصلاة التي تُركت واجبة فإنَّ ذلك يتنافى وشأن النبي عليه السلام وإذا كانت الصلاة المفترض أنّها تركت مستحبة فأيُّ معنى لردّ الشمس لأجل الإتيان بالنافلة؟

وقد ورد هذا التفسير في بعض الروايات، ولكنّ الروايات التي وردت بهذا التفسير ليست صحيحة السند، وتتنافى مع قواعد العقل ومنها أنّ الأنبياء لا بدّ أن يكونوا معصومين، ولذا كان من الأفضل إرجاع أمر هذه الروايات إلى أهلها(١).

التعاليم

١ ـ الولد هبة من الله لهذا الإنسان، ﴿وَوَهَبْنَا﴾.

٢ ـ العبوديّة لله ﷻ هي محور ثناء الله ﷻ على الإنسان، ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

٣ ـ ليس للظروف مرّةً كانت أو حلوةً من أثر في أولياء الله ﷻ. (جملة ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أُطلقت على داود وسليمان عليهما السلام وكانا يملكان كافّة الإمكانات، وكذلك لأيّوب عليه السلام الذي لاقى الشدائد والابتلاءات والمصائب).

٤ ـ اللّجوء إلى الله ﷻ والعودة إليه لا بدّ أن يكون على الدوام، ﴿أَوَّابٌ﴾.

٥ ـ استعراض القدرات والقوى المقاتلة أمر حسن، ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ...﴾.

٦ ـ لا بدّ للقائد من أن يستعرض القوى المقاتلة بنفسه وأن يُحيط بكميّتها وكيفيتها وقدراتها، وهذا شرط في القيادة، ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ﴾.

٧ ـ قيام أعلى سلطة باستعراض الحيوانات يدلّ على حسن الإدارة والتواضع، ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾.

٨ ـ مراسم الاستعراض أمر ضروريّ للقوى المقاتلة، ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ...﴾، كما قال تعالى في آيةٍ أخرى في شأن سليمان عليه السلام: ﴿جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾(٢).

٩ ـ لا مانع من حبِّ المال وغيره من الإمكانات الماديّة إذا كانت لهدفٍ وبنحوٍ متوازن ومعتدل، ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾، فهنا سليمان عليه السلام يتحدّث

---

(١) تفسير نمونه.

(٢) سورة النمل: الآية ١٧.

عن كون محبّته للخيل هي من محبّته لله ﷻ (لأن جيش التوحيد كلما كان أكثر قدرة كان سبباً للمزيد من العزّة).

١٠ ـ الخيل المقاتلة كانت محلّ اهتمام أنبياء الله ﷻ، ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾، كما أنّ القرآن الكريم وفي آيةٍ أخرى أقسم بالخيل، ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾.

١١ ـ قد يَلزم تكرار الاستعراض، ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾.

١٢ ـ الحيوانات تشعر بالمسح عليها من قبل الإنسان، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾.

١٣ ـ الرحمة بالحيوانات واللطف بها من عمل الأنبياء ﷺ، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.

١٤ ـ لا بدّ من أن يترافق الاستعراض مع التلطّف، ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ... فَطَفِقَ مَسْحًا﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات

□ تتحدّث هذه الآيات عن الامتحان الإلٰهيّ الذي تعرّض له النبيّ سليمان عليه السلام، واختلفت الآراء في تحديد هذا الامتحان:

أ ـ كان لسليمان عليه السلام أكثر من زوجة وكان يأمل أن يُرزَق بأولاد كُثر ليتولّوا من بعده إدارة الحكم والسلطة؛ ولكنّه غفِلَ عن ذكر الله فلم يقل: «إن شاء الله»؛ ولذا لم يرزق بأيّ ولدٍ على الإطلاق إلّا ولداً غير سويّ الخلقة فكان كالجسد بلا روح ملقىً على الفراش.

ب ـ ابتلى الله ﷻ سليمان عليه السلام بمرضٍ صار فيها جسداً بلا روح ملقىً على الفراش، ثمَّ كتب الله ﷻ له الشفاء، فعاد كما كان (وذلك بملاحظة أن أناب هي بمعنى رجع).

ج ـ إنَّ الله ﷻ ألقى جسد ولده ميتاً على تخته وكان سليمان عليه السلام شديد التعلّق به.

التعاليم

١ ـ كافّة الناس حتّى الأنبياء معرَّضون للامتحان الإلٰهيّ، ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾.

٢ ـ الامتحان والابتلاء وسيلةٌ لصقل الروح وبابٌ للقرب من الله ﷻ، ﴿فَتَنَّا... ثُمَّ أَنَابَ﴾.

٣ ـ حصريّة السلطة بيد المعصومين وأولياء الله لا تكون سبباً للانحراف والاستبداد، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ﴾.

٤ ـ لا بدّ أولاً من تطهير النفس من خلال التوبة والإنابة، ليَغسل وعاء الروح بذلك ثمَّ بعد ذلك يأتي طلب السلطة والملك من الله ﷻ، ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي﴾.

٥ ـ الاستغفار إذا سبق الدعاء كان سبباً لاستجابة الدعاء، ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.

٦ ـ بعض الأنبياء يَسعون وراء الحكم والملك، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.

٧ ـ لا يصل الأنبياء إلى الحكم بالظلم والجور، بل من باب اللطف الإلٰهيّ، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.

٨ ـ الانزواء والعزلة ليست سبباً لازماً لنيل المعنويّات وللإنابة والتضرّع، ﴿ثُمَّ أَنَابَ... وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.

٩ ـ عدم التدخّل في السياسة ليس من موجبات القداسة، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.

١٠ ـ لا ينحصر الطلب من الله ﷻ برفع البلاء والشفاء من المرض، بل مضافاً إلى ذلك يُطلب من الله ﷻ إصلاح ما مضى وجبرانه، كما يُطلب منه أن يهبنا الحكم ويَكتب النجاة للأمة، ﴿ثُمَّ أَنَابَ... وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.

١١ ـ الهمّة العليا التي كان يمتلكها سليمان كانت سبباً لطلبه من الله ﷻ ملكاً خاصاً، ﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ﴾.

١٢ ـ لا بدّ في الدعاء والمناجاة من التوسّل بالأسماء والصفات الإلٰهيّة المناسبة للدعاء، ﴿هَبْ لِي... أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

١٣ ـ العطاء الواسع والمستمرّ والمتتابع يكون من الله ﷻ فقط، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات

- كلمة رُخاء بمعنى السهل. فهذه الريح كانت ترفع سرير سليمان وتذهب به بهدوء إلى حيث يريد.
- المراد من الشياطين إمّا شياطين الجنّ الذين سُخِّروا لسليمان مع أنَّ طبيعتهم كانت التمرّد والعصيان، أو المراد الشياطين الأعمّ من العصاة من الإنس والمتمرّدين من الجنّ؛ لأنّ كلمة شيطان بمفهومها الواسع هذا وردت في القرآن الكريم، ﴿...شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ...﴾[1].
- خضعت وبإعجاز من الله ﷻ لسليمان كافّة قوى الطبيعة، الإنس والجن. فمجموعةٌ منهم كانت تعمل في البرّ وهي التي ورد التعبير عنها في الآيات بـ ﴿بَنَّاءٍ﴾، وفريق آخر يعمل في البحر وهي التي ورد التعبير عنها في الآيات بـ ﴿وَغَوَّاصٍ﴾.
- المراد من قوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا... بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، العطاء بغير حساب من الله ﷻ للأنبياء الذين لا يُحاسبون عنه ولا يؤاخذون عليه.
- في كلام الله ﷻ في هذه الآيات بيانٌ للألطاف الإلٰهيّة التي وهبها الله ﷻ للنبيّ سليمان عليه السلام من ذلك: تسخير الريح والجنّ والأغلال التي جعلها على العصاة من الجنّ والاختيار الذي فوّضه الله ﷻ إليه ومقام القرب الإلٰهيّ والمستقبل المشرق.

وهذه النِّعم شيء من الملك الذي طلب من الله ﷻ أن يهبه له. نعم، لا بدّ في السلطة النموذجيّة من أن تتمكّن من حبس القوى المفسِدة للمجتمع، ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾، كما لا بدّ لهذه السلطة من أن توجد حلاً لمسألة النقل، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

﴿الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾، كما لا بدّ لهذه السلطة من أن تستفيد من المتخصّصين في مجال تخصّصهم، ﴿بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾، وأن تمتلك القدرة على اتّخاذ القرار، ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾، وأن تكون يدها مفتوحة بالعطاء، ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، مع وجود ضمانة للمستقبل المعنويّ، ﴿عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

□ الحكم مزلّة للأقدام وبيئةٌ موجِبَةٌ للانحراف وسوء العاقبة، ولذا كان دعاء يوسف في البئر وفي السجن بقوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾؛ ولكنّه عندما وصل إلى الحكم والسلطة طلب من الله ﷻ حسن العاقبة وأن يتوفّاه مسلماً، ﴿۞ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[1]، كما أنّ عاقبة النبيّ سليمان عليه السلام كانت حسنةً ولذا قال تعالى: ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

التعاليم

١ ـ الله ﷻ يستجيب دعاء الصالحين، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا... فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾.

٢ ـ إجابة دعاء سليمان تدلّ على صفاء نيّة سليمان في طلبه لملكٍ لا ينبغي لأحد من بعده، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا... فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾.

٣ ـ الطبيعة قد تكون عاملاً مثمراً ومفيداً وقد تكون وسيلة إضرار، وذلك تابعٌ للإرادة الإلٰهيّة، ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾[2]، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾.

٤ ـ للأنبياء ولاية تكوينيّة، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ... حَيْثُ أَصَابَ﴾.

٥ ـ لا تزال الصناعة متخلّفة جداً إذا قورنت بما كان في دولة النبي سليمان عليه السلام، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ، وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

٦ ـ قد يعمل الجنّ لما هو لصالح الإنسان، ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

٧ ـ من الممكن الاستفادة من القوى المتمرّدة باعتماد الإدارة الصحيحة، ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.
(٢) السورة نفسها: الآية نفسها.

٨ ـ للجنّ عقل وشعور وتخصّص في عملٍ معيّن، ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

٩ ـ للإنسان مضافاً إلى قدرته على التسلّط على سائر الناس وعلى الطبيعة القدرة على التسلّط على الجنّ والشياطين أيضاً، ﴿بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

١٠ ـ البحار مصدر من مصادر الثروة والطاقة، ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

١١ ـ لا بدّ في العمل الإداري إذا أريد القيام بمشاريع مهمّة من تعبئة كافّة القوى في سبيل ذلك، ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

١٢ ـ لا مانع من استثمار تخصّص الأجانب وغير المؤمنين، ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

١٣ ـ السجن ضرورة حتّى في الدولة الإلٰهيّة. فالمستفاد من كون بعض الجنّ بنّاء وبعضهم غواصاً، وكون بعضهم مقرّنين في الأصفاد أنَّ المجموعة الأخيرة لو كانت حرّة ومطلقة العنان لأخلّت بنظام حكومة النبيّ سليمان عليه السلام، ﴿مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾.

١٤ ـ الإمكانات والصلاحيّات في الدولة الإلٰهيّة مفوّضة من الله عزّ وجلّ للحاكم ورأس السلطة، ﴿سَخَّرْنَا... هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾.

١٥ ـ إذا دار الأمر بين العطاء أو الإمساك فالعطاء متقدّم، ﴿فَٱمْنُنْ﴾ وردت قبل ﴿أَمْسِكْ﴾.

١٦ ـ في الحكومة الإلٰهيّة تجد الأمن، الصناعة، الإدارة، والإمكانات الطبيعيّة مقارنةً للمقام المعنويّ، ﴿سَخَّرْنَا... بَنَّآءٍ... وَغَوَّاصٍ... وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾.

١٧ ـ لا تتنافى الرفاهيّة الماديّة، ﴿بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ مع مقام القرب الإلٰهيّ، ﴿ثُمَّ أَنَابَ... قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ... وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾.

١٨ ـ تبدأ أكثر الدول بداية حركتها بإضاءة اللون الأخضر وتتمتّع بالرضا النسبيّ من الناس، ولكنّها تبدأ تدريجيّاً بفقد ما لديها من قدرة ورضا، ولكن دولة النبي سليمان عليه السلام كانت عاقبتها حسنةً، ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾﴾

إشارات

- (النُّصب) بمعنى محل التّعب والعذاب، (الركض) بمعنى دكّ الأرض بالقدم، والمغتسل هو الماء أو المحل الذي يُغتسل فيه.
- ورد في الروايات: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن بليّة أيوب عليه السلام التي ابتلي بها في الدنيا لأيّ علّة كانت؟ قال: لنعمةٍ أنعم الله عليه بها في الدنيا وأدّى شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس عن دون العرش، فلمّا صعد ورأى شكر نعمة أيوب حسده إبليس، فقال: يا ربّ إنّ أيوب لم يؤدِّ إليك شكر هذه النعمة إلّا بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة أبداً، فسلّطني على دنياه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي إليك شكر نعمةٍ أبداً، فقيل له: قد سلّطتك على ماله وولده، قال: فانحدر إبليس فلم يُبقِ له مالاً ولا ولداً إلّا أعطبه، فازداد أيوب لله شكراً وحمداً،... فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء، فعاد أحسن ما كان وأطرأ، وأنبت الله عليه روضة خضراء، وردّ عليه أهله وماله وولده وزرعه[١].
- أمر الله عزّ وجلّ أيوب وفي سبيل أن يستعيد عافيته أن يضرب الأرض بقدمه فانفجرت عين من الماء بقدرة من الله عزّ وجلّ، وبعد أن غسل بدنه بذلك الماء ذهب المرض من جسمه.
- إنّ لتحمل المصاعب والابتلاءات من قبل الأنبياء ثماراً وبركات، منها:

  أ ـ أن لا يقع الناس في الغلوّ في شأنهم.

  ب ـ تلقّيهم للمقامات الخاصّة كثمرةٍ لصبرهم.

  ج ـ إذا كانت الابتلاءات تلحق بالكبار والعظماء فإنّ هذا يمنع من الاستهانة بالضعفاء والفقراء والمبتلين بالأمراض.

---

(١) تفسير نمونه؛ بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٣٤٣.

د ـ إنّ الناس تتعلّم منهم كيفيّة مواجهة البلاء.

- ورد في عدد من الروايات أنّ بعض الناس ظنَّ أنّ أيوب عليه السلام قد ارتكب ذنباً ولذا وقع في هذا البلاء، ولذا شمتوا به؛ مع أنّ ابتلاء أولياء الله يكون سبباً للرقيّ واكتساب الفضائل[1].

- تعرّضت السورة لقصّة نبيَّين عاشا حياةً مختلفة: أحدهما، النبيّ سليمان عليه السلام الذي كان يملك السلطة والإمكانات وكان له الملك الذي لا ينبغي لأحد. والآخر النبيّ أيوب عليه السلام والذي عاش المشاقّ والصِّعَاب والابتلاءات لمدّة طويلة من الزمن.

- ولكن القرآن يُثني على كلا النبيين بقوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾؛ لأنّ النعمة والبلاء لم تؤدِّ بأيٍّ منهما إلى الخروج عن العبوديّة لله عز وجل.

- فالصيّاد والغوّاص الماهر هو الذي يتمكّن من أن يقوم بعمله على أفضل وجه سواء كان ذلك في بحرٍ مالحٍ أو عذب، وملوحة الماء أو عذوبته لا أثر لها على عمل الصيّاد الماهر.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن يطوي النسيان سيرة الرجال العظماء. فتاريخ الأنبياء حتّى نبي الإسلام هو تاريخ بنّاء؛ لأنّ التعرّف على ما وقع به الآخرون من مصاعب موجبٌ لقوّة الصبر والعزم على التحمّل، ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾.

٢ ـ أيوب من العباد الحقيقيّين لله عز وجل، ﴿عَبْدَنَآ﴾.

٣ ـ لا مانع من الشكوى إلى الله عز وجل من المصائب والابتلاءات، ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

٤ ـ لا سلطة للشيطان على روح ولا على عقيدة أولياء الله ولكنّه قد يكون له دور في إلحاق الأذى الجسديّ بهم، ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٣٥١.

٥ ـ الصِعَاب والابتلاءات تُعتبر ساحةً مناسبةً للشيطان ليقوم بفعل الوسوسة، ﴿بِنُصْبٍ﴾ (بناء على أن يكون المراد أنّ الشيطان وصل إليّ بسبب ما لحق بي من البلاء).

٦ ـ الدّعاء مظهر من مظاهر العبوديّة، ﴿عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾.

٧ ـ لا بدّ من اللّجوء إلى الدّعاء لأجل رفع المصائب والابتلاءات، ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

٨ ـ دعاء الأنبياء مستجاب، وبعد الضيق يأتي الفرج، ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾.

٩ ـ المصائب والابتلاءات ليست دائماً بسبب البُعد عن الله ﷻ (قد يتعرَّض أولياء الله ﷻ لأصعب الابتلاءات ويتحمّلون ذلك، فقد تحمّل أيوب ذلك مع أنّه كان بإمكانه أن يَكتفي بضرب قدمه بالأرض لينبع الماء البارد)، ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ﴾.

١٠ ـ للاغتسال بالماء البارد تأثيره على السلامة الصحيّة، ﴿مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾، (لا بدّ من أن يكون ماء الاغتسال نظيفاً وصالحاً للشرب).

١١ ـ الطبيعة مسخّرة لله ﷻ، والله ﷻ يسخّرها لأوليائه، ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

- (الضغث) هو ملء الكفّ من الأعواد الرقيقة. و(الحنث) هو نقض العهد واليمين.
- ورد في الرواية أنّ زوجة أيوب كانت مضحّية ولم تترك نبيّ الله طيلة أيّام مرضه، ولكنّ الشيطان ظهر بصورته الطبيعية لزوجة أيوب، وقال لها: إنّي

أعالج زوجك بشرط أن تقولي حينما يتعافى: إنّي الوحيد الذي كنت السبب في معافاته، ولا أريد أيّ أجرةٍ على معالجته... الزوجة التي كانت متألّمةً ومتأثّرةً بشدّة لاستمرار مرض زوجها وافقت على الاقتراح، وعرضته على زوجها أيوب في ما بعد، فتأثّر أيوب كثيراً لوقوع زوجته في شرك الشيطان، وحلف أن يعاقبها.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي لأحد أن ييأس من رحمة الله في الشدائد وعند الابتلاء، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ... رَحْمَةً مِّنَّا﴾.

٢ ـ كثرة العيال من النّعم الإلٰهيّة، ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾.

٣ ـ الفرج والنعم من لطف الله، وليست من باب الاستحقاق أو الامتياز، ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾.

٤ ـ العقلاء فقط هم الذين يعتبرون ممّا يتعرّضون له من مصاعب أو مصائب، ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

٥ ـ طريق تخفيف العقوبة نتلقّاه من الله ﷻ، ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾.

٦ ـ حسن السلوك السابق، التضحية، والانتساب إلى بيت النبوّة لا تشكّل موانع من العمل بالقانون، ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾.

٧ ـ لا بدّ في الظروف الصعبة من السعي لحلّ المشاكل، ولكن مع الحفاظ على القانون وعدم مخالفته، ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾.

٨ ـ لا بدّ من حفظ حرمة العهد واليمين، ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾.

٩ ـ الصبر مرّ، ولكن عاقبته طيّبة، ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ... وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾.

١٠ ـ الإنابة والتضرّع إلى الله ﷻ هو منبع الصبر، ﴿صَابِرًا... إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

إشارات

❑ تعرّضت هذه الآيات بالاسم لستّة من الأنبياء (إبراهيم، إسحاق، يعقوب، إسماعيل، اليسع وذو الكفل)، وذكر لهؤلاء ست صفات هي: العبوديّة لله، القدرة، القوّة، البصيرة، الخلوص، الاصفطاء والإحسان.

❑ مصطفين جمع مصطفى وهو بمعنى المختار. الأخيار جمع خيّر بمعنى أهل الخير والإحسان.

❑ اليسع هو اسم نبيٍّ ورد التعرّض له بالاسم مرّتين في القرآن الكريم.

ففي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام «**فإنّ اليسع صنع مثل ما صنع عيسى؛ مشى على الماء وأحيى الموتى...**»[1].

❑ ورد عن الإمام الجواد عليه السلام في جوابه لعبد العظيم الحسنيّ: المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وإن ذا الكفل منهم صلوات الله عليهم، وكان بعد سليمان بن داود عليه السلام، وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داود، ولم يَغضَب إلّا لله عزّ وجلّ[2].

التعاليم

١ ـ لا بدّ من أن نبقي ذكر المطهّرين والأنبياء والعظام حيّاً، ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا﴾.

٢ ـ العبوديّة لله عزّ وجلّ هي منبع كافّة الكمالات التي وهبها الله عزّ وجلّ للأنبياء. فقد ذكر كلمة: ﴿عِبَادَنَا﴾ قبل ذكره لسائر الكمالات الأخرى.

٣ ـ لا بدّ للقائد من أن يمتلك القوّة والبصيرة، ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾.

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٤٢٢.
(٢) بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٣٤٨.

٤ ـ من علامات اللطف الخاص من الله ﷻ بعباده أنّه خصّهم بتذكّر القيامة على الدّوام، ﴿أَخْلَصْنَاهُم... ذِكْرَى الدَّارِ﴾.

٥ ـ من الصفات التي يختصُّ بها القادة الإلٰهيّون تذكّر الآخرة وتجنّب طلب الدنيا، ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾.

٦ ـ تذكّر الآخرة يُعطي الإنسان البصيرة، ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ... إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم...﴾.

٧ ـ أرقى ما يمكن أن يملكه الإنسان أن يكون من أصحاب الكرامة عند الله، ﴿عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ﴾.

٨ ـ من كان خالص العبوديّة لله والإحسان لله ﷻ فإنّ الله يُحيي ذكره، ﴿وَاذْكُرْ... وَاذْكُرْ...﴾.

٩ ـ من طرق الدعوة إلى الخير، تعظيم أهل الخير واحترامهم، ﴿وَاذْكُرْ...﴾.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا ينبغي أن يكون الهدف من الأخبار التاريخية التسلية، بل التذكير والتعليم، ﴿وَاذْكُرْ... هَٰذَا ذِكْرٌ﴾.

٢ ـ الذكر له مصاديق عدّة: فالقرآن ذكر، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[1]؛ والصلاة ذكر، ﴿...وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[2]؛ وتاريخ العظماء ذكر كذلك، ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾.

٣ ـ التقوى من أسباب حسن العاقبة، ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾؛ (كلمة مآب تعني الرجوع والعودة).

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٢) سورة طه، الآية: ١٤.

٤ ـ جذب الناس ودعوتهم إلى الحق لا يكفي فيه الكلام العامّ؛ (فلم يكتف الله بقوله: ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾، بل تابع الحديث عن الجنّات).

٥ ـ معرفة الماضي والالتفات إلى المستقبل المشرق، من الأمور المساعدة على الهداية إلى الحق، ﴿وَٱذْكُرْ... لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ... جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾.

٦ ـ نعم الجنّة من أصنافٍ شتّى. فالجنّات متعدّدة، ﴿جَنَّـٰتِ﴾؛ وهي أبديّة خالدة، ﴿عَدْنٍ﴾؛ مذلّلة لساكنيها، ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾؛ والنعم فيها وافرة، ﴿بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾.

٧ ـ من الصفات المهمّة في المرأة الجيّدة، عدم نظرها إلى غير زوجها، ﴿...قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾.

٨ ـ نعم الجنة على كثرتها خاضعة للحساب، ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾؛ لكنَّ رزقها لا ينفذ، ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.

٩ ـ المعاد جسمانيٌّ (ويدلّ على ذلك الحديث عن الاتّكاء، والشراب، والفاكهة، والأزواج)، ﴿مُتَّكِـِٔينَ... بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ... قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾

﴿هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾

إشارات

- مهاد جمع مهد وهو الفراش الموطأ. «حميم» هو الماء المغلي و«الغسّاق» هو القيح الشديد النتن.
- «مقتحم» الاقتحام هو دخول الشيء بشدة وصعوبة.
- «الشكل» بمعنى المثل، والأزواج بمعنى الأنواع، أي أنواع أخرى من مثل هذا النوع من العذاب.

التعاليم

١ ـ التقوى أساس كل خير، والطغيان والعصيان أساس كل شر، ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَئَابٍ... وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَئَابٍ﴾.

٢ ـ الطغيان سبب لسوء العاقبة، ﴿لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَئَابٍ﴾.

٣ ـ عذاب البرزخ متنوّع ومتعدّد، ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾.

٤ ـ يُظهر أهل الفساد نفورهم من أئمّتهم في يوم القيامة، ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾.

٥ ـ يقدّم الإنسان جهنم التي له أمامه، ﴿قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾.

٦ ـ دعوة الآخرين إلى المعصية لا تكون سبباً لسلب المسؤوليّة عن المذنبين. فعلى الرغم من قولهم: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾، فإنّهم يسكنون جهنّم بالفعل.

٧ ـ الترغيب والترهيب يتقارنان في النّظام التربويّ الإسلاميّ (آيات ثواب المتّقين وعقاب الكافرين).

٨ ـ الذين لا يتداعون في هذه الدنيا إلى الإيمان، سوف يُظهرون العداوة لبعضهم في الآخرة وهم في جهنم، ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا﴾

٩ ـ الدعاء الوحيد المستجاب من قِبَل أهل جهنم هو دعاؤهم بزيادة العذاب لمن قادهم إلى الكفر، ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾، ﴿...لِكُلٍّ ضِعْفٌ...﴾[1].

١٠ ـ ممّا يقع في جهنّم المواجهة والخصومة التي تقع بين أهلها (جماعة تقول: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾، وأخرى تجيب: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

إشارات

□ ورد في بعض الروايات المعتبرة أنّ جماعةً من شيعة أهل البيت عليهم السلام شكَوا إلى

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٩.

الأئمّة عليهم السلام ما يعاملهم به الآخرون حيث يعدّونهم أشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، فكان جواب الأئمّة عليهم السلام: فقال: أمَا والله لا يدخل النار منكم اثنان لا والله، ولا واحد، إنّكم الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾[١].

صور من تخاصم العاصين

☐ يبحث كلُّ مجرم في يوم القيامة عن شريكٍ له في الجرم، ليُلقي ذنبه عليه:

فبعضهم يقول: المجتمع سبب انحرافنا، ﴿...لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[٢].

وبعضهم يقول: الصديق سبب انحرافي، ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ...﴾[٣].

وبعضهم يقول: شريكي هو سبب انحرافي، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾[٤].

وبعضهم يقول: كبراؤنا سبب ضلالنا، ﴿...أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[٥].

وبعضهم يقول: الشيطان سبب ضلالنا، ﴿...فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم...﴾[٦].

التعاليم

١ ـ ينظر بعضهم إلى بعض الناس في الدنيا على أنّه من الأشرار، فيستهين به، ولكنّه سوف يفتقده في يوم القيامة، ﴿لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾.

٢ ـ يتعرّف أهل جهنم على بعضهم البعض ويمتلكون الوعي والإحساس، ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾.

٣ ـ لا يجب التسرّع في الحكم، فلعلّ بعض من ننظر إليه بعين الضِّعَة اليوم،

---

(١) أنظر: التفاسير التالية: أطيب البيان، نور الثقلين وكنز الدقائق.

(٢) سورة سبأ: الآية ٣١.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٩.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

يكون من أصحاب المقامات العليا في يوم القيامة، ﴿نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾.

٤ ـ القيامة يوم الإقرار والاعتراف، ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾.

٥ ـ يجلس أهل الجنّة في مجالس أنسٍ على تكايا ولكن أهل جهنم يغرقون في جدل ونقاش. ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

إشارات

❑ القهّار بمعنى صاحب القدرة القاهرة التي تقهر كلَّ قدرة وقوّة.

❑ ورد في بعض الروايات أنّ (النبأ العظيم) هو علي بن أبي طالب، وقد ورد عنه عليه السلام قوله: «**أَنَا النَّبأ العَظِيم**»[1]، كما نخاطب الإمام المهدي في دعاء الندبة بقولنا: «**يا ابن النبأ العظيم**».

❑ وهذا المعنى أكثر انسجاما مع ضمير (هو) الذي يُستخدم في حقّ الإنسان.

❑ المراد من الملأ الأعلى هو الأفق الأعلى الوارد في سورة النجم حيث قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، والهدف من المعراج الرقيّ بعلم النبي صلى الله عليه وآله، ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾.

وبناء عليه فلعلّ المراد من هذه الآيات التالي:

أيّها النبي! قل للناس: علي بن أبي طالب نبأ عظيم، وبعضكم أيّها المسلمون سوف يُعرض عنه، ويذهب إلى غيره.

لم أكن أعلم من الملأ الأعلى عن اختلاف الناس فيه؛ ولكنني في سفر المعراج ثبّتت إمامة علي بن أبي طالب ولا تظنّوا أن إمامته هي رأي شخصي من قبلي بل هي من وحي الله.

---

(١) الكافي، ج ٨، ص ٣٠.

نعم هذا المعنى هو المستفاد اعتماداً على الروايات وما ذكره في تفسير أطيب البيان، ولكنّ التفاسير الأخرى جعلت هذه الآيات مقدّمات للآيات التالية حول بدء الخلقة.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من إبلاغ الناس بمكانة النبيّ ﷺ ووظيفته، ﴿قُلْ﴾.

٢ ـ إذا شملت الغفلة الناس كافّة، فلا بدّ من توجيه الخطاب إليهم بلغة الإنذار، ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾.

٣ ـ يواجه الإنسان المخاطر والمضارّ، لكن بإمكانه الخلاص منها باتّباع ما يأمر به الأنبياء، ﴿أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾.

٤ ـ للإنذار والتحذير دور سابق على الترغيب والبشارة في عمليّة التربية، ﴿أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾.

٥ ـ الإنذار إنَّما يكون مؤثّرا متى كان عن قدرة، ﴿أَنَا۠ مُنذِرٌ... ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

٦ ـ القدرة والقوّة تكون في ظلّ التوحيد، ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، (وردت كلمة قهّار في القرآن في ستّة موارد وقد اقترنت بصفة الواحد).

٧ ـ عالم الوجود كافّة خاضعٌ لإدارةٍ واحدة وتدبيرٍ واحد، ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ، رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٨ ـ الله ﷻ هو المشرف على عالم الوجود كلّه وهو الذي يربّيه ويسير به نحو الكمال، ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

٩ ـ لا بدّ للمربّي من أن يمتلك القوّة والرحمة معاً، ﴿رَبُّ، ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾.

١٠ ـ إقبال الناس أو إعراضهم لا يدلّ على كون ذلك الأمر حقاً أو باطلاً، ﴿هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ، أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

١١ ـ لا بدّ في التبليغ والدعوة إلى الحقّ من استخدام الأساليب الواضحة وغير المبهمة، ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

إشارات

- سوّيته من (الاستواء) بمعنى الاعتدال والسوية في الخلقة.
- من الممكن أن تكون جملة (إذ قال) مرتبطة بجملة ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ في الآيات السابقة، أي لم أكن على علم من الملأ الأعلى بجوار الملائكة مع الله ﷻ عند خلق الإنسان. كما نقرأ في الآية ٣٠ من سورة البقرة أنَّ الله ﷻ خاطب الملائكة قائلاً: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فقالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.
- ورد التعرُّض لقصة خلق الإنسان وسجود الملائكة له في السور الآتية: البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء والكهف، وتكرار هذه القصّة لبيان تعصّب إبليس وحسده للإنسان وخطر التكبّر والإعراض عن التوبة ونحو ذلك ممّا يعيش الإنسان صراعاً معه على مرّ التاريخ.

  كما إنّ على الإنسان متى لاحظ مقام الإنسانيّة، حيث كان مسجوداً للملائكة أن يَحفظ هذا المقام ولا يَذهب به هدراً.
- ليس المراد من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ أنَّ شيئاً قد انفصل من الله ﷻ وأصبح جزءاً من الإنسان، بل المراد بيان منشأ وجذر الروح الإنسانيّة وأنّها من العالم الأعلى، وليست من التراب.
- ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنَّ الله تبارك تعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله ﷻ عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه»[1].

---

(١) تفسير نور الثقلين.

التعاليم

١ ـ الإنسان هو الموجود الوحيد الذي أخبر الله ﷻ ملائكته بأنّه سيخلقه قبل أن يخلقه، ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾.

٢ ـ خلق الملائكة سبق خلق الإنسان؛ (لأنّ الحوار دار بين الله ﷻ وملائكته قبل خلق الإنسان)، ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾.

٣ ـ نشأة الإنسان من التراب والماء، ﴿خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾.

٤ ـ خلق الروح كان بعد خلق الجسد، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾.

٥ ـ الروح وجود مستقلّ عن وجود الجسد، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾.

٦ ـ سجود الملائكة لآدم كان بسبب نفخ الله للروح فيه، ولكنّ بعض البشر لا يسجدون حتّى لله ﷻ وهو الحقّ، ﴿مِن رُّوحِى... لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.

٧ ـ للإنسان بُعدين: بعد مادّيّ وبعد معنويّ، ﴿مِّن طِينٍ... مِن رُّوحِى﴾.

٨ ـ لا بدّ لنزول الألطاف الإلٰهيّة من وجود الاستعداد اللازم. فإذا لم تكن الشروط المادّية متوافرة فإنّ الروح الإلٰهيّة لا يمكن أن تحلّ فيه، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾.

٩ ـ الروح موجودة في جميع الكائنات الحيّة، ولكن تعبير (روحي) خاص بالإنسان نظراً للكرامة الخاصّة التي جعلها الله ﷻ له من بين الكائنات، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾.

١٠ ـ الروح مخلوق لطيف (كلمة نفخ تدلّ على لطافة الروح).

١١ ـ الملائكة كالإنسان في كونها مورداً للأمر والنهي الإلٰهيّين، ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.

١٢ ـ السجود للإنسان يرجع إلى البُعد الروحي فيه لا الجسديّ، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ﴾.

١٣ ـ حيث كان السجود لآدم بأمرٍ من الله، كان من العبوديّة لله ﷻ وليس لآدم،

﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾. (سجود الملائكة كان مظهراً للاحترام والتعظيم والرضا بخلافة الإنسان وليس عبادة).

١٤ ـ الاستحقاق أهمّ من السبق (الملائكة كانوا أسبق من آدم ولكن حيث كان آدم أكثر استحقاقاً سجدت الملائكة له)، ﴿لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.

١٥ ـ الملائكة مسلّمون لله ﷻ، ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ﴾.

١٦ ـ العبادة عندما تكون جماعية تكون أعظم. فكافّة الملائكة سجدوا، ﴿كُلُّهُمْ﴾ وسجودهم كان معاً، ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

١٧ ـ ليس المهم أن يكون الإنسان بين الأخيار، بل المهم أن يكون من الأخيار، ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ... إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾.

١٨ ـ التكبّر مانع من التعبّد والتسليم، ﴿ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ...﴾.

١٩ ـ إبليس كان كافراً منذ البدء ولكن ترك السجود كشف عن كفره، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾

إشارات

- المراد من (عالين) وطبقاً لما ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ جماعة أفضل من الملائكة ولهم مقام ومنزلة ودرجة أُخرى[1]. ولعلَّ مراد النبيّ هو ما ورد أيضاً في الزيارة الجامعة خطاباً لأهل البيت عليهم السلام: «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتّى منَّ علينا بكم فجعلكم في بيوتٍ أذن الله أن تُرفَع».
- المراد من قوله تعالى: ﴿بِيَدَىَّ﴾ طبقاً للرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام هما يد القدرة ويد الحكمة، وإلا فالله ﷻ ليس جسماً ولا يد ظاهريّة له[2].

(١) تفسير أطيب البيان. (٢) المصدر نفسه.

التعاليم

١ ـ يُسأل العاصي عن سبب معصيته ويُبحث عن جذور ارتكابه المعصية، ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾، (أعطِ المذنب حقّ الكلام).

٢ ـ الأصل هو العمل بالحق والرضا به، وكلّ موردٍ يُخالف الحقّ لا بدّ أن يكون لمانعٍ يُعيق ذلك، ﴿مَا مَنَعَكَ﴾.

٣ ـ خلق الإنسان كان بعنايةٍ خاصة من الله ﷻ، ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾.

٤ ـ الاجتهاد مقابل النصّ من عمل إبليس، ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ... أَنَا۠ خَيۡرٞ﴾.

٥ ـ لا يكفي الإيمان بالله ﷻ وبكونه الخالق، بل لا بدّ من الطاعة والتسليم له (إبليس كان يؤمن بأنّ الله قد خلقه ولكنّه لم يطعه ولم يسلّم له)، ﴿خَلَقۡتَنِي﴾.

٦ ـ القياس الظنيّ لا يمكن أن يكون مرجعاً للتقييم الصحيح، (فإبليس قاس بين نفسه وبين الإنسان فوصل إلى هذه النتيجة)، ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ... خَلَقۡتَنِي﴾.

٧ ـ التعصّب القوميّ من التفكير الشيطانيّ، ﴿مِن نَّارٖ... مِن طِينٖ﴾.

٨ ـ التعصّب مانعٌ من معرفة الحقيقة. (فالشيطان كان يرى خلقته من النار ولم يكن يرى أنّ الله ﷻ قد نفخ في الإنسان من روحه)، ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾.

٩ ـ الكرامة تكون بكسب الكمالات لا بالمادّة والعنصر الأوليّ المكوّن للخلقة حيث يكون هو النار في إبليس والطين في الإنسان، ﴿مِن نَّارٖ... مِن طِينٖ... فَٱخۡرُجۡ﴾.

١٠ ـ الإدارة الحكيمة تقضي بإخراج الفرد المتمرّد على القانون، ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾.

١١ ـ الحرمان هو النتيجة المترتّبة على التكبّر والحسد، ﴿فَٱخۡرُجۡ﴾.

١٢ ـ لا بدّ من طرد العناصر الفاسدة من المجتمع، (ورد في القرآن ذكر كلمة رجيم في ستة مواضع، وفي جميعها كانت وصفاً لإبليس)، ﴿فَٱخۡرُجۡ... فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾.

١٣ ـ عقوبة الشيطان كانت في المكان، ﴿فَٱخۡرُجۡ﴾، وفي المقام، ﴿لَعۡنَتِيٓ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾

إشارات

❑ ورد عن الإمام علي عليه السلام: **«فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية، وإنجازاً للعِدَة»**[1].

التعاليم:

١ ـ لم يطلب إبليس العفو بسبب ما كان لديه من تكبّر، بل طلب المهلة للانتقام، ﴿أَنظِرْنِيٓ... لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾.

٢ ـ على الرغم من تكبّر إبليس وكفره ولكنّه لم ييأس من تلبية طلبه، ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾.

٣ ـ العمر بيد الله ﷻ، ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾.

٤ ـ كلمة (ربّ) ذات تأثير عند الدعاء، (فهذه الكلمة استخدمها أولياء الله وأعداؤه في دعائهم)، ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾.

٥ ـ إبليس يعلم بثبوت المعاد .﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، ويعلم بتوحيد الله ﴿رَبِّ﴾، ويعلم بنبوّة الأنبياء ﴿عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، فلم تكن مشكلة إبليس في عدم معرفته بهذا كلّه بل في تكبّره وعناده.

٦ ـ يستجيب الله ﷻ الدّعاء حتّى من شرّ خلقه، ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ... فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾.

٧ ـ العمر الطويل ثابت حتّى لغير إبليس، ﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾.

٨ ـ ليس كلّ طول عمرٍ يكون عن محبّة من الله ورضاً وسبباً للسعادة، ﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١.

٩ ـ قضت السنّة الإلٰهيّة بأن يُكتب الموت والفناء على الخلق كافّة، ولذا لا ضمان لطول عمر إبليس إلى يوم القيامة بل إلى يوم محدّدٍ معلوم، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾.

١٠ ـ الخطر الكامن من وسوسة إبليس خطر جدّي، (أقسم إبليس على أن يضل الناس بأيٍّ وسيلةٍ يمكنه بها ذلك)، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾.

١١ ـ قد يكون الذنب مقدّمة لذنبٍ أكبر أحياناً، (معصية إبليس بعدم سجوده لآدم كان مقدّمة لمعصيته بإضلال الناس عن الحقّ)، ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾.

١٢ ـ الإخلاص في العبوديّة شرط للأمن من الوقوع في فخّ إبليس، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

إشارات

- تصنّف العلاقة بين المتكلّم والكلام إلى أربعة أصناف:
  - أ ـ أن يكون المتكلِّم باطلاً وكلامه أيضاً باطل.
  - ب ـ أن يكون المتكلِّم باطلاً ولكن كلامه حقّ.
  - ج ـ أن يكون المتكلِّم محقّاً ولكن كلامه باطل.
  - د ـ أن يكون المتكلِّم محقّاً وكلامه حقّ.

  والله ﷻ هو الحقّ وكلامه حقّ ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾.

- ورد في بداية هذه السورة الحديث عن الذكر، قال تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾، وفي ختام هذه السورة أيضاً ورد التعرّض لصفة الذكر: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

- المراد من التكلّف الذي نفاه النبيّ عن نفسه هو عدم فرضه شيئاً على الناس فهو يقول كلاماً واضحاً ومنطقياً، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

□ طبقاً لما ذكرناه في تفسير الآية ٦٧ من هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ فإنّ النبأ العظيم طبقاً لما ورد في الروايات هو ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي ختام هذه السورة كما في تلك الآية ورد ذكر كلمة (هو) فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

ومن الملفت أنّه قد ورد في آياتٍ أُخرى أنَّ أجر رسالة النبي هو مودّة أهل البيت عليهم السلام، وهذه الآيات بعد أن نفت الأجر الماديّ على الرسالة، تعرّضت لأهل البيت عليهم السلام.

التعاليم

١ ـ لا يقول الله إلّا الحقّ، (تقديم كلمة الحق على أقول يدل على أنّه لا يقول سوى الحقّ)، ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾.

٢ ـ لا بدّ من الحديث بجدّ في مقابل حديث أهل الباطل عن باطلهم بجدّ. فالشيطان قال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ والله عزّ وجلّ قال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾.

٣ ـ يُجمع في يوم القيامة بين أهل الكفر وقادتهم وأئمّتهم في مكان واحد ﴿جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾.

٤ ـ للشيطان جسم وذلك لأنّ امتلاء جهنّم يتوقّف على أن يكون للشيطان جسم، ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾.

٥ ـ ينبغي أن يُعلِم الداعية لله الناسَ بأنّه لا يطلب الأجر، ﴿قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

٦ ـ شرط النجاح في الدعوة ألا يطلب الداعي من الناس شيئاً، ﴿قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ﴾.

٧ ـ لا ينتظر الأنبياء من الناس شيئاً لا ماديّاً ولا غيره، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾.

٨ ـ من شروط النجاح في الدعوة عدم التكلّف (لا يوقع المؤمن نفسه والآخرين في المشقّة في العمل والحديث والعشرة)، ﴿وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ فالتكلّف عمل قبيح ومذموم.

٩ ـ من يتمكّن من تحرير العالم لا بدّ من أن لا يكون أسيراً للقيود والعادات والتقاليد والرسوم، ﴿وَمَآ أَنَآ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

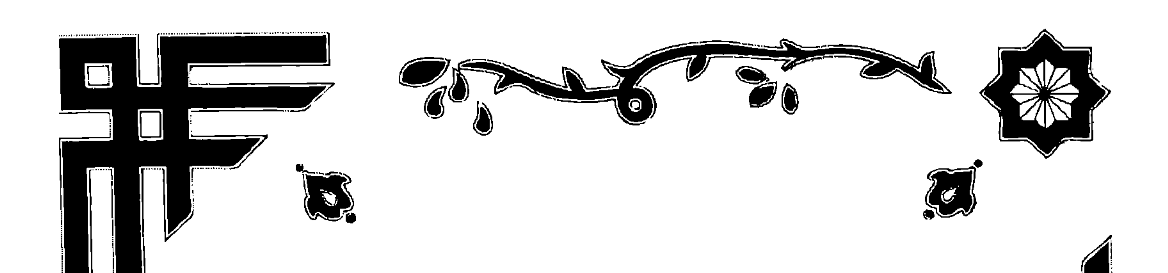
١٠ ـ رسالة القرآن عالميّة وأمميّة، ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

١١ ـ القرآن كتاب للنهوض والوعي، ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

١٢ ـ الإنسان بلا قرآن معرض لأنواع الغفلة والنسيان، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

١٣ ـ سوف يطّلع الناس على إخبار القرآن عن المستقبل، (تحقّق الوعد الإلٰهيّ وانتصار المتّقين والصالحين)، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

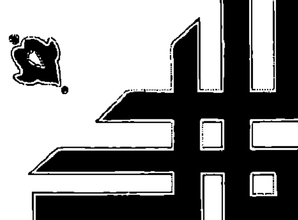


سورة الزمر

السورة: ٣٩ الجزء: ٢٣ ـ ٢٤

عدد الآيات: ٧٥





ملامح سورة الزمر

عدد آيات هذه السورة خمس وسبعون آية وهي من السور المكيّة، وهي كسائر السور المكيّة يغلب على آياتها الحديث عن التوحيد ويوم القيامة.

(الزمر) جمع «زمرة» هي الجماعة وتسمية السورة بهذا الاسم لأنّ أهل الجنّة وأهل جهنّم يدخلون إلى الجنّة وإلى النار جماعات جماعات، كما أشارت إلى ذلك الآيات ٧١ و٧٣ من هذه السورة.

تعتني هذه السورة وبشكلٍ مختلف عن سائر السور بموضوع التوحيد في الخالقيّة، الربوبيّة والعبادة خصوصاً الإخلاص في العبادة والعبوديّة.

ومن المسائل التي تعرَّضت لها هذه السورة بشكل تفصيلي مسألة إحضار الناس للحساب في يوم القيامة، حيث يكون الحكم لله ﷻ على أساس ما ارتكبه الإنسان في هذه الدنيا، ويُحضَر الشهود ويُساق المذنبون إلى جهنّم والمطهّرون إلى الجنّة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾

إشارات

- التنزيل هو النزول التدريجيّ، والإنزال هو النزول الدفعيّ ومرّة واحدة، وقد أشارت هاتان الآيتان إلى نوعي نزول القرآن.
- وردت مفردة العزّة ٨٨ مرة في القرآن الكريم وفي ٤٧ مورداً منها اقترنت بصفة الحكمة ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فالعزّة الدائمة إنّما تكون متى اقترنت بالحكمة. فالعزّة الحقيقيّة هي لله ﷻ لأنّه الخالق والمقتدر، يُحيط بعالم الغيب والشهادة وبيده الرزق فهو الذي يبسطه ويقبضه. ورد في الحديث: «فمن أراد عزّ الدّارين فليطع العزيز»[1].
- تكرّرت كلمة كتاب في الآيتين، حيث ورد في الآية الأولى قوله: ﴿ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾، وفي الآية الثانية ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ للدلالة على أنّ طريق عزّة الفرد والمجتمع هي بالارتباط بالله ﷻ والدّين الحق، وإنّ طاعة غير الله واتّباع غير دين الوحي الإلٰهيّ هو باب الذلّة والمهانة والخسران. فما سوى الله ﷻ العزيز مصيره الفناء، كما أنّ غير دين الحق هي أديان قاصرة أو تشتمل على الخرافات أو فيها أغلال، وهي مخالفة للفطرة، فالأديان المحرَّفة والموضوعة تكبِّل يد الإنسان وتعجز عن بناء المجتمع العزيز، ولذا ورد في الآية الثالثة قوله: ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.
- الأمر بالعبادة الخالصة لله ﷻ وإن كان موجّها للنبي ﷺ ولكنّه خطاب يشمل الناس جميعاً.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

□ الدين في اللغة هو الجزاء، التعاليم، الملة العبادة والطاعة، ولكن المراد من الدّين في هذه الآيات العبادة؛ لأنّ الحديث هنا عن العبادة، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

التعاليم

١ ـ ينبغي إدراك عظمة الكتاب السماويّ؛ لأنّه منزلٌ من الله ﷻ، وهو مظهر من مظاهر العزّة والحكمة الإلٰهيّين، ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٢ ـ خلافاً للعزّة التي لدى الطاغوت حيث تقترن بالاستبداد، فإنّ العزّة الإلٰهيّة هي قرينة الحكمة، ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٣ ـ لأنّ الله عزيز لا يغلبه أحد، فكلامه له الغلبة على كافّة الأديان وعلى كلّ كلام، ولا يغلب كلامَه أحدٌ ﴿ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٤ ـ القرآن باب للعزّة ولتعلّم الحكمة، ﴿ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٥ ـ إنّ القرآن الكريم وإن أُنزل بشكل تدريجيّ في فترة زمنيّة استمرّت ثلاثة وعشرين عاماً: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ولكنّه أُنزل في بداية البعثة دفعةً واحدةً على قلب النبيّ ﷺ، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

٦ ـ كما أنّ الله ﷻ حقٌّ ثابت وراسخ فإنّ القرآن كذلك: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، (القرآن كلّه حقّ ولا وجود للباطل أو الخيال فيه) ﴿بِٱلْحَقِّ﴾.

٧ ـ فلسفة نزول القرآن وسبب نزوله بيان الحقّ للناس، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ... بِٱلْحَقِّ﴾.

٨ ـ لا بد للعبادة من أن تكون في ظل الحق، ﴿بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ﴾؛ (طريق السعادة في الجمع بين أمور ثلاثة هي الدين، العبادة والإخلاص).

٩ ـ كما أنّ الهدف من الخلق هو العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فإنّ الهدف من التشريع ونزول الكتاب هو العبادة أيضاً، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ... فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ﴾.

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

١٠ ـ نزول الكتاب نعمة تستحقّ شكر الله ﷻ عليها، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ... فَٱعْبُدِ﴾.

١١ ـ لا بدّ من أن يكون الدّين خالصاً من الهوى، الخرافات والخيال، ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

١٢ ـ شرط العبادة قصد القربة، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا﴾.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾

إشارات

- وُجّه الأمر في الآية السابقة إلى النبيّ ﷺ بالعبادة الخالصة لله ﷻ، وفي هذه الآية وجّه الأمر بذلك للناس كافّة: ﴿لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾.
- ورد أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إنّا نُعطي أموالنا التماس الذكر فهل لنا في ذلك من أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله لا يقبل إلّا من أخلص له، ثمّ تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[1].

سبب عبادة الأصنام يرجع إلى أمور منها:

أ ـ إنّهم واحتراماً منهم لكبارهم صنعوا لهم تماثيل، وبمرور الأيّام أصبحت هذه المجسّمات معبودات مستقلّة.

ب ـ كان ظنّ عبدة الأصنام أنّ الإنسان عاجز عن الارتباط المباشر بالله ﷻ، وأنّه بحاجة إلى وسائل مقدّسة، ولذا قام الإنسان بصنع تماثيل لهؤلاء الوسائط والشفعاء وأصبحت هذه التماثيل تعبد بمرور الأيّام.

التعاليم

١ ـ ينبغي الاعتماد في أسلوب الدعوة والتبليغ على إثارة حساسية المخاطب (كلمة ـ ألا ـ هي للالتفات إلى أنّ المسألة مهمّة).

---

(١) تفسير الدر المنثور.

٢ ـ الخرافات والأفكار الباطلة نخرت جسم الأديان التي هي من وضع البشر والدِّين الخالص هو ما كان من الله ﷻ، ﴿لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾.

٣ ـ قيمة الدّين بكونه خالصاً، وإلّا فإنّ الخرافات والأفكار الباطلة موجبة لمسخه، ﴿لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾.

٤ ـ يسعى المنحرفون لتبرير انحرافهم. فعبدة الأصنام يقولون: ما نعبدهم إلّا لنتقرّب من خلالهم إلى الله ﷻ، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ﴾.

٥ ـ عبادة الله أمر فطريٌّ في وجود الإنسان حتّى من كان من المشركين، ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

٦ ـ لا مانع من وجود بعض الوسائط للتقرّب إلى الله ﷻ بل الله أوصى بذلك، ﴿...وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[1]. ولكن بعضها مرفوض ومنهيّ عنه كعبادة الأصنام، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

٧ ـ اعترف عبدة الأصنام في مكّة بوجود الله ﷻ وكانوا يرون في الأصنام وسيلةً للتقرّب إليه، ﴿إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

٨ ـ يعتقد المشركون بالشفاعة؛ ولكنّهم يرون الأصنام شفعاء لهم، ﴿إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

٩ ـ الناس كافّة يرغبون بالتقرّب إلى الله ﷻ، ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

١٠ ـ يوم القيامة هو اليوم الذي تنتهي فيه كلُّ الاختلافات، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا... يَخْتَلِفُونَ﴾.

١١ ـ ينبغي أن يكون للإنسان قابليّة تلقّي الهداية الإلٰهيّة، والكذب الذي امتاز به الكفار هو المانع من هدايتهم، ﴿لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

١٢ ـ الكذب هو مقدّمة للانحراف الدائم، ﴿كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

١٣ ـ التقرّب من خلال الأصنام عقيدة كاذبة، ﴿كَٰذِبٌ﴾.

١٤ ـ يرى عبدة الأصنام أنّ أصنامهم موجودات عاقلة مدركة، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا...﴾؛ فكلمة هم تستعمل للعاقل.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٥.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ ليس لله من ولد لا حقيقةً، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ ولا ولد متَّخذ، ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

٢ ـ لو أنّ الله ﷻ أراد أن يتّخذ ولداً لاختاره من بين الأفضل لا من الحجر والخشب، ﴿أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ﴾.

٣ ـ طلب الولد دليل الحاجة والله ﷻ منزّه عن ذلك، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾.

٤ ـ لو كان لله ولد حقيقةً لكان جسماً، وهذا يعني قابليّته للانقسام، ووجود الشبيه لله ﷻ ووجود زوجة له، والله ﷻ واحد لا يقبل الانقسام ولا زوجة له ولا شبيه له، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾.

٥ ـ لو اتّخذ الله ولدا لكان ذلك بسبب حاجة في الجسد أو لأجل الأنس الروحيّ والله ﷻ هو القهّار، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ خلْقُ السموات والأرض ليس صدفة، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٢ ـ كما أنّ نظام التشريع حقّ: ﴿...إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ...﴾[1]، فكذلك نظام التكوين، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾.

٣ ـ هو الخالق ﴿خَلَقَ﴾؛ وهو المدبّر، ﴿يُكَوِّرُ﴾.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢.

٤ ـ الشمس والقمر في حركة مستمرّة، ﴿كُلٌّ يَجْرِى﴾.
٥ ـ لحركات الكواكب السماويّة أمد، ﴿لِأَجَلٍ﴾.
٦ ـ الأمد الذي تجري فيه محدّد ومعيّن، ﴿مُّسَمًّى﴾.
٧ ـ ختام الآية السابقة كان بكلمة: ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾؛ وختام هذه الآية كان بكلمة ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾؛ ليكون الخوف والرجاء إلى جانب بعضهما البعض.
٨ ـ ليس العفو الإلٰهيّ من باب العجز والضعف بل يكون مع القدرة، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾.
٩ ـ خلق السموات والأرض، وحركة الشمس والقمر، وتكوير الليل على النهار هي من مظاهر العزّة الإلٰهيّة، ﴿خَلَقَ، وَسَخَّرَ، يُكَوِّرُ، هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

إشارات

□ المراد من ثمانية أزواج في هذه الآية هي الأصناف الأربعة من ذكرٍ أو أنثى من الحيوانات الآتية: الإبل، والبقر، والغنم، والشاة. وذلك بدليل قوله تعالى في الآية ١٤٣ و١٤٤ من سورة الأنعام: ﴿...مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾.

□ المراد من (أنزل) ليس هو النزول المكانيّ، بل النعمة المنزلة من المقام الأعلى إلى المقام الأدنى، أو بمعنى الضيافة نظير قوله تعالى: ﴿...نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ...﴾[1]. أو لأنّ حياة كلّ الحيوانات تعتمد على الماء الذي ينزل من السماء، وخزائن كلّ نعمةٍ هي عند الله ﷻ، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[2].

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٨.
(٢) سورة الحجر: الآية ٢١.

التعاليم

١ ـ كافّة البشر سواء، الذكر منهم والأنثى، الأبيض والأسود، ﴿نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾

٢ ـ روح الذكر والأنثى واحدة وإن كان بينهما اختلاف في الناحية الجسديّة.

٣ ـ الزوجيّة نعمة تُضاف إلى نعمة الخلقة التي أعطاها الله ﷻ لهذا الإنسان.

٤ ـ الإنسان بحاجة إلى الزوجة لأجل بقاء النسل، ﴿خَلَقَكُم... ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾.

٥ ـ البطن والشهوة حاجتان أوليّتان في هذه الإنسان وهي التي تعرّضت لها هذه الآيات، ﴿جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ... ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾.

٦ ـ الأصناف الأربعة: الإبل، البقر، الغنم والشاة من بين سائر الحيوانات ذات ارتباط خاص بطعام الإنسان، ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ﴾.

٧ ـ خلقة الإنسان تتمّ على مراحل، ﴿خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾. (وردت تسمية هذه المراحل في الآية ١٢ و١٣ من سورة المؤمنون وهذه المراحل هي عبارة عن: النطفة، العلقة والمضغة).

٨ ـ الإنسان يُصاب بالعجز في الظلام؛ ولكنّ الله ﷻ يقوم بالفعل في ظلمات متراكمة، ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي... ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾.

٩ ـ لا بدّ من أن ندرك أنّ النِّعم في هذه الحياة هي من الله ﷻ فهو الخالق وهو المالك وهو الربّ وهو المعبود، ﴿خَلَقَكُم... رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾.

﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾

إشارات

□ تعرّضت الآية السابقة للنعمة الإلٰهيّة في خلقة الإنسان والرزق الماديّ الذي وهبه الله ﷻ له، وأمّا هذه الآية فتتعرّض لوظيفة الإنسان في شكر هذه النعم الإلٰهيّة.

❑ المراد من الكفر في هذه الآية هو كفر النعمة؛ وذلك لأنّ الحديث في مقابل ذلك كان عن الشكر.

❑ محبّة الله ﷻ لهذا الإنسان أعظم من محبّة الإنسان لنفسه، فهو لا يرضى لنا كفر النعمة وعدم شكرها ولكن الإنسان يرضى ذلك لنفسه.

❑ بعد أن تحدّثت الآية عن مسؤوليّة كلّ إنسان عمّا يقوم به من فعل، وأنّ محلّ الحساب هو يوم القيامة ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، وذلك لبيان أنّ الحاكم في ذلك اليوم هو المحيط بكلّ شيء.

التعاليم

١ ـ الأمر بالعبادة لا يدلّ على حاجة لله ﷻ إلى ذلك، ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾.

(كما أنّ عمارة البيت مقابل الشمس لا تدل على حاجة الشمس إلينا، فالله ﷻ غنيّ عنّا وعن كلّ شيءٍ كما ورد في آيةٍ أخرى قوله تعالى: ﴿...فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾)[1].

٢ ـ لا يصحّ أن ينسب الإنسان كفره أو انحرافه إلى الإرادة والمشيئة الإلٰهيّة، (فبعض الكفّار والمشركين كانوا يرون أنّ ما يسير به هو بإرادة من الله)، ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾.

٣ ـ ينظر الله ﷻ حتّى إلى الكفّار على أنّهم عباد له، ﴿لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾.

٤ ـ الشكر مفتاح نيل الرضا الإلٰهيّ، ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾.

٥ ـ لا بدّ من السير في طريق الدعوة خطوة بعد أخرى. فالخطوة الأولى أنّ الله ﷻ غنيٌّ عنكم، والخطوة الثانية أنّه لا يرضى لكم الكفر، والخطوة الثالثة أنّه يرضى لكم الإيمان والشكر، وختاماً أنّ حسابكم عليه، ﴿غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ... لَا يَرۡضَىٰ... فَيُنَبِّئُكُم﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

٦ ـ الله ﷻ عادل، وكلُّ إنسانٍ سوف ينال جزاء عمله، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾.

٧ ـ كلُّ إنسان مسؤول عن عمله ولا يحمل إنسان ذنب إنسانٍ آخر، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

٨ ـ أبقى باب العفو مفتوحاً في تهديده لمن كان ارتكابه للذنب غير قطعيّ (كلمة ينبّئكم يراد منها أنّه يخبِركم عمّا تعملون ولا يقول يعاقبكم على ما تعملون).

٩ ـ مقدار الجزاء والعقاب مرتبط بعمل الإنسان، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

١٠ ـ الدقّة في الثواب والعقاب مرتبطة بالعلم الإلٰهيّ بدقائق الأمور، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

١١ ـ العلم الإلٰهيّ عميق، واسع وهو يشمل الظاهر والباطن، ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

١٢ ـ يعلم الله ﷻ بالنيّة والدّافع للقيام بالفعل، ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾

إشارات

□ «الضر» هو كل ضرر قد يصيب الإنسان. و«خوّل» بمعنى أعطى كثيراً. «والإنابة» إما من «النبوة» أي الرجوع مرّة بعد أخرى، وإما من «ناب» بمعنى انقطع، ولعلّ المعنى الثاني هو المراد.

□ تحدّثت الآيات السابقة عن معرفة الله بواسطة مخلوقاته، وهذه الآيات تتحدّث عن معرفته تعالى بالفطرة.

التعاليم

١ ـ ينتقد الله في القرآن الكريم، الرجوع الموسميّ إليه تعالى والذي يعقبه النسيان بعد قضاء الحاجة، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا﴾.

٢ ـ طاقة الإنسان الاستيعابية وقدرته على التحمّل محدودة، ﴿مَسَّ﴾.

٣ ـ المصائب والمشاكل من العوامل المساعدة على يقظة الفطرة، ﴿مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا﴾.

٤ ـ الدعاء الخالص لوجه الله تعالى، يكشف الضرّ ويرفع الآلام، ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾.

٥ ـ الضرّ ليس من الله، فلا يصدر عنه تعالى إلا النعم والخير، ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾.

٦ ـ الرفاه والنعمة من دواعي الغفلة، ﴿نِعْمَةً... نَسِىَ﴾

٧ ـ بعض الناس ينسون آلامهم وأوقات ضعفهم عندما تحلّ مشاكلهم، ﴿...نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ﴾.

٨ ـ الغفلة عن ذكر الله من موجبات الشرك، ومن ينسى الله ييمّم الوجه شطر غيره، ﴿نَسِىَ... وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾.

٩ ـ لا ينحصر الشرك من الإنسان في شيء بعينه، بل الكثيرون هم الشركاء الذين يتّخذهم من دون الله، ﴿...أَندَادًا﴾.

١٠ ـ الانحراف لا يحصل فجأة، الخطوة الأولى: ﴿...نَسِىَ﴾؛ يلحقها الشرك: ﴿...وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾؛ وبعد ذلك يصير منشأ للضلال والانحراف: ﴿...لِّيُضِلَّ﴾

١١ ـ لا تدلّ النعمة على المحبّة دائماً، ﴿...تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾

١٢ ـ المشرك كافر، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا... تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾.

١٣ ـ نعم الدنيا وملذّاتها مهما كثُرت هي قليلة بالقياس إلى الآخرة وما فيها من نعيم أو عذاب، ﴿تَمَتَّعْ... قَلِيلًا﴾.

١٤ ـ عقاب كفران النعمة، أن يكون الإنسان من أصحاب النار، ﴿...إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

إشارات

□ بعد أن بيّن القرآن في الآية السابقة صفات أصحاب جهنّم، بدأ في هذه الآية بذكر صفات المؤمنين. فذكر في الآية السابقة أنّ الكافر فقط عندما يُصاب بالبلاء يذكر الله ﷻ وينساه عند الرخاء، وأمّا المؤمن فإنّه يذكر الله دائماً سواء في حالات الشدّة أو في حالات الرخاء.

□ عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قال: يعني صلاة الليل[1].

التعاليم

١ ـ الليل أفضل وقت للعبادة، ﴿قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾.

٢ ـ علامة العلم العبوديّة، ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا... ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ (العلم والعبادة قرينان، فمن يقوم في الليل للعبادة ويتذكّر الآخرة ويأمل رحمة الله هو العالم الحقيقي) ﴿قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ... يَعْلَمُونَ﴾.

٣ ـ العبادة التي لها قيمة هي العبادة التي تكون دائمة ومستمرّة. (فقوله تعالى: ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ ورد بصيغة اسم الفاعل وهو يدل على الاستمرار).

٤ ـ رجال الآخرة هم الذين يحذرون الآخرة ويأملون رحمة الله، ﴿يَحْذَرُ، وَيَرْجُوا۟﴾.

٥ ـ الخوف يكون بسبب ما ارتكبناه في هذه الدنيا من عمل، ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾؛ ولكنّ الأمل يكون بفضل الله ورحمته الواسعة، ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾.

٦ ـ من طرق التربية المقارنة بين الفعل الحسن والفعل القبيح، وبين المحسنين والعاصين، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾، ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) الكافي، ج ٣، ص ٤٤٤.

٧ ـ التسليم بالعبوديّة لله ﷻ علامة على امتلاك العقل السليم، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾

إشارات

☐ ورد عن رسول الله ﷺ: إذا نُشرت الدواوين ونُصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان، ولم ينشر لهم ديوان، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ﴾[(١)].

التعاليم

١ ـ عند دعوة الآخرين إلى فعل الخير لا بدّ من مخاطبتهم باحترام، ﴿يَٰعِبَادِ﴾.

٢ ـ لا يكفي الإيمان وحده، بل لا بدّ من أن يقترن بالتقوى والابتعاد عن ارتكاب الذنوب، ﴿ءَامَنُواْ... ٱتَّقُواْ﴾.

٣ ـ قيمة فعل الخير بصدوره من أهل الإيمان والتقوى، ﴿ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ... أَحْسَنُواْ﴾.

٤ ـ يقابل الله ﷻ الإحسان وفعل الخير بالخير والإحسان، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ... حَسَنَةٞۗ﴾، (كما ورد في آيات أخرى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ...﴾[(٢)] ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[(٣)]..

٥ ـ قد يتوقّف حفظ التقوى على الهجرة، ﴿ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ... أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾.

٦ ـ الهجرة مقدّمة لتلقّي الألطاف الإلهيّة، ﴿أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ... أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ﴾.

٧ ـ لا بدّ في الهجرة من الصبر والتحمّل، ﴿أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣﴾

التعاليم

١ ـ بإعلان الإخلاص في العبادة لله ﷻ يدخل اليأس في قلوب المشركين من إمكان النفوذ والتأثير على ما لدينا من إيمان، ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾.

٢ ـ لا قول ولا فعل يقوله النبي أو يقوم به من عند نفسه، ﴿أُمِرْتُ... وَأُمِرْتُ﴾.

٣ ـ لا بدّ أن يكون القائد أولاً في الكمالات، ﴿أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

٤ ـ قيام النبيّ ﷺ بالعبادة خالصاً لله ﷻ وبسائر الأعمال على وتيرةٍ واحدةٍ؛ سواء أكان وحده أو كان الآخرون معه أيضاً، ﴿أُمِرْتُ... مُخْلِصًا... أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

٥ ـ لا فرق في محكمة العدل الإلٰهيّة بين الأنبياء وبين سائر الناس، ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

٦ ـ الإيمان بالعذاب في يوم القيامة هو من أهمّ الأسباب التي تمنع من الوقوع في المعاصي، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾

إشارات

- الخسارة هي ضياع رأس المال. فبائع الثلج إذا لم يشتر منه أحد الثلج فإنّه ليس لن يربح فحسب، بل سوف يخسر رأس ماله أيضاً. وخسران النفس بمعنى الهلاك بنحو يضيع ما فيها من قابليّات.
- تكرّرت كلمة خسارة في هذه الآية ثلاث مرات تنبيهاً للإنسان عن خسارة النفس في يوم القيامة.

□ الإيمان بغير الله ﷻ من أيٍّ كان ولأيّ سببٍ كان بيع للنفس وخسران. فالإنسان عندما يعقد صفقةً لا بدّ إمّا أن يكون له فيها ربح وإما أن لا يكون عليه فيها ضرر أو ضرر قليل، ولكنّ المشركين باعوا آخرتهم ولذا كان خسرانهم مبيناً؛ لأنّهم مضافاً إلى أنّهم خسروا أنفسهم فإنّهم لن يتمكّنوا من جبران ذلك في يوم القيامة.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من بيان موقفٍ واضحٍ وصريح من الكفّار، ﴿قُلْ﴾.

٢ ـ الوحدانيّة في العبادة هي من أفضل ما تحدّث به الأنبياء، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾.

٣ ـ يُقبِل الأنبياء على امتثال الأوامر الإلٰهيّة بكلّ كيانهم، (في الآية السابقة نقرأ قوله: ﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا﴾؛ وفي هذه الآية نقرأ قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا﴾.

٤ ـ ورد التعرّض أربع مرّات منذ بداية السورة وإلى هذه الآية للإخلاص؛ وذلك لأنّ أعظم آفة أصيب بها الدّين على مرّ التاريخ البشريّ هو ما لحق به من خرافات وتحريفات، ﴿مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾.

٥ ـ لا ينبغي في إنفاذ أحكام الدّين القبول بأيّ نوعٍ من التغيير والحذر من الخضوع لما يريده الآخرون، ﴿مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾.

٦ ـ قد يكون من اللازم أحياناً اللّجوء إلى أسلوب التهديد والقوّة في سبيل الدعوة ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم﴾ (كما ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿...ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ...﴾[1].

٧ ـ لا بدّ للقائد من أن يعلم بأنّ الناس لن يسلّموا له جميعاً، ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم﴾.

٨ ـ إذا حصلت القطيعة مع الله، فلا فرق في الصّلة بين أيٍّ كان، ﴿مَا شِئْتُم﴾.

٩ ـ خسران النفس هو أعظم الخسارة، ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٠.

١٠ ـ الإنسان مسؤول عن أهله وأسرته، ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾.

١١ ـ النفع والضرر الحقيقيّ هو في يوم القيامة، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

١٢ ـ لا بدّ من تكرار الحقّ على مسامع من يتأخر في التصديق، ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ...﴾.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ عقوبة من تخلّى عن الله ﷻ ولجأ إلى غيره ووقع في الخسران الشديد أن تحيط به نار جهنّم من فوقه ومن أسفل منه ومن كلّ جانب، ﴿مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ...﴾.

٢ ـ الشرك في الدنيا موجبٌ للعذاب في الآخرة، ﴿مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ﴾..

٣ ـ جهنّم مملوءة بالنار والظلمة، ﴿ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ﴾.

٤ ـ التحذير الإلٰهيّ هو من مظاهر الرحمة الإلٰهيّة، ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

٥ ـ التقوى سببٌ للنجاة من عذاب نار جهنّم، ﴿ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ... فَاتَّقُونِ﴾.

٦ ـ الإيمان بمخاطر يوم القيامة سببٌ للتقوى، ﴿ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ... فَاتَّقُونِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾

إشارات

❑ تُطلق كلمة (طاغوت) على من كان من أهل الطغيان والتعدّي. والاجتناب عبارة عن جعل الشيء إلى جانب وجعل الإنسان نفسه إلى جانب آخر. والمراد من الإنابة إلى الله ﷻ والاجتناب عن الطاغوت هو ما نقرأه في آية الكرسي: ﴿...فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ...﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

- المراد من عبادة الطاغوت طاعة الظالم والطاغية. ولذا جاء في الحديث الذي ذكره في مجمع البيان: من أطاع جبّاراً فقد عبده.
- ورد في الآية ١٨ الأمر بالبشارة للذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، وفي آية أخرى ورد وصف الدعوة إلى الله ﷻ بأنّها أحسن القول: ﴿...أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ...﴾[1]، وأفضل داعية هو رسول الله ﷺ ﴿...أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ...﴾[2]، ولذا لا بدّ من اتّباع أحسن القول والذي هو الدعوة إلى الله ﷻ وأفضل دعوة إلى الله ﷻ هي دعوة رسول الله ﷺ، فاتّباع الأحسن يكون باتّباع الوحي ودعوة الرسول.

التعاليم

١ ـ من صفات المؤمنين وعباد الله المخلَصين الاجتناب عن الطاغوت، ﴿ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ... فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.

٢ ـ الاجتناب عن الطاغوت مقدّمة للتوجّه إلى الله ﷻ، ﴿ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ... وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ الاجتناب عن الطاغوت شرط للتوبة، أمّا طاعة الطاغوت فهي مانع من الإنابة والتوبة، ﴿ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ... وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ بركات اختيار الأحسن لا حدّ لها، (كلمة بشّر مطلقة تشمل كافة أنواع البشارة).

٥ ـ للناس الحقّ في استماع القول، مع الالتفات إلى الكلام وعدم الوقوع تحت تأثير شخصيّة المتكلّم، ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ...﴾.

٦ ـ ينبغي أن يمتلك الإنسان القدرة على تحمّل استماع كلام الآخرين، وأن يكون واسع الصدر، ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ...﴾.

٧ ـ لا يخشى الإسلام من أن يتحدّث الآخرون بما يريدون، ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾.

---

(١) سورة فصّلت: الآية ٣٣. (٢) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

٨ ـ العقل حجّة باطنة، والتقليد الأعمى ممنوع، ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾.

٩ ـ ممّا يُلفت إليه القرآن اتّباع الأحسن، ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾.

١٠ ـ للناس الحقّ في استماع القول إذا كانت لديهم القدرة العلميّة والعقليّة على اختيار الأحسن، ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ... فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾.

١١ ـ القول الذي لا يكون حسناً، لا يستحقّ أن يُستمَع إليه، ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾.

١٢ ـ لا تقنع بالحسن بل اتّبع الأحسن، ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾.

١٣ ـ لا يمكن اختيار الأحسن إلّا مع التوفيق الإلٰهيّ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.

١٤ ـ الهداية الإلٰهيَّة هي نصيب من سعى وصرف الوقت في سبيل الوصول إلى الحقيقة واستمع القول، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.

١٥ ـ ليس في عداد العقلاء من يتَّبع قولا وهو أعمى البصر ولا سمع له، ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

١٦ ـ الطريق الباعث على الاطمنان هو الذي يكون عن وعي وإدراك، ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

- الغرف جمع غرفة وهي الماء الذي يأتي من مكانٍ أعلى أو البناء الذي يكون فيه طبقة عليا.
- كان قلب النبيّ ﷺ يحترق لأجل هداية المعاندين، ولذا جاء الأمر الإلٰهيّ للنبيّ بأن لا يعذّب نفسه في سبيل هدايتهم؛ لأنّ سنّة الله فيهم هي العذاب وأنّ نجاتهم ليست بيد النبي ﷺ.

التعاليم

١ ـ يسدّ بعض الناس باب العفو الإلٰهيّ عنهم بسبب عنادهم وإصرارهم، ﴿حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾.

٢ ـ الانحراف في حقيقته نار، ﴿تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾.

٣ ـ الخوف والرجاء قرينان. ولذا نقرأ في الآية ١٦ قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، أي إنّ النار تأتيهم من فوقهم، ونقرأ في هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾، أي إنّ لأهل تقوى الله غرفاً فوقها غرف.

٤ ـ لا يتخلّف الوعد والبشارة من الله، ولكن الوعيد والعذاب قد يلحقه العفو واللطف الإلٰهيّ فيمنع منه، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾﴾

إشارات

- سلك من السلوك بمعنى الدخول والنفوذ والينابيع جمع ينبوع هو بمعنى العين النابعة.
- يهيج من الهيجان وهي الحركة السريعة مع الغليان، وهذه الكلمة متى أُطلقت على الزرع والنبات كان المراد منها بدء يباسه وجفافه.
- الحطام هو كسر الشيء اليابس، والألباب جمع لب وهو العقل.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن نعبرَ عن مظاهر الطبيعة ونحن غافلون، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢ ـ التفكّر في ظواهر الطبيعة باب من أبواب معرفة الله، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٣ ـ ماء السماء هو مصدر الماء النابع من الأرض، ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ﴾.

٤ ـ الأسباب الطبيعيّة هي مظهر من مظاهر الإرادة الإلٰهيّة (فإنبات الزرع هو من الله ﷻ ولكن عن طريق الماء)، ﴿يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾.

٥ ـ ممّا يدلّ على سَعَة القدرة الإلٰهيّة اختلاف ألوان النبات واختلاف طعمه مع أنّها تُسقى من ماء واحد وتنبت في تراب واحد، ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾.

٦ ـ خلق كافّة الظواهر تابع للإرادة الإلٰهيّة، ﴿فَسَلَكَهُۥ، يُخْرِجُ، يَجْعَلُهُۥ﴾.

٧ ـ من لا يفكّر في مصدر الوجود والهدف منه لا عقل له، ﴿لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

٨ ـ التذكّر دلالة على امتلاك العقل، ﴿لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

٩ ـ المؤمن عاقل، وأمّا الكافر فهو لجوج وعنود ولا عقل له، ﴿لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات

❑ ورد في الرواية عن علاج مرض قسوة القلب، أنّه لمّا نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ: عن شرح الصدر ما هو؟ فقال: نور يقذفه الله في قلب المؤمن، يشرح له صدره وينفسخ. قالوا: فهل لذلك أمارة يُعرَف بها؟ قال ﷺ: نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت[1].

التعاليم

١ ـ مقتضى الربوبيّة الإلٰهيّة هداية من يقبل الحقّ ومن عنده له سَعَة صدر، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

٢ ـ الإيمان بالدّين والتسليم للحقّ يتوقّف على سَعَة الصدر وهو من عند الله ﷻ، ﴿شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾.

٣ ـ أصحاب سَعَة الصدر يمكنهم تمييز الحقّ من الباطل بالنور الذي يهبهم إيّاه الله ﷻ، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

٤ ـ قسوة القلب تمنع من الاستنارة بنور الله ﷻ، ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾. (استبدل التعبير بقساوة القلب عن التعبير بضيق الصدر مع أنّه المعنى المقابل لسعة الصدر؛ لأنّ من يكون صدره ضيّقاً قد ينفذ فيه الحقّ خلافاً لمن كان قلبه حجراً وقاسياً، فإنّه لا ينفذ فيه الحقّ).

٥ ـ ليس لأهل التسليم سوى هدف واحد وطريق واحد، وأمّا الضالون والمنحرفون فلكلٍّ واحدٍ منهم هدف، (كلمة «صدر» وردت بصيغة المفرد، وأمّا «قلوبهم» فقد وردت بصيغة الجمع).

٦ ـ سَعَة الصدر والنور في القلب من الله ﷻ، ﴿شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وأمّا الضّالون والمنحرفون فقال في حقّهم: ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات

- الحديث هو القول والكلام ولكن المراد من الحديث في هذه الآية هو القرآن، ووصف القرآن بأنّه أحسن الحديث لما فيه من الجامعيّة، والحقانيّة، والثبات، والفصاحة والبلاغة.
- كلمة (متشابه) من التشابه، أي إنّ لها أكثر من معنى. ومن معانيها وجود بعض الآيات التي لها أكثر من معنى مقابل الآيات المحكمة التي تكون بيّنة وواضحة

المعنى، وفي هذه الآية ورد وصف بعض الآيات بأنّها من المتشابه. ﴿...هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ...﴾[١]، ولكن المتشابه في الآية الواردة في هذه السورة المراد منه شَبَه الآيات بعضها ببعض، فهي صفة لكافّة آيات القرآن الكريم.

- المثاني جمع مثْنَى وهي بمعنى الانعطاف، أي إنّ آيات القرآن بعضها معطوف على بعض، فبعضها يفسّر بعضاً، وبعبارةٍ أخرى: إنّ المفهوم الواحد تتعدّد الألفاظ التي تعبّر عنه في الآيات.

التعاليم

١ ـ القرآن هو أحسن الحديث، ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾؛ (لأنّه أصدق كلام)، ﴿...وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[٢]؛ وهو فصل الخطاب: ﴿...فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

٢ ـ تتشابه آيات القرآن الكريم بتمامها فلا تضادّ بينها ولا اختلاف، ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾.

٣ ـ تظهر آثار الخوف من الله في جسم المؤمن وعلى بدنه، وصورته تحكي عن سيرته، ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

٤ ـ عندما يسمع المؤمن آيات الله التي تتحدّث عن العذاب يُصاب بالخوف، ﴿...تَقْشَعِرُّ﴾، كما أنّه عندما يسمع آيات الله التي تتحدّث عن الرحمة يأتيه الأمل، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ﴾.

٥ ـ القرآن كتاب هداية من الله ﷻ، ﴿كِتَٰبًا... ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

٦ ـ وفّر الله ﷻ أسباب الهداية للناس كافّة، ولكنّ بعضهم، فحسب، يهتدي بهدى الله، ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ... يَهْدِى... يُضْلِلِ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٢) سورة النساء: الآية ٨٧.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات

□ كلمة وجه في قوله تعالى: ﴿بِوَجْهِهِۦ﴾ هي بالمعنى المعروف، ولكن لعلّ المراد منها في هذه الآية الطريقة والسبيل، نظير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ...﴾[1]، حيث ليس المراد من الوجه المعنى المعروف، أي إنَّ كلّ أحدٍ يختار بما يملكه من إمكانات وقدرات الطريق الذي يرفع به السوء والخطر عنه.

التعاليم

١ ـ تقوى الله في هذه الدنيا هي سببٌ للبُعد عن العذاب الإلٰهيّ في القيامة، ﴿يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ﴾.

٢ ـ من العذاب الذي يطال العصاة في يوم القيامة الكلام المهين بحقِّهم، ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾.

٣ ـ ما يوجب عذاب الإنسان في يوم القيامة هي المعاصي التي ارتكبها عن علمٍ والتفات، ﴿تَكۡسِبُونَ﴾.

٤ ـ تاريخ الكفّار والطواغيت الماضين فيه من العِبَر ما يكون درساً للآتين، ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾.

٥ ـ يد الله ﷻ مطلقة في عذاب العصاة وله أن يعذّبهم من حيث لا يتوقّعون، ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

٦ ـ ليس كلّ العذاب موكول إلى يوم القيامة، ﴿ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾.

٧ ـ عذاب القيامة عذاب عظيم ومستدام، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

٨ ـ ما يقوم به الكفّار والمكذّبون هو بسبب عدم علمهم بعظمة عذاب يوم القيامة وشدّته، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ المهم هو الموعظة والتذكير لهذا الإنسان سواء كان ذلك عن طريق الاستدلال أو عن طريق ذكر الأمثال، ﴿ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ... مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٢ ـ تأثير المَثَل على عامّة الناس أشدّ من تأثير الاستدلال، ﴿لِلنَّاسِ﴾.

٣ ـ كلُّ مثلٍ فيه موعظة لهذا الإنسان وتذكير له وتحذير عن الوقوع في الغفلة تعرَّض له القرآن الكريم، ﴿كُلِّ مَثَلٍ... يَتَذَكَّرُونَ﴾.

٤ ـ فطرة الإنسان نقيّة والحقيقة كامنةٌ في داخله، ولكنّه يُصاب بالغفلة عنها، ولذا كان تذكيره بها ضرورياً، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.

٥ ـ تكرار كلمة قرآن في الآيتين بشكلٍ متتالٍ يدلّ على أنّ القرآن كتاب للقراءة، التعلّم، وسببٌ للنجاة، ﴿هَذَا الْقُرْآنِ... قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

٦ ـ بملاحظة الآية ٢٣ والتي ورد فيها وصف القرآن بأنّه أحسن الحديث يعلم أنّ من علامات أحسن الحديث أن يحتوي على الأمثلة الواضحة والبعيدة عن الانحراف، ﴿كُلِّ مَثَلٍ... قُرْآنًا عَرَبِيًّا... غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾.

٧ ـ كلُّ كتابٍ يَقبل التغيير والتكامل، وتظهر الثغرات فيه عاجلاً أو آجلاً، (ولذا يعتذر كافّة الكتّاب من ذوي الشأن في مقدّمة كتبهم عن أيّ ضعف في كتابهم) إلّا القرآن فإنّه كامل لا ريب فيه، ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾.

٨ ـ التقوى تكون في ظلّ الالتفات المستمرّ والتذكّر المستدام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ... لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

٩ ـ يكفي في السعي للدعوة إلى الدين احتمال التأثير ولا يشترط في الدعوة أن يكون لدى الداعية يقين مائة بالمائة بالتأثير، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٢٩﴾﴾

إشارات

□ ورد في الآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، وفي هذه الآية ذكر أفضلَ مثلٍ يصف فيه حال المشركين.

وهذا المثال نظير المثال الذي ذكره يوسف عليه السلام للمشركين في السجن حيث قال: ﴿...ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[1].

□ متشاكسون أي شركاء من ذوي الأخلاق السيّئة الذين يعيشون حالة خلاف مستمرّ.

التعاليم

١ ـ لا يهم الموحِّد سوى أن ينال رضا الله الواحد فقط، وأمّا المشرك فيعيش في كلِّ لحظةٍ همّ رضا أكثر من شخص، ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ... سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾.

٢ ـ لا مانع في المسائل الدينيّة من التمثيل في حقّ الله عزّ وجلّ، كما ورد في هذه الآية وصف التسليم أمام الله عزّ وجلّ بتسليم العبد المملوك أمام مولاه، ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾.

٣ ـ كافّة الناس وكافّة الطرق يقع فيها التضادّ والتزاحم عدا الله عزّ وجلّ والطريق إلى الله، وذلك لما بين الطبائع والإرادات من اختلاف كبير، ﴿شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾.

٤ ـ وضوح الحقائق من الموارد التي تستحقّ الشكر، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ... ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٥ ـ من الواضح للعقل وللفطرة الفرق بين الطمأنينة التي يعيشها المؤمن والقلق الذي يعيشه المشرك، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾.

٦ ـ لا يعلم أكثر الناس بأضرار الشرك، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٩.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

إشارات

□ من النماذج التي ذكرها القرآن لتخاصم الناس في يوم القيامة: قول المستضعفين للمستكبرين: ﴿...لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[1]؛ ولكنّ جواب قادة الكفر يكون: ﴿قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[2]. ويقولون لهم أيضاً: ﴿...أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ...﴾[3].

التعاليم

١ ـ كون الشخص محبوباً لا يمنع من جريان السنن الإلٰهيّة في حقِّه ومنها الموت، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾.

٢ ـ الأنبياء كسائر البشر في حياتهم الاعتياديّة، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾.

٣ ـ كن صريحاً في حديثك حتّى مع من تحب، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾.

٤ ـ إذا أردت أن تبيِّن أمراً صعباً وشاقّاً فابدأ بنفسك، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

٥ ـ للقيامة مراحل مختلفة:

ـ ففي مرحلة هي مرحلة تخاصم الناس في ما بينهم، ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾.

ـ وفي مرحلة يأتيهم الخطاب بالنهي عن المخاصمة، ﴿...لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ...﴾[4].

ـ وفي مرحلةٍ أُخرى يُختَم على أفواههم، ﴿...نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ...﴾[5].

---

(١) سورة سبأ: الآية ٣١.
(٢) سورة الصافات: الآية ٢٩.
(٣) سورة سبأ: الآية ٣٢.
(٤) سورة ق: الآية ٢٨.
(٥) سورة يس: الآية ٦٥.

الجزء (٢٤)

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات

❑ المراد من الصدق في الآية هو كلام الله ﷻ المنزَل على نبيّه ﷺ والذي بلّغه إلى الناس وهو القرآن.

❑ «مثوى» من الثواء، وهو محلّ الإقامة الدّائم.

التعاليم

١ ـ من أسوإ أنواع الظلم، الظلم الذي ينال ثقافة المجتمع وتفكيره، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ يلجأ الكفّار ودون أيّ تردّد أو انتظار إلى تكذيب الحقّ بمجرّد استماعه، ﴿كَذَّبَ... إِذْ جَآءَ﴾.

٣ ـ من أساليب الدعوة والتبليغ توجيه الأسئلة الوجدانيّة، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ... أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾

إشارات

❑ للصدق مصاديق عدّة:

ـ الصدق في القول: ﴿جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾.

ـ الصدق بالوعد: ﴿...إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ...﴾[1].

---

(١) سورة مريم: الآية ٥٤.

- الصدق في العهد: ﴿...صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾[1].

- الصدق في العمل: ﴿...أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا...﴾[2].

ومن كان صادقاً في جميع أنواع الصدق يطلق عليه وصف (الصدّيق).

التعاليم

١ ـ المبلّغ لدين الله ﷻ إنّما يكون أهلاً للثناء والمدح متى كان عاملاً بما يدعو إليه، ﴿جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾.

٢ ـ لا تختصّ الدعوة إلى الدين بالنبي ﷺ، ﴿جَاءَ بِالصِّدْقِ... أُولَئِكَ﴾؛ (الشاهد ورود كلمة أولئك وليس هو). كما ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾[3].

٣ ـ من صفات المتّقين الدعوة إلى دين الله، ﴿جَاءَ بِالصِّدْقِ... الْمُتَّقُونَ﴾.

٤ ـ السبيل للوصول إلى نِعَم الجنّة إرادة أهل الجنّة، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾.

٥ ـ لا حدّ للألطاف الإلٰهيّة في الجنّة، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾.

٦ ـ المتّقون هم المحسنون، ﴿هُمُ الْمُتَّقُونَ... الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥)﴾

التعاليم

١ ـ الثواب الذي يكتبه الله ﷻ للدعاة إلى دين الله، العفو عنهم والصفح عن أخطائهم، ﴿جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ... لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

٢ ـ لا منافاة بين مقام التقوى والإحسان مع صدور بعض السيء من الأعمال،

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(فضمير عنهم يرجع إلى المحسنين والمتَّقين الذين تعرَّض لهم في الآية السابقة)، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا﴾.

٣ ـ من اللطف الإلٰهيّ أن يكفِّر عنهم أسوأ سيئاتهم وأن يجزيهم أحسن الجزاء، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ... وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ﴾.

٤ ـ الطهارة من الذنب وآثاره مقدِّمةٌ لنيل اللطف الإلٰهيّ. (فأولاً يكفر، وبعد ذلك يجزيهم).

٥ ـ جزاء المتَّقين والمحسنين من الله بسبب أحسن ما كانوا يعملون. (عملهم المتوسّط الحسن لهم عليه أفضل الجزاء)، ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِى...﴾.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

- وجّه المشركون تحذيراً للنبي ﷺ بأنّ إهانة أصنامهم سببٌ لما يلحق به من أذىً وعذاب، فنزلت الآية مطمئنةً النبي ﷺ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾.
- تعرَّض القرآن الكريم وفي آيات عديدة بالإخبار عن كون النبيّ ﷺ مصوناً عن أن يناله ضرر المتآمرين عليه. كقوله تعالى: ﴿...وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾[1]، و﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[2]. كما حفظ الله ﷻ نوحاً من الطوفان، وإبراهيم من النار، وموسى من أذى فرعون، وكذلك حفظ عيسى.
- وظيفتنا العبوديّة لله ﷻ في أيّ حال. ورد في الحديث: «من أصبح وهمومه هم واحد، كفاه الله هموم الدنيا والآخرة»[3].

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.
(٢) سورة الحجر: الآية ٩٥.
(٣) تفسير روح البيان.

التعاليم

١ ـ إذا أخلص الإنسان العبوديّة لله ﷻ كفاه الله وكفل له وضمن له كلَّ شيء، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾.

٢ ـ طمأنينة القلب عند مواجهة تهديد الكفار تكون بالاستعانة بالله والكفالة الإلٰهيّة، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ﴾.

٣ ـ وسيلة الكفّار السعي لإيجاد جوٍّ من الرعب والخوف، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾.

٤ ـ الهداية والضلال بيد الله ﷻ، ﴿يُضْلِلِ ٱللَّهُ... يَهْدِ ٱللَّهُ﴾؛ ولكن التوفيق لنيل مقدّمات تلقّي الهداية الإلٰهيّة أو الحرمان منها بيد الإنسان. ولذا نقرأ في آيات أخرى قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[1]، و﴿...لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[2].

٥ ـ لا تخش قلّة العدد والعتاد، بل ما ينبغي الخوف منه هو الخروج عن العبوديّة لله ﷻ، فما دامت العبوديّة لله ﷻ فإنَّ أيَّ قوّةٍ تعجز عن إلحاق الهزيمة بك، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾.

٦ ـ يصل الإنسان في قسوة قلبه حدّاً لا يمكن لأيِّ هدىً أن يؤثّر فيه، ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾؛ ويصل الإنسان في إيمانه حدّاً لا يُمكن لأيِّ شيء أن يوجب ضلاله أو انحرافه، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾.

٧ ـ إضلال الله ﷻ للإنسان لا يتحقّق دون مقدّمات، بل هو نتيجة لعمل الإنسان، ﴿ذِي ٱنتِقَامٍ﴾.

٨ ـ حماية الله ﷻ تكون تارة بكفالة عبده وأخرى بالانتقام من أعدائه، ﴿ذِي ٱنتِقَامٍ﴾.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٣. (٢) سورة غافر: الآية ٢٨.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾

إشارات

- تعرَّض القرآن الكريم في العديد من الآيات لاعتراف المشركين وإقرارهم بأنَّ الله ﷻ هو خالقهم. فلاحظ مضافاً إلى الآية المذكورة أعلاه الآيات ٦١ إلى ٦٣ من سورة العنكبوت، والآية ٢٤ من سورة لقمان، والآية ٩ و٨٧ من سورة الزخرف.
- كلمة (ضرّ) تقع مقابل الرحمة، وهي أي بلاء أو شدّة.
- الضمير (هنّ) للمؤنث وهنا استعمل في حقِّ الأصنام؛ لأنّ العرب كانت تُطلق على الأصنام أسماء الإناث: كاللات، ومناة، والعزّى.

التعاليم

١ ـ يعترف عبدة الأصنام بأنّ الله ﷻ هو خالقهم؛ (ولكنّهم يرون للأصنام دوراً في الربوبيّة والشفاعة)، ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

٢ ـ ليس للأصنام أيّ تأثير على الإرادة الإلٰهيّة، ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ... هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ﴾.

٣ ـ من يستحقّ العبادة هو من يملك القدرة على إيصال النفع أو دفع الضرر، ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ... هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ﴾.

٤ ـ دفع الضرر أولى من جلب المصلحة؛ ولذا ورد قوله: ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾، قبل قوله: ﴿مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾.

٥ ـ لا ينبغي التوكّل إلّا على الله ﷻ؛ (ولذا وردت كلمة عليه قبل كلمة يتوكّل، للدلالة على الانحصار).

٦ ـ كفل الله ﷻ نبيَّه من كلِّ جهة وكفاه بذلك، ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾. (كلمة حسبي وردت مطلقة فهي تشمل كلَّ شيء).

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات

- المستفاد من جملة: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أنّ الأمر في قوله: (اعملوا) هو للتهديد والتوبيخ وليس للإذن والترخيص.
- المكانة هي بمعنى المنزلة والمقام، وتستعمل في الأمور غير الحسيّة، كما أنّ كلمة مكان تطلق على الأمور المحسوسة. نعم، من الممكن أن تكون كلمة (المُكنة) بمعنى القدرة والتمكّن.
- المراد من قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو العذاب في الدنيا ومن قوله: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ هو عذاب الآخرة[1].

التعاليم

١ ـ يجب على القائد مضافاً إلى ما في قلبه من المحبّة أن يكون حاسماً. (قوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ يدل على المحبّة، وأمّا قوله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فيدلّ على الحسم.

٢ ـ الإيمان والتوكّل على الله ﷻ هما الدعامة الأساس للوقوف بوجه العدو، ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ... سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

٣ ـ لكلِّ إنسان ما عمل، ﴿ٱعْمَلُوا۟... إِنِّى عَٰمِلٌ﴾.

٤ ـ لا يتراجع أولياء الله قيد أنملة، وهذا ما يُصيب الكفار باليأس من التأثير عليهم، ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾.

---

(١) تفسير الميزان.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

إشارات

□ خلافاً لمن يظن أنّ مضامين الوحي قد أُلقيت إلى النبي ﷺ وأنّه نقل تلك المضامين بألفاظ وعبارات من عنده، فإنّ القرآن ينصُّ على أنَّ عين كلمات الكتاب قد أُنزِلَت من الغيب: ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

التعاليم

١ ـ لقد كان القرآن في زمان النبيّ ﷺ على شكل كتاب، ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

٢ ـ الكتاب أُنزل للناس كافّة، ﴿لِلنَّاسِ﴾.

٣ ـ كلُّ ما في القرآن حقٌّ بتمامه ولا مجال فيه للباطل أو للتحريف، وكذلك نزول هذا الكتاب هو بالحقّ، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾.

٤ ـ للإنسان حريّة اختيار الطريق الذي يُريده، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ... وَمَن ضَلَّ﴾.

٥ ـ الله ﷻ ورسوله في غنىً عن إيمان الناس، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾.

٦ ـ وظيفة النبيّ البلاغ لا إجبار الناس. (حتّى الأنبياء ليس لهم الحقّ في فرض العقيدة على الناس) ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

٧ ـ الهداية الحقيقيّة والتامّة لا تتم إلا في ظلّ الكتاب السماويّ، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ... فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

٨ ـ يسلّي الله ﷻ نبيّه ﷺ أمام عناد الكفّار وإصرارهم، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

إشارات

❑ يتوفّى من وفّى وهو بمعنى الأخذ التّام للشيء، والمراد منها عندما تستعمل في الموت أخذ الروح تامّة.

❑ **سؤال**: ورد في الآية ٦١ من سورة الأنعام: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، وورد في الآية ١١ من سورة السجدة: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾، وورد في هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾. فكيف يمكن الجمع بينها؟

الجواب: ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجهم فتتوفّاهم الملائكة ويتوفّاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفّاه الله عز وجل من ملك الموت[1].

❑ ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من أحد ينام إلّا عرجت نفسه إلى السماء، وبقيت روحه في بدنه، وصار بينهما سبب كشعاع الشمس. فإنْ أذِنَ الله في قبض الأرواح، أجابت الروح النفس. وإذا أذن الله في رد الروح، أجابت النفس الروح[2].

❑ **سؤال**: أين تذهب الروح بعد أن تنفصل عن الجسد عند الموت؟

الجواب: تحلّ الروح في بدنٍ مماثلٍ لهذا البدن والذي يطلق عليه اسم البدن المثاليّ، وتلتحق بعالم البرزخ بذلك البدن، فتنال النعيم أو العذاب، والنفس في عالم الرؤيا بهذا البدن والقالب المثالي ترى ذلك العالم وتتجول في الأنحاء.

❑ جسم الإنسان بحكم السيارة والروح بحكم سائق السيارة.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٤٤.
(٢) مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٠٤.

فتارة تعمل السيارة والسائق خلف هذه السيارة، وهذه حال الإنسان عند اليقظة.

وأخرى تعمل السيارة ولكن السائق ليس في داخلها، وهذه حال الإنسان عند النوم؛ لأنّ القلب والمعدة وسائر الأعضاء تعمل؛ ولكن الروح قد انفصلت عن البدن وألحقت بالبدن المثالي. وهذا البدن المثالي هو الذي نراه في الحلم وبه نسافر ونسير ونتحرك وهو ما يسمّى بالقالب المثالي، وهو من الخفّة بنحو يمكن أن نحلّق فيه في السماء ونعبر المحيطات ونجول في الأطراف دون واسطة.

وأُخرى تكون السيارة لا تعمل والسائق ليس في داخلها وهي حالة الموت[1].

- شبه أئمّة الدّين الموت والقيامة بالنوم والاستيقاظ. فورد في الحديث: «كما تنامون تموتون»[2].

وورد أنّ ممّا وعظ به لقمان عليه السلام ابنه أن قال: يا بني إنْ تكُ في شكٍّ من الموت فارفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك[3].

التعاليم

١ ـ الجسم والروح حقيقتان مستقلّتان وعند الموت أو النوم تنفصلان، وتبقى الروح بعد الموت، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾.

٢ ـ الموت أخو النوم، ﴿حِينَ مَوْتِهَا... فِى مَنَامِهَا﴾.

٣ ـ إذا علمنا أنّ الروح تسلم عند النوم فإنّ ذلك يُبعدنا عن الغفلة والغرور، ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾.

٤ ـ الموت والحياة بيد الله عزّ وجلّ، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى... قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ... وَيُرْسِلُ﴾.

---

(١) للمؤلّف بيان يرتبط ببحث البرزخ مذكور في كتاب المعاد.

(٢) رُوي هذا الحديث في كتب عدّة منها: الروضة من الكافي، ترجمة: رسول محلاتى، ج٢، ص ١٢٨؛ رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين، ج٢، ص ٢٣.

(٣) تفسير مخازن العرفان.

٥ ـ لم يكتب الخلود لأحد في هذه الحياة، ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾.

٦ ـ الناس كلّها تنام وتستيقظ، ولكن من يعتبر بذلك هم أهل التفكّر، ﴿لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات

- لا بدّ للشفيع من أخذ الإذن بالشفاعة من الله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾. ولكن من أين الإذن للأصنام؟ فالشفيع لا بدّ من أن يكون ممّن يحبّه الله ويرضى عنه، والأصنام لا يحبّها الله ولا يرضى بها.
- ورد في الآية ١٨ من سورة يونس قول المشركين: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾، ونقرأ في الآية ٣ من السورة نفسها قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، وفي هذه الآية يوجّه السؤال للمشركين بقوله: ﴿كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾.
- نحن نتوسّل بالأئمّة المعصومين عليهم السلام ونستمدّ منهم الشفاعة لأنّنا نعرف من الآيات والروايات أنّ الحياة البرزخيّة ثابتة لأولياء الله ﷻ، ونعلم بقدرة هؤلاء من خلال آلاف النماذج العمليّة التي نشهدها باستجابة الدعاء والمعجزات والكرامات.

التعاليم

١ ـ لا يرى بعض المشركين في الأصنام أنّهم آلهة، بل شفعاء ووسطاء لدى الله ﷻ، ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾.

٢ ـ لا بدّ للواسطة بين الإنسان والله ﷻ من أن تكون مدرِكةً للحاجة، وأن تكون قادرةً على مدّ يد العون، ولا تملك الأصنام أيّاً من الأمرين، ﴿لَا يَمْلِكُونَ... لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

❑ **سؤال**: هل يملك غير الله ﷻ من الرحمة والمحبّة ما يزيد به عن الله ﷻ حتّى تتعلّق الإرادة الإلٰهيّة بالعذاب ولكن شفاعة الشفعاء تكون أقوى وأشدّ؟

الجواب: تذكر الآية أنّ الشفاعة تختصّ بالله ﷻ وأنّ شفاعة النبيّ والإمام ورحمته وشفقته ترجع إلى لطف ورحمة الذات الإلهية المقدّسة فهو الذي يأذن بذلك. ﴿مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[1]، وطريق الوصول إلى هذا اللطف هم أولياء الله ﷻ، ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾.

التعاليم

١ ـ يعتمد الأسلوب التربويّ في القرآن الكريم على دفع كلّ الأسباب الموجبة للاعتقادات الفاسدة وبيان الأسباب الموجبة للاعتقاد الصحيح. لذا يوجّه خطابه للذين يعتقدون أنّهم قد يجدون العزّة هنا أو هناك بـ ﴿...إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا...﴾[2]، فلماذا الذهاب إلى هنا أو هناك؟، كما يقول تعالى: ﴿...أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا...﴾[3].

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات

❑ المخاطب بهذه الآية وإن كان من لا إيمان له بالآخرة، ولكن من بين المسلمين من تراه يشمئزّ من ذكر الإسلام الأصيل ويُظهر نفوره من ذلك،

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠.
(٢) السورة نفسها: الآية ٦٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

فينقبض وجهه عندما يأتي الحديث عن (القصاص والقانون الإلٰهيّ)، ولكنه ينشرح عندما يأتي الحديث عن حقوق الإنسان العالميّة. عندما يقف في الصلاة ويكون المخاطب في صلاته هو الله فقط تجده في حالة نفور، ولكنّك تراه في غاية النشاط عندما يُلقي محاضرة أو درساً ويكون المخاطب غير الله ﷻ.

❑ ورد في الآية ٤٦ من سورة الإسراء ما يشبه مضمون هذه الآية قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾.

التعاليم

١ ـ يعرف الإنسان مدى إيمانه وتصديقه بالآخرة بملاحظته لمدى اهتمامه أو نفوره من الأحكام الإلٰهيّة، ﴿اشْمَأَزَّتْ... يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

٢ ـ بين التوحيد والمعاد علاقة وثيقة، ﴿ذُكِرَ اللَّهُ... اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.

٣ ـ ذكر الله من أسس طمأنينة القلب، ولكنّها لبعض الناس سبب للاشمئزاز والنفور، ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ عَٰلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ ينبغي على الدعاة إلى دين الله والقادة الربّانيين الذين يقفون بصلابة أمام الكفّار، الاستمداد الدائم بذكر الله ﷻ، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾.

٢ ـ الجأ إلى الله ﷻ عند مواجهتك للأفراد الذين يأنسون بذكر غير الله وتشمئز قلوبهم من ذكر الله، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾.

٣ ـ الله ﷻ هو مبدأ الوجود ومنتهاه، فلماذا يتعلّق البعض بغير الله ﷻ؟ ﴿مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ... فَاطِرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٤ ـ الحكم لله ﷻ في يوم القيامة؛ لأنّه العالم بالغيب وبالشهادة، ﴿عَٰلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ﴾.

٥ ـ خلق السموات أهمّ من خلق الأرض. (ورد ذكر خلق السموات قبل خلق الأرض في جميع آيات القرآن الكريم)، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٦ ـ علم الله ﷻ بالغيب وبالشهادة واحد، ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

٧ ـ الناس كلّهم على ما بينهم من اختلاف هم عباد لله ﷻ، ﴿عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

٨ ـ الاختلاف بين الموحّدين والمشركين دائم وأبديّ، ﴿كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات

❑ للقائمين بالأسحار من الثواب في يوم القيامة ما لا يعلمه أحد، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ...﴾[1]، ويظهر للظالمين ما لم يكونوا يحسبون له حساباً: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾. ويقال للظالم: لقد كنت في غفلة عن هذا فكشفنا عنك غطاءك.

التعاليم

١ ـ ليس لأحدٍ في يوم القيامة من مالٍ أو ثروة يفدي بها نفسه، ﴿وَلَوْ...﴾.

٢ ـ لا شيء في يوم القيامة يحول دون الحكم على المجرمين، ﴿تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ... وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾.

٣ ـ تغلب غريزة حبّ الذّات على غريزة حبّ المال، ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ... لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾.

٤ ـ إذا كنّا اليوم نختلف على الدرهم، فعلينا أن نعلم أنّ ضعف ما في هذه الدنيا من مالٍ لا يكفي لنجاتنا في يوم القيامة، ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾.

---

(١) سورة السجدة: الآية ١٧.

٥ ـ الحكم الإلٰهيّ على العباد يقترن بظهور ما فعله العباد من المعاصي للإنسان بنحو لا يمكن إنكاره، ﴿تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ... وَبَدَا لَهُم﴾.

٦ ـ حسابات الإنسان ليست واقعيّة ولا حقيقيّة، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ يوم القيامة هو يوم انكشاف الحقائق وظهورها وظهور كافّة الأسرار، ﴿بَدَا لَهُم﴾.

٢ ـ أوّل هزيمةٍ معنويّة يُمنى بها الكافر هو ظهور وانفضاح ما ارتكبه من جرم، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾.

٣ ـ أوّل ما يظهر في حساب العصاة في يوم القيامة وبالقدرة الإلٰهيّة ما لم يكن في حسبانهم، ثمّ يُكشف عن أعمالهم التي يَعترفون بقبحها، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟... وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ﴾.

٤ ـ الاختلاف يكون جرما متى اقترن بالظلم، الاستهزاء والتعمّد والإصرار، ﴿ظَلَمُوا۟... كَسَبُوا۟... كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

٥ ـ العذاب الإلٰهيّ سوف يحيق بالكفّار من كلّ جانب، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

إشارات

□ تعرّض القرآن الكريم مكرراً لحال الإنسان حيث يلجأ إلى الله ﷻ عند الشدائد والابتلاءات؛ ولكنّه ينسى الله ﷻ في الرخاء، وهذا دليل عدم كونه شاكراً لله ﷻ.

التعاليم

١ ـ الإنسان موجود معرّض للضرر، ﴿مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ﴾.

٢ ـ عجز الإنسان عظيم إلى الحدّ الذي يلجأ إلى النداء بمجرّد أن يمسّه الضر، ﴿مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾.

٣ ـ الضرّ الذي يلحق بالإنسان بسبب عمله، ولأجل امتحانه واختباره، وأمّا النعم فهي من لطف الله، ﴿مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ... خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾.

٤ ـ الابتلاءات والمصائب تجعل الإنسان يعترف بعجزه، وتعيده إلى فطرة الإيمان بالله ﷻ وتجعله ذاكراً لها، ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾.

٥ ـ الدعاء مع الإخلاص سبب لنزول الرحمة الإلٰهيّة، ﴿دَعَانَا... خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً﴾.

٦ ـ النعمة والاستقرار سببٌ للغفلة والغرور، ﴿خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً... إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

٧ ـ الإنسان موجود كفور وغير شاكر، ﴿خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً... إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

٨ ـ المذموم هو نسيان النعمة الإلٰهيّة، ولا تدلُّ الآية على أن لا تأثير للعلم في تطوير الحياة، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾.

٩ ـ أكثر الناس لا يعلمون أنّ النّعم والبلاء الذي يلحق بهم هو لامتحانهم واختبارهم ليعلم من كان منهم شاكرا ومن كان منهم كافرا، ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٥٠ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥١﴾

إشارات

□ ورد في الآية الخمسون أنّ ما اكتسبوه في هذه الدنيا لن يُغنيَ عنهم في يوم القيامة، وقد ورد في آيات أخرى بيان مصاديق ما اكتسبوا:

ـ ﴿...لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ...﴾[١].

ـ ﴿...مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ...﴾[٢].

ـ ﴿...لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ...﴾[٣].

لقد كان قارون يرى أنّ ما يملكه من مالٍ إنَّما وصل إليه بسبب ما امتاز به من علم ومن سياسة اقتصاديّة فقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾[٤]، ولذا أشارت الآية هنا إلى مقولته فقال تعالى: ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

التعاليم

١ ـ ينبغي الاستفادة من النماذج التاريخيّة للهداية والتربية، ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٢ ـ التاريخ خير شاهد على أنّ المال والثروة ليست سبباً لنجاة الإنسان عند نزول العذاب الإلٰهيّ لا في الدنيا ولا في الآخرة، ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، وفي قصة قارون قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[٥].

٣ ـ السنن الإلٰهيّة تسير وفقاً للقانون، وهي ثابتة لا تتبدّل بتبدّل الزمان والمكان. فبالنسبة للماضين: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوٓا۟﴾، وبالنسبة للآتين: ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾.

٤ ـ أسباب النجاة في يوم القيامة ليست هي المال والسلطة، ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

٥ ـ مصير الإنسان بيده، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوٓا۟﴾.

٦ ـ يعجز المجرمون عن دفع عذاب الله ﷻ عنهم، ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٨.
(٣) سورة الطور: الآية ٤٦.
(٤) سورة القصص: الآية ٢٨.
(٥) السورة نفسها: الآية ٨١.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

إشارات

- ورد في الآية ٤٩ أنّ الإنسان ينسب النِّعم الإلٰهيّة إلى نفسه وما لديه من علم، وهذه الآية بيّنت أنّ سبب ذلك هو جهل الإنسان.
- ورد في بعض الروايات: إنّ الله تعالى وسَّع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ويعلموا أنّ الدنيا ليس يُنال ما فيها بعملٍ ولا حيلة[1].

التعاليم

١ ـ السعي وبذل الجهد وما لدى الإنسان من علم وإن كانت شروطاً ضروريّة لكسب الرزق؛ ولكنّها ليست شروطاً كافية وليست علّة نهائيّة لذلك: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾. (لا ينبغي أن يعتمد الإنسان على ما لديه من إمكانات ومن علم فقط؛ بل عليه أن يعلم أنّ ثمة قدرة أخرى دخيلة في ما يصل إليه).

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

إشارات

- تضمّنت الآيات السابقة تهديداً لأصحاب الغرور وهذه الآية تحمل بشارة لأهل الذنوب من التائبين.
- كافّة كلمات هذه الآية تشتمل على اللطف والمحبّة من الله ﷻ:

١ ـ تأمر النبي ﷺ بالإعلان الصريح عن البشارة، ﴿قُلْ﴾.

٢ ـ يجعل الله ﷻ من الإنسان محلًّا لخطابه، ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾.

---

(١) تفسير روح البيان.

٣ ـ يرى الله ﷻ الخلق كلّهم عبادا له ويستحقّون تلقّي رحمته، ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾.

٤ ـ جناية العصاة كانت على أنفسهم ولم يضرّوا الله شيئاً، ﴿أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾.

٥ ـ اليأس من رحمة الله حرام، ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾.

٦ ـ رحمة الله ﷻ لا حدَّ لها، ﴿ رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ (أضيفت الرحمة إلى الله ـ رحمة الله ـ ولم تضف للضمير، رحمتي ـ للدلالة على شمول الرحمة وسعتها؛ لأنّ لفظ الله هو الاسم الجامع).

٧ ـ الوعد بالرحمة الإلٰهيّة قطعي، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ﴾.

٨ ـ الله ﷻ يعفو على الدوام، ﴿يَغۡفِرُ﴾.

٩ ـ يعفو الله ﷻ عن الذنوب جميعاً، ﴿ٱلذُّنُوبَ﴾.

١٠ـ يؤكّد الله ﷻ عفوه على الذنوب كافة، ﴿جَمِيعًا﴾.

١١ـ الله ﷻ غفور رحيم، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

فبهذه الرأفة والمحبّة والرحمة يعلن الله ﷻ لعباده أنّ التهديد والوعيد في الآيات السابقة هو لتربية هذا الإنسان وليست من باب الانتقام والتشفي.

□ للإسراف في الاصطلاح القرآني معنىً واسع، فهو يشمل مضافاً إلى الإسراف في المال الإسراف في الروح والنفس، أي أن يخرج الإنسان عن حدِّ الاعتدال في الاستفادة ممّا يملكه من قدرات وطاقات ويقع نتيجة ذلك في الإفراط والتفريط.

□ ليس مراد القرآن من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ أن يُقدِم الإنسان على المعصية ويقول إنّ الله يغفر الذنوب، بل المراد إنّ المذنبين مهما كان عددهم كبيراً فإنّ العفو الإلٰهيّ يشملهم، ولا ينبغي أن يدخل اليأس من رحمة الله إلى قلوبهم، ومن الطبيعي أن يكون طريق نيل الرحمة الإلٰهيّة بالتوبة وتدارك الذنب كما سوف يأتي في الآية القادمة.

التعاليم

١ ـ القوانين والأحكام الإلٰهيّة هي في حد الاعتدال، فتجاوز الناس عن هذه الأحكام خروج عن حد الاعتدال، ﴿أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾.

٢ ـ لا فرق في العفو الإلٰهيّ بين أنواع الذنوب وكونها صغيرةً أو كبيرةً، ﴿الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

٣ ـ اليأس من رحمة الله منهيٌّ عنه، ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾.

٤ ـ العفو عن الذنوب هو مقتضى الرحمة الإلٰهيّة، ﴿رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ﴾.

٥ ـ الأمل برحمة الله بابٌ لنيل العفو الإلٰهيّ، ﴿لَا تَقْنَطُوا... إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ﴾.

٦ ـ إنّ الله ﷻ هو الذي يغفر الذنوب جميعاً، إذ قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ بدلاً من «إنه غفور».

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

إشارات

□ تعرّضت الآية السابقة للحديث عن الرحمة والمغفرة من الله ﷻ لتفتح الباب أمام الناس للعودة إلى الله ﷻ، وهذه الآية تأمر بالتوبة والإنابة، ولبيان أهميّة التوبة وضرورتها تتعرّض لخطر العذاب الإلٰهيّ.

التعاليم

١ ـ التوبة شرطٌ لشمول المغفرة الإلٰهيّة للعبد، ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...﴾.

٢ ـ لا بدّ من أن تصدر التوبة عن تسليم وإلّا كانت نفاقاً، ﴿وَأَنِيبُوا... وَأَسْلِمُوا﴾.

٣ ـ المغفرة الإلٰهيّة مشروطة بالتسليم واتّباع الأوامر الإلٰهيّة، ﴿وَأَسْلِمُوا﴾.

٤ ـ يجب اغتنام الفرصة بالتوبة قبل نزول العذاب، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾.

٥ ـ لا طريق للنجاة أمام هذا الإنسان سوى بالعودة إلى الله ﷻ ونيل النصرة منه ﷻ، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات

□ الأفعال الإلٰهيّة تقع على أحسن وجه، فخلق الله ﷻ على أحسن وجه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ...﴾[1]، ﴿...أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2]، ﴿...فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3]، وفي القرآن أحسن القصص: ﴿...أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾[4]، وحكمه هو الأفضل: ﴿...وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا...﴾[5].

كما يأمرنا الله ﷻ بأن نأتي بالعمل على أحسن وجه، واتّباع أحسن القول ﴿...فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ...﴾[6]، وأن نقول التي هي أحسن: ﴿...يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[7]. وأن ندفع بالتي هي أحسن: ﴿...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[8] وأن نحيّي بالأحسن: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾[9]، وأن لا نتصرّف في مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[10]، وأن يكون جدالنا مع الناس بالتي هي أحسن: ﴿...وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[11].

التعاليم

١ ـ ينبغي بيان العلل وفلسفة الأحكام عند الدعوة إلى الإسلام؛ (اتّباع القرآن لأنّه أحسن ما أُنزِلَ من الله ﷻ)، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ... مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

---

(١) سورة السجدة: الآية ٧.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٤.
(٣) سورة التين: الآية ٤.
(٤) سورة يوسف: الآية ٣.
(٥) سورة المائدة: الآية ٥٠.
(٦) سورة الزمر: الآية ١٨.
(٧) سورة الإسراء: الآية ٥٣.
(٨) سورة فصّلت: الآية ٣٤.
(٩) سورة النساء: الآية ٨٤.
(١٠) سورة الإسراء: الآية ٣٤.
(١١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

٢ ـ لا تكفي الإنابة والتسليم، بل لا بدّ من العمل، ﴿وَأَنِيبُوٓاْ... وَأَسۡلِمُواْ... وَٱتَّبِعُوٓاْ﴾.

٣ ـ حيث كان عمر الإنسان محدوداً وكانت إمكاناته محدودة وكانت الكمالات كثيرة، فإنّ على الإنسان أن يختار الأفضل والأحسن، ﴿أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾.

٤ ـ القرآن هو أشمل وأجمع ما أنزل الله ﷻ لهذا الإنسان، ﴿أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ...﴾.

٥ ـ الأوامر الإلٰهيّة وسيلة لهداية الإنسان وتربيته، ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾.

٦ ـ لا بدّ من معالجة الحادث قبل وقوعه (التوبة قبل نزول العذاب)، ﴿قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾.

٧ ـ العذاب الإلٰهيّ يأتي فجأةً، ﴿بَغۡتَةٗ﴾.

٨ ـ العذاب الإلٰهيّ يفوق شعور البشر، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾.

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦﴾

إشارات

- الحسرة هي الندم الشديد، والتفريط هو التقصير والمراد من الجنب الجهة والناحية.
- ورد في الروايات أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام هم جنب الله، وورد في أكثر من عشر روايات أنّ التفريط في جنب الله هو بعدم نصرة أمير المؤمنين عليه السلام[1].
- ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «... **وَأَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلًا ثُمَّ خَالَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ**»[2].

التعاليم

١ ـ يوم القيامة هو يوم الحسرة، ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾.

---

(١) تفسير أطيب البيان.

(٢) الكافي، ج٢، ص ١٧٦.

٢ ـ من التفريط ترك الإنابة والتسليم وعدم اتّباع الوحي، ﴿فَرَّطتُ﴾.

٣ ـ يجب اتّباع ما في جنب الله ﷻ، ﴿جَنۢبِ ٱللَّهِ، كِتَٰبَ ٱللَّهِ، أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ، أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ النتيجة المترتبة على الاستهزاء بالحقّ في هذه الدنيا الحسرة والخسارة في الآخرة، ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ... ٱلسَّٰخِرِينَ﴾.

٥ ـ يوم القيامة هو يوم الإقرار والاعتراف، ﴿فَرَّطتُ... كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾.

٦ ـ جذور التقصير والتفريط في جنب الله، الاستهانة بأوامر الله ﷻ والأسوأ من ذلك الاستهزاء بها، ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

إشارات

- إنّ المجرمين وإن قالوا ـ كما ورد في الآية ٥٧: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ولكن الجواب عن ذلك ورد في الآية ٥٩: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ يسعى المذنبون في يوم القيامة لتبرئة أنفسهم، ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾.

٢ ـ لا بدّ للإنسان من الهداية الإلٰهيّة لكي يصل إلى النجاة والاستقامة، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٣ ـ علامة التوفيق للهدى الإلٰهيّ التقوى والاستقامة، ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٤ ـ قيمة التقوى تظهر واضحة في يوم القيامة، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٥ ـ يغبط المذنبون المتّقون للحال التي هم عليها، ﴿...لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٦ ـ طرق الاجتناب عن الذنوب تذكّر أهوال يوم القيامة، ﴿أَوْ تَقُولَ... أَوْ تَقُولَ﴾.

٧ ـ التقوى والإحسان وسيلتان للنجاة في يوم القيامة، ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ... فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٨ ـ أمنية المذنبين في يوم القيامة الرجوع إلى الدنيا للعمل بالإحسان (لأنفسهم وللآخرين)، ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾.

٩ ـ الرجوع إلى الدنيا مستحيل، ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً...﴾؛ (كلمة لو تستعمل في المورد الذي يكون الشيء فيه مستحيلاً).

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

إشارات

❑ يعترف المجرم في يوم القيامة بالعديد من الأمور:

١ ـ الاعتراف بالتقصير: ﴿فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ الاعتراف بما كان عليه من الاستهزاء: ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾.

٣ ـ تمنّي الهداية: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾.

٤ ـ الأمل بالعودة إلى الدنيا: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾.

❑ وهذه الاعترافات مقبولة منه عند الله ﷻ ولكنّ الجواب يأتيه عن الاعتراف الثالث كما في هذه الآية بأنّ الله قد هداه، ولكنّه لم يتَّبع هدى الله، وأمّا الجواب عن اعترافه الرابع فهو في آيةٍ أخرى حيث يقول تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾[1].

التعاليم

١ ـ لا يعذِّب الله ﷻ أحداً إلّا بعد إتمام الحجّة عليه، ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي﴾.

٢ ـ التكذيب الفوري وبدون تفكير يكشف عن روح التكبّر والعناد، ﴿فَكَذَّبْتَ﴾.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٧.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات

- للكذب على الله ﷻ وجوه عدة، منها:
  - أ ـ جعل شريك لله ﷻ.
  - ب ـ تشبيه الله ﷻ بالأشياء.
  - ج ـ جعل الملائكة بنات لله ﷻ.
  - د ـ نسبة العمل القبيح لله ﷻ.
  - هـ ـ دعوى الألوهيّة أو النبوّة.
  - و ـ التحريف والبدع في التشريعات الإلٰهيّة.
- ورد في الروايات: من كذب علينا في شيء فقد كذب على رسول الله ﷺ، ومن كذب على رسول الله ﷺ فقد كذب على الله ومن كذب على الله عذّبه الله ﷻ[١].

التعاليم

١ ـ من يكذب على الله ﷻ ليخفي نوره، فإنّ عقابه في يوم القيامة أن يُحشر مسوّد الوجه، ﴿كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.

٢ ـ كون الإنسان أسود اللون بحسب الطبيعة ليس عيباً، (كسواد الجلد أو الشعر) ولكن السواد العرضيّ موجب للحقارة والذلّة، ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.

٣ ـ سواد الوجه الحقيقي وسواد القلب هو الذي يَظهر في يوم القيامة، ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.

٤ ـ التكبّر هو السبب الدّاعي للكذب على الله ﷻ، ﴿كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ...﴾.

---

(١) تفسير البرهان.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾

إشارات

□ تعرّضت الآية السابقة لاسوداد وجوه الذين كذبوا على الله ﷻ من أهل جهنّم، وهذه الآية تتحدّث عن المتّقين والمهتدين.

التعاليم

١ ـ التقوى هي وسيلة النجاة والاستقامة، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾.

٢ ـ لا يصل إلى المتّقين شيء من السوء، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾.

٣ ـ لا مجال للحزن في قلوب المتّقين، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

إشارات

□ يقرّ المشركون بكون الله ﷻ هو الخالق، كما ورد في الآية ٣٨ من هذه السورة ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، ولكنّهم يرون الأصنام أرباباً ومدبّرين من دون الله.

التعاليم

١ ـ الموحّد الحقيقي هو الذي يعتقد بالتوحيد بتمام أبعاده:

ـ التوحيد في الخالقيّة: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

ـ التوحيد في الربوبيّة: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

ـ التوحيد في العبادة؛ في الآية التالية: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾.

٢ ـ الخلق جميعاً بحاجة إلى الله ﷻ في أصل وجودهم وفي بقائهم واستمرارهم، ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

٣ ـ الله ﷻ هو خالق الوجود وله سلطة على الخلق أيضاً، ﴿خَٰلِقُ... لَّهُۥ مَقَالِيدُ﴾.

٤ ـ كفر المنكرين لا يضرّ الله ﷻ شيئاً؛ لأنّه مالك السموات والأرض، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ... أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ۝٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾

إشارات

- الشرك بعد العبادة يمحو أثرها. وقد ورد في هذه الآية وفي الآية ٢١٧ من سورة البقرة أنّ الارتداد سبب لحبط العمل: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾.

- الخطاب في هذه الآيات وإن كان موجّهاً للنبي ﷺ، ولكنّه خطاب يعمّ الناس جميعاً، والخطاب إنّما وجّه للنبي نظراً لأهميّة الموضوع وبيان أنّ الشرك لو حصل من النبيّ فإنّ عمله سوف يُحبط ويجازى على ذلك، أو على طريقة: إيّاك أعني، واسمعي يا جارة.

التعاليم

١ ـ الجهل أساس كلّ انحراف، ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ... أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾.

٢ ـ لا ينبغي التسليم إطلاقاً لما يريده الجاهلون، ﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ... أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾.

٣ ـ لا بدّ للعبادة من أن تكون عن معرفةٍ بالمعبود، ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ... أَعۡبُدُ... أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾.

٤ ـ يسعى الجاهلون لجرّ الناس نحو الانحراف حتّى الأنبياء منهم ﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ... أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾.

٥ ـ نبيّ الإسلام هو آخر أنبياء الله ﷻ، ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾؛ (ولم يرد في القرآن إطلاقاً من بعدك).

٦ ـ لا تجاوز عن الشرك بالله من أيٍّ كان، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾.

٧ ـ عصمة الأنبياء لا تمنع من أمرهم ونهيهم وترغيبهم وترهيبهم من الله ﷻ، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾.

٨ ـ خطر الشرك عظيم جدًّا (ورد تكرار حرف اللام المفتوحة للتأكيد)، ﴿لَئِنْ... لَيَحْبَطَنَّ... وَلَتَكُونَنَّ﴾.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

إشارات

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ المراد من اليمين القدرة الإلٰهيّة[1].
- الأوامر الإلٰهيّة على ثلاثة أنواع:

١ ـ الأمر المولويّ الصادر من الله ﷻ بما هو مولى، ولا طريق للعقل إلى سرّه، كالأمر بالطواف حول الكعبة: ﴿...وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[2].

٢ ـ الأمر الإرشادي الذي يدرك العقل السرَّ فيه ويكون الحكم الإلٰهيّ إرشاداً إلى حكم العقل. كقوله تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ لأنّ شكر وليّ النعمة هو من أحكام العقل.

التعاليم

١ ـ التوحيد في العبادة باب النجاة من الخسران، ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ... بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾.

٢ ـ عبادة الله ﷻ أفضل طريق لشكره، ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

٣ ـ التوحيد دليل على المعرفة الصحيحة بالله ﷻ، وأمّا الشرك فأساسه عدم معرفة الله ﷻ، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.

---

(١) توحيد الصدوق، ص ١٦١.
(٢) سورة الحج: الآية ٢٩.

٤ ـ ليست السموات والأرض بشيءٍ أمام القدرة الإلٰهيّة، ﴿قَبۡضَتُهُۥ... مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾

٥ ـ المعرفة الصحيحة بالله ﷻ تتحقَّق من خلال التأمّل في سعَة القدرة والإحاطة الإلٰهيّة، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا... وَٱلسَّمَٰوَٰتُ...﴾.

٦ ـ لا تلجأ إلى غير الله ﷻ؛ لأنَّ الأمور كلّها بيد الله ﷻ، ﴿وَٱلۡأَرۡضُ... وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ... سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

إشارات

- صريح هذه الآية أنَّ نهاية الدنيا وبداية العالم الآخر يتم عن طريق النفخة. وهذه النفخة ورد التعبير عنها تارة بالنفخ في الصُّور: ﴿...نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾[1]، وأخرى بـ ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾[2] وهي التي تقرع القلب، وثالثة بـ ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾[3]، وهي الصوت المهول ورابعة بـ ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ﴾[4].

- التصديق باختلال نظام الوجود وخراب عالم الطبيعة عن طريق إيجاد صوت مهول ومرعب ممكن بالتأمّل بصوت الموجات الانفجارية أو خرق جدار الصوت.

- ورد في الروايات أنّ الملك الموكل إليه النفخ في الصُّور هو إسرافيل[5].

- يموت الناس جميعاً عند النفخ في الصُّور إلّا من استثني ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾، وهذا بيان لسعَة القدرة الإلٰهيّة. أي إنَّ الله ﷻ لا يعجز عن شيء. وحيث

---

(١) سورة المدثّر: الآية ٨.
(٢) سورة القارعة: الآية ١.
(٣) سورة عبس: الآية ٢٣.
(٤) سورة يس: الآية ٥٣.
(٥) تفسير نور الثقلين.

يصاب الجميع بالموت فإنّ الله ﷻ لو شاء لأبقى بعضهم أحياء. كما ورد في بعض الروايات أنّ جبرائيل وإسرافيل وميكائيل أو الشهداء هم الذين لا يُصيبهم الموت بالنفخة[1].

التعاليم

١ ـ الموت والبعث بعد الموت لكافّة الناس سهل على الله ﷻ؛ لأنّه كالنفخ في الصُّور، ﴿نُفِخَ... فَصَعِقَ﴾.

٢ ـ ينبغي أن نتيقّن بأنّ القيامة واقعة لا محالة (فيوم القيامة وإن كان أمراً يتعلّق بالمستقبل ولكنّ كل ما يجري فيه ورد التعبير عنه بصيغة الماضي، وهذا دليل حتميّته)؛ ﴿نُفِخَ... فَصَعِقَ... ثُمَّ نُفِخَ﴾.

٣ ـ لا يختصّ البعث بالإنسان وبمن في هذه الأرض، ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

٤ ـ بين النفخة الأولى والنفخة الثانية في يوم القيامة زمان طويل ﴿نُفِخَ... ثُمَّ نُفِخَ﴾.

٥ ـ البعث يكون دفعةً ومفاجئاً، ﴿فَإِذَا هُمْ﴾؛ إذا للمفاجأة.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

إشارات

□ المراد من «نور الربّ» إمّا نور الحقّ والعدل الذي يُنير به الله ﷻ هذه الأرض، أو المراد منه نور غير نور الشمس والقمر وهو الذي يشرق في ذلك اليوم. نعم ذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان أنَّ المراد من نور الربّ هو كشف

(١) أنظر: تفاسير الميزان؛ تفسير نور الثقلين؛ تفسير الدرّ المنثور.

الأسرار والحقائق في يوم القيامة، ويورد لتأييد ذلك قوله تعالى في الآية ٢٢ من سورة ق: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾.

❑ ورد في تفسير أطيب البيان أنّ نور الشمس والقمر حيث يُصاب بالخسوف والكسوف فإنّ المراد من نور الربّ هو النور الذي يشرق من المؤمنين. ثمّ ذكر لتأييد ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[1].

التعاليم

١ ـ تقديم صحيفة الأعمال ومجيء الأنبياء والشهود والحكم بالحقّ في يوم القيامة هي من الأمور الحتميّة. (كلمات قضي، وضع وجيء وجاء وردت جميعها بصيغة الماضي).

٢ ـ الشهود في يوم القيامة متعدّدون (الأنبياء، الأئمّة، الملائكة، أعضاء الجسم، الأرض، الزمان، وغير ذلك)، ﴿الْكِتَابُ... بِالنَّبِيِّينَ... الشُّهَدَاءِ﴾.

٣ ـ سلوك الإنسان وعمله في هذه الدنيا كلّه خاضع للرقابة من الشهود، وذلك لأنَّ شرط الشهادة أن يتحمّلها الإنسان بمعنى أن يكون مشرفاً ومراقباً على الأعمال في هذه الدنيا، ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾.

٤ ـ السؤال في يوم القيامة وإن كان يشمل الأنبياء أيضاً، ﴿...وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[2]، ولكن إحضار الأنبياء في هذه الآية يكون إلى جانب الكتّاب والشهداء، وذلك للشهادة على أعمال أمّتهم، ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾.

٥ ـ القضاء والحكم الإلٰهيّ يكون على أساس صحيفة عمل الإنسان وشهادة الأنبياء والشهداء، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ... وَقُضِيَ﴾.

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٣؛ سورة التحريم: الآية ٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٦.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

إشارات

- «سيق» من «السوق» وهو الجرّ إلى الإمام، ويُطلق السوق على مكان البيع والشراء؛ لأنَّ ما فيه من جاذبيّة تسوق الإنسان.
- كلمة زُمَر تعني الجماعات وأطلق هذا الاسم على هذه السورة لوروده في هذه الآية (٧١)، وفي الآية (٧٣)[١].
- يسوق الملائكة أهل جهنّم إلى جهنّم: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٢].

التعاليم

١ ـ لا مجال للزيادة ولا للنقيصة في الثواب والعقاب الإلٰهيّين، ﴿وَوُفِّيَتْ﴾؛ وهو الوفاء التامّ والكامل.

٢ ـ لا يُستثنى أحد في يوم القيامة من الثواب والعقاب، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾.

٣ ـ الله ﷻ عالم بكلِّ شيء، وإحضار الشهود والشهادة لأجل تتميم نظام محكمة العدل وليس ليعلم الله ﷻ بذلك، ﴿أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

٤ ـ سوق المجرمين إلى جهنم فيه مهانةٌ لهم مضافاً إلى العذاب الآخر الذي ينتظرهم، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

٥ ـ أبواب جهنم تكون مغلقة، وعندما يصل إليها أهل جهنّم تفتح لهم الأبواب بشكل مفاجئ وهذا لإيجاد الرعب في نفوسهم، ﴿جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾.

٦ ـ لجهنّم أبواب متعدّدة، ﴿أَبْوَابُهَا﴾؛ وفي الآية ٤٤ من سورة الحجر نقرأ قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

(٢) سورة ق: الآية ٢١.

٧ ـ يخاطب الملائكة أهل جهنّم مباشرةً في يوم القيامة، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾.

٨ ـ لجهنّم خزنة مختصّون بها، ﴿خَزَنَتُهَا﴾.

٩ ـ لقد تمّت الحجّة على المجرمين، ﴿يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾.

١٠ ـ مضافاً إلى ما يقوم به أنبياء الله من بيان لآيات الله ﷻ؛ فإنّهم يقومون بإنذار الناس أيضاً، ﴿يَتْلُونَ... وَيُنذِرُونَكُمْ﴾.

١١ ـ يوم القيامة هو يوم الإقرار والاعتراف، ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾.

١٢ ـ سبب استحقاق العذاب هو الكفر من قِبَل الناس، ﴿حَقَّتْ... عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

١٣ ـ جذر الكفر يرجع إلى صفة التكبّر، ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ... ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

إشارات

❑ ورد في الآية (٧١) أنَّ أبواب جهنّم تُفتح عندما يصل أهل جهنّم إليها، ﴿جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾، ولكن في هذه الآية ورد العطف بالواو (وفتحت) أي إنَّ أهل الجنَّة يصلون إلى الجنّة وقد فُتِحَت أبوابها.

❑ ورد في كتاب الخصال عن الإمام علي عليه السلام إنّ لجهنم ثمانية أبواب، وأنّ كلَّ باب هو لفئة خاصة من الناس. فأحد هذه الأبواب هو للأنبياء والصدّيقين، وآخر للشهداء والصالحين، والخمسة الأخرى لشيعته وواحد لمن لم يبغض عليّاً عليه السلام[1].

❑ **سؤال**: على الرغم من كون عمر الإنسان وما يصدر منه من الخير في هذه الدنيا محدوداً، فإنّ الله ﷻ وعده بالثواب الجزيل وغير المحدود، ولذا ورد في الآيات أنّ أهل الجنّة وأهل جهنّم خالدون فيها.

---

(١) تفسير الميزان.

الجواب: أولاً: إنّ الخلود في الجنّة هو من باب اللطف الإلٰهيّ ولا يُنافي العدل. وثانياً، إنّ الخلود في جهنّم لا يشمل كافّة أهل جهنّم بل إنّ الكثير من أهلها يدخلون الجنّة بعد نيلهم جزاء عملهم وتطهّرهم من الذنوب. وثالثاً، إنّ مدّة العقاب ترتبط بنوع الذنب شدّةً وضعفاً، ولا ترتبط بالزمان الذي يستغرقه فعل الذنب. فقد يُقدِم أحدهم على قتل نفس في لحظة، وقد لا يوفّق لذلك ولكن يُحكم عليه بالسجن المؤبّد. فهل يتّحد جزاء إشعال عود ثقاب في برميل للوقود مع إشعاله في ناقلة نفط؟ نعم من لم يمتثل الأوامر الإلٰهيّة في حياته كلّها لا بدّ أن يخلد في العذاب.

التعاليم

١ ـ التقوى هي طريق الفوز بالجنّة، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾.

٢ ـ للجنّة أيضاً أبواب عدّة، ﴿أَبۡوَٰبُهَا﴾.

٣ ـ «السلام عليكم» هي صيغة سلام الملائكة على أهل الجنّة، وهي الصيغة التي أمر الإنسان بالسلام فيها في هذه الدنيا.

٤ ـ شرط دخول الجنّة الطهارة إمّا منذ البدء وإما بعد التوبة، ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا﴾.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾

إشارات

- المراد من الأرض في هذه الآية الجنّة.

التعاليم

١ ـ سيرة أهل الجنّة قول (الحمد لله) عند تلقي النّعم الإلٰهيّة، ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾.

٢ ـ من النِّعم الإلٰهيّة المعطاة لأهل الجنّة حقّ اختيار مكان السكن، ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾.

٣ ـ يمكن لكلِّ إنسان نيل الثواب الإلٰهيّ من خلال فعل الخير، ﴿أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

٤ ـ للجنّة ثمن ولا تُعطى مجاناً، ﴿أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

إشارات

□ **حَافِّينَ** من حفّ بمعنى الإحاطة، و**الْعَرْشِ** هو محل القدرة والإرادة الإلٰهيّة.

التعاليم

١ ـ يمكن لأولياء الله رؤية الملائكة، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ﴾.

٢ ـ العرش هو مكان تواجد الملائكة، ﴿حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾.

٣ ـ الملائكة على جهوزيّة تامّة لتنفيذ الأوامر الإلٰهيّة، ﴿حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾.

٤ ـ الملائكة مشغولة بالتسبيح دائماً، ﴿يُسَبِّحُونَ﴾.

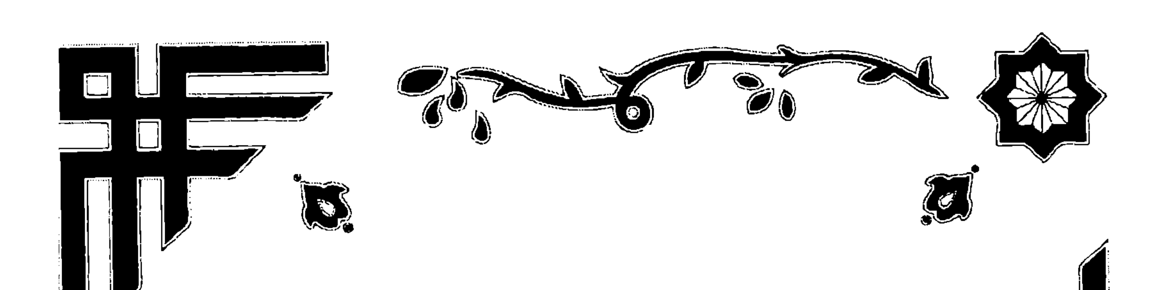
٥ ـ الحمد والتسبيح مقرونان، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

٦ ـ الملائكة كالبشر يخضعون للربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿رَبِّهِمْ﴾.

٧ ـ الحكم الإلٰهيّ في يوم القيامة يبتني على الحقّ والعدل ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ (يجب أن نعمل في الدنيا على أساس الحقّ لأنّنا سوف نحاسب بالحقّ): ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾.

٨ ـ الحمد والثناء إنّما يليق بمن كان ربّاً للعالمين كافّة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

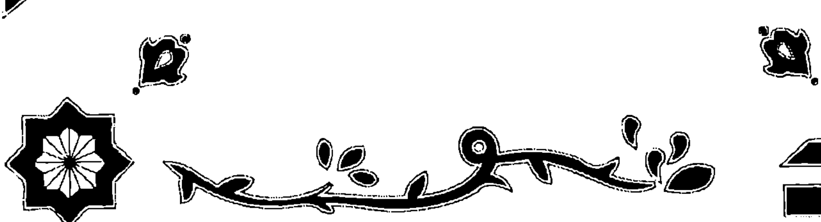
«والحمد لله رب العالمين»

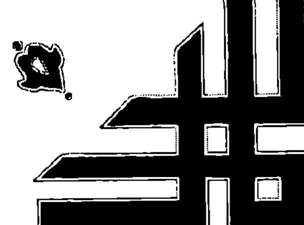


سُورَةُ غَافِرٍ

السورة: ٤٠ الجزء: ٢٤

عدد الآيات: ٨٥





ملامح سورة غافر

تحتوي هذه السورة على خمس وثمانين آية وهي من السور المكيّة.

اسم هذه السورة غافر وهو مأخوذ من الآية الثالثة وفيها قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾. والاسم الآخر لهذه السورة هو سورة المؤمن. وذلك لتعرّضها لقصّة مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه لكي يكون عوناً لموسى عليه السلام. فتحدّثت الآيات ٢٨ وما بعدها عن قصّة هذا الرجل.

مضمون هذه السورة يشمل مضافاً إلى قصّة موسى، نوح وعاد وثمود، معارف التوحيد والمعاد والحكمة الإلٰهيّة، وقد تعرّضت في ما يقرب من عشرين آية لقصّة مؤمن آل فرعون ولم يُذكر له في موضع آخر من القرآن الكريم.

في القرآن الكريم سبع سور تبدأ بـ ﴿حمٓ﴾، وهذه السورة هي أوّل هذه السور، والسور الباقية هي: فصّلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية والأحقاف، ويُطلق عليها تسمية (الحواميم).

حثّت الروايات على قراءة السور الحواميم في صلاة الليل، وقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الحواميم هي لُباب القرآن.

وورد في الحديث: الحواميم رياحين القرآن، فإذا قرأتموها فاحمدوا الله واشكروه كثيراً، لحفظها وتلاوتها، إنّ العبد ليقوم ويقرأ الحواميم، فيخرج من فيه أطيب من المسك الأذفر والعنبر، وإنّ الله عزّ وجلّ ليرحم تاليها أو قارئها ويرحم جيرانه وأصدقاءه ومعارفه وكلَّ حميم وقريب له، وإنّه في القيامة يَستغفر له العرش والكرسي وملائكة الله المقرَّبون[1].

---

(١) تفسير نمونه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ① تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ② غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ③﴾

إشارات

□ ورد في بعض الروايات أنّ للحروف المقطّعة تأويلاً لا يعلمه إلا الله ﷻ[١]. ولكنّ بعضاً آخر من الروايات ورد فيه تفسير هذه الحروف بلحاظ الآيات التي وردت بعد هذه الحروف والتي تتحدّث عن أنّ الله ﷻ أراد بهذه الحروف المقطّعة أن يحتجّ على الكفار بأنّ القرآن يتألّف من هذه الحروف، فإن أمكنكم فأتوا بمثله.

□ المراد من ذي الطول أحد معنيين، إمّا صاحب الفضل والعطاء وهو رمز الرحمة الإلٰهيّة، وإمّا صاحب القدرة وهو رمز القوّة الإلٰهيّة.

□ الآيات التي ابتدأت بقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ذكرت اسم الله ﷻ مع بعض صفاته منها:

- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[٢].
- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[٣].
- ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٤].
- ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٥].
- ﴿...تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٦].
- ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٧].

(١) تفسير مجمع البيان.
(٢) سورة الزمر: الآية ١.
(٣) سورة غافر: الآية ٢.
(٤) سورة فصلت: الآية ٢.
(٥) سورة يس: الآية ٥.
(٦) سورة فصلت: الآية ٤٢.
(٧) سورة الواقعة: الآية ٨٠.

وطبقاً لهذه الآيات فإنّ مُنزِلَ الوحي هو صاحب القدرة، الحكمة، الرحمة، والربوبيّة ومن يليق به الحمد والثناء.

المغفرة في القرآن

□ تعرّضت آيات القرآن الكريم لأسباب المغفرة ومن ذلك:

ـ الإيمان: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا...﴾[١].

ـ التقوى: ﴿...إِن تَتَّقُوا اللَّهَ... يَغْفِرْ لَكُمْ...﴾[٢].

ـ اتّباع الأنبياء: ﴿...فَاتَّبِعُونِي... يَغْفِرْ لَكُمْ...﴾[٣].

ـ العفو عن الناس: ﴿وَلْيَعْفُوا وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٤].

ـ الإنفاق على الناس: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ... يَغْفِرْ لَكُمْ...﴾[٥].

ـ الجهاد: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... يَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٦].

ـ العبادة: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ... يَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٧].

ـ اجتناب الكبائر: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ... نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾[٨].

ـ الدعاء والاستغفار والتوبة: ﴿...ظَلَمْتُ نَفْسِي... فَغَفَرَ لَهُ...﴾[٩].

ـ دعاء أولياء الله للإنسان: ﴿...يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا...﴾[١٠].

التعاليم

١ ـ اعتماد أسلوب جديد في بيان بعض المضامين يشكّل دافعاً للاستماع من قِبَل الآخرين، ﴿حمٓ، تَنزِيلُ﴾.

٢ ـ القرآن أنزل تدريجاً (التنزيل هو النزول التدريجيّ).

(١) سورة طه: الآية ٧٣.
(٢) سورة الانفال: الآية ٢٩.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٤) سورة النور: الآية ٢٢.
(٥) سورة التغابن: الآية ١٧.
(٦) سورة الصف: الآيتان ١١ و١٢.
(٧) سورة نوح: الآيتان ٣ و٤.
(٨) سورة النساء: الآية ٣١.
(٩) سورة القصص: الآية ١٦.
(١٠) سورة يوسف: الآية ٩٧.

٣ ـ عظمة القائل لا ينبغي أن تكون مانعاً من نزول الكلام بمستوى فهم المخاطب (الله العزيز أنزل كلامه) ﴿تَنزِيلُ... مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾.

٤ ـ كلام الله ﷻ العزيزِ عزيزٌ أيضاً فلا ينفذ فيه شيء ولا يغلبه منطق أو كلام آخر، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ... ٱلْعَزِيزُ﴾.

٥ ـ القرآن تجلٍّ من تجلّيات العزّة والعلم الإلٰهيّين، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

٦ ـ القرآن وسيلة لعزّة المسلمين ولمعارفهم وعلومهم، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

٧ ـ نزول الكتاب وبيان المغفرة الإلٰهيّة والإنذار الإلٰهيّ تقع كلّها في مسير كمال الإنسان ووصوله إلى الله ﷻ، ﴿تَنزِيلُ... غَافِرِ... شَدِيدُ... إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

٨ ـ نزول الكتاب لمعرفة المبدأ والمعاد، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ... لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

٩ ـ شمول الألطاف الإلٰهيّة لهذا الإنسان يكون في ظلّ الكتاب السماويّ، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ... غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾.

١٠ ـ لا بدّ من وجود كتاب وقانون، وحساب وعفو أو عقاب كلٌّ في محلّه، ﴿تَنزِيلُ... غَافِرِ... ٱلذَّنۢبِ... شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾.

١١ ـ العفو حسنٌ ممّن يتحلّى بالقدرة، ومن المنتصر، ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ، غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾.

١٢ ـ لا يمكن لأحدٍ أن يقف حائلا أمام نزول الوحي، إذاً لا طريق للغلبة عليه، ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾، وهو يعلم على من أُنزِلَ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾.

١٣ ـ الخطّ الذي يمكن من خلاله تعريف الإسلام هو أنّه من الله وإلى الله، ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ... إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

١٤ ـ الرحمة الإلٰهيّة تسبق الغضب الإلٰهيّ، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ... شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾.

١٥ ـ يُعفى عن الذنب بسبب العمل الصالح أحياناً، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ (نظير قوله

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[١] وعن طريق التوبة أحياناً أخرى، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾.

١٦ ـ المؤمن يعيش بين الخوف والرجاء؛ لأنّ الله ﷻ غفور وشديد العقاب، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ... شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾.

١٧ ـ الرحمة والعذاب الإلٰهيّين لا بدَّ من أن يكونا إلى جانب بعضها البعض حتّى لا يُصاب الإنسان باليأس ولا يُصاب بالغرور، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ... شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾.

١٨ ـ سبب العذاب الإلٰهيّ عمل الإنسان، ولولا ذلك فإنّ اللطف الإلٰهيّ متتابع، ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾.

١٩ ـ اللطف الإلٰهيّ دائم، ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾

إشارات

- الجَدْل في اللغة هو فتل الحبل، وهو في الاصطلاح الحوار الذي يدور بين طرفين ويسعى كلٌّ منهما للغلبة على حجّة الطرف الآخر.

الجدال والحوار

- الجدال على نوعين:

أ ـ الجدال بالتي هي أحسن هو سيرة الأنبياء، وهو حوار يقوم به الأنبياء لإرشاد الناس إلى الحقّ. ولذا خاطب الكفّار نوحاً ﷺ بقولهم: ﴿...يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا...﴾[٢].

ب ـ الجدال الباطل الذي يكون الهدف منه إبطال الحقّ أو إضعافه من خلال نشر أنواع الباطل والانحرافات: ﴿...وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ...﴾[٣].

---

(١) سورة هود: الآية ١١٤

(٢) السورة نفسها: الآية ٣٢.

(٣) سورة غافر: الآية ٥.

□ يجب الاحتراز عن الجدال في قضايا العقيدة وفي المسائل العلميّة إلاّ أن يكون بالتي هي أحسن:

- ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ...﴾[1].

- ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[2].

□ نماذج من الجدال بالتي هي أحسن.

● دعا النبي إبراهيم عليه السلام النمرود إلى الإيمان بالله عزّ وجلّ وقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

● في جدال القرآن الكريم مع المشركين يكرّر القرآن الكريم القول والتحدّي: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

□ الجدال بالباطل هو من إيحاءات الشيطان: ﴿...وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ...﴾[3].

□ مفاسد الجدال

١ ـ سبب للضلال: «ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلّا أوتوا الجدل»[4].

٢ ـ سبب للغضب الإلٰهيّ: «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتّى ينزع»[5].

٣ ـ سبب للندم «إيّاك واللجاجة فإنّ أوّلها جهل وآخرها الندامة»[6].

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.
(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢١.
(٤) نهج الفصاحة، الحديث ٢٦٤٨.
(٥) المصدر نفسه، الحديث ٢٨٦٥.
(٦) المصدر نفسه، الحديث ١٠٠٨.

□ **أسلوب الجدل والجدال بالتي هي أحسن:**

١ ـ المطالبة بالدليل، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾[(١)].

٢ ـ عدم النظر إلى نفسه على أنّه الأفضل، ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ...﴾[(٢)].

٣ ـ قبول الحقّ وإن اقتضت المصلحة الشخصية رفضه، ﴿...فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ...﴾[(٣)].

٤ ـ أعطِ الخصم فرصة التفكير، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ...﴾[(٤)].

٥ ـ لا بدّ من رعاية الأدب، ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا...﴾[(٥)].

٦ ـ الإنصاف والنظر إلى الجميع بعينٍ واحدة، ﴿...فَرِيقٌ مِّنْهُمْ...﴾[(٦)].

٧ ـ اعتماد الحديث المنطقيّ، ﴿...قَوْلًا سَدِيدًا﴾[(٧)].

٨ ـ اعتماد الكلام القريب من القلب، ﴿...قَوْلًا لَّيِّنًا... ﴾[(٨)].

التعاليم

١ ـ لا سبب لمجادلة الحقّ إلّا الكفر، ﴿مَا يُجَٰدِلُ... إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

٢ ـ لا تتوقّع أن يرضى الجميع بالحقّ منك، ﴿يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ أسلوب الكفّار، الجدال بالباطل، ﴿مَا يُجَٰدِلُ﴾ فعل مضارع وهو يدل على الدوام).

٤ ـ الأنبياء أيضاً بحاجة إلى الموعظة والتذكير، ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ...﴾.

٥ ـ لا ينبغي الخوف من الكفّار كما لا ينبغي أن نكون في موقع ردّة الفعل، ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١١.
(٢) سورة سبأ: الآية ٢٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٩.
(٤) سورة التوبة: الآية ٦.
(٥) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٢٣.
(٧) سورة الأحزاب: الآية ٧٠.
(٨) سورة طه: الآية ٤٤.

٦ ـ حركة الكفّار هي من المهلة التي أعطاها الله ﷻ لهم إلى الأجل الذي جُعل لهم، فلا داعيَ للقلق، ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾.

٧ ـ لا ينبغي الغفلة، فإنّ الكفّار في حال سعي دائم، ﴿تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ (المناورات العسكريّة، المؤتمرات السياسيّة، الزيارات المتكرّرة والاتّفاقات الدولية التي تقوم بها قوى الاستكبار هي مصاديق لتقلّبهم في البلاد).

٨ ـ لا بدّ لقائد المجتمع الإسلامي من أن يُحيط بتحرّكات الكفّار، ﴿تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾

إشارات

□ ورد في الآية ١٢ من سورة ص بيان الأحزاب والقوم الذين جاؤوا من بعد نوح، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾.

التعاليم

١ ـ الاطّلاع على ما يعانيه الآخرون سببٌ للثبات والتصبّر، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ...﴾.

٢ ـ نشوء الأحزاب وتعدّدها ليس دليلاً على كونها على حقّ، ﴿كَذَّبَتْ... الْأَحْزَابُ﴾.

٣ ـ برنامج الأحزاب المكذّبة بالأنبياء عبارة عن:

- التكذيب، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾.
- التآمر، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ﴾.
- الدعاية للباطل، ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

٤ ـ لقد كان النمط القبَليّ هو النمط السائد في بداية التاريخ، ولكن بعد ذلك ابتدأت الأحزاب، ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

٥ ـ منكرو النبوّات تارةً هم الطواغيت (فرعون)، وأخرى القبائل (قومهم)، وثالثة الأحزاب (الأحزاب).

٦ ـ الله ﷻ هو الذي يَحمي الأنبياء، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ...﴾.

٧ ـ يتّحد الهدف لدى كافّة منكري النبوّات في مواجهتهم للأنبياء، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾.

٨ ـ لا يقنع منكرو النبوات بأقل من قتل رُسل السماء، ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾؛ وإفناء الحقّ، ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

٩ ـ عقاب المنكرين على الله ﷻ، ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

١٠ ـ قد يكون العقاب الإلٰهيّ في هذه الدنيا، ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٦ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧﴾

إشارات

□ ذكرت الآيات السابقة أنّ موقف الناس من دعوة الأنبياء على نوعين، ولذا كانت المغفرة نصيب أحد الفريقين وكان العذاب الإلٰهيّ هو من نصيب الفريق الآخر. وتذكر هذه الآيات أنّ الملائكة يعملون على الدفاع عن الفريق الأوّل.

ما هو العرش؟

□ جاء القرآن على ذكر العرش في عشرين موضعاً. والعرش في اللغة هو السرير ذو الأعمدة العالية، وأمّا الكرسي فهو السرير ذو الأعمدة القصيرة. وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ نعم، إنّ كرسيّه تشمل الوجود كلّه، فما هو العرش؟

العرش كناية عن مركز القدرة الإلٰهيّة، أو محلّ صدور الأحكام الإلٰهيّة،

والمراد من حَمَلة العرش هم الملائكة الذين يبلغ عددهم ثمانية: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾[١].

- لا ندرك حقيقة العرش، ولكن المستفاد من مجموع الآيات أنّ لعالم الوجود مركزاً وإنّ الله ﷻ محيط بهذا المركز تماماً: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، وإنّ الإرادة الإلٰهيّة تسري إلى الأطراف من خلال الملائكة.

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله**»[٢].

- تعرّضت الآيات إلى جانب العرش لبعض المضامين التي يَظهر من خلال تصنيفها أنّ العرش هو مركز الأمر الإلٰهيّ، نحو:

  - ﴿...ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾.
  - ﴿...يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ... لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ...﴾[٣].
  - ﴿...يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾[٤].
  - ﴿...يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ...﴾[٥].
  - ﴿...يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ...﴾[٦].

فحركة الليل والنهار وتدبير الأمور وتفصيل الآيات والعلم بتمام ذرَّات الوجود وكلُّ ما ينزل من السماء وما يعرج فيها يدلُّ على ما يقع في العرش الإلٰهيّ.

- يرى العلامة الطباطبائي أنّ العرش حقيقة من الحقائق الوجوديّة وأمر من الأمور الخارجيّة وهو مركز تدبير أمور العالم[٧].

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٧.
(٢) معاني الأخبار، ص ٢٩.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٤.
(٤) سورة يونس: الآية ٣.
(٥) سورة الرعد: الآية ٢.
(٦) سورة الحديد: الآية ٤.
(٧) تفسير الميزان.

❑ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: أنّه سئل عَنِ الْعَرْشِ وَ الْكُرْسِيِّ؟ فَقَالَ: «**إِنَّ لِلْعَرْشِ صِفَاتٍ كَثِيرَةً...**» إلى أن قال: «**لِأَنَّهُمَا بَابَانِ مِنْ أَكْبَرِ أَبْوَابِ الْغُيُوبِ**»[1].

❑ ليس المراد من العرش السرير المادّي؛ لأنّ السرير المادّي لا يكون على الماء: ﴿...وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ...﴾[2]، بل المراد أنّ العالم قبل خلق السموات والأرض كان عبارةً عن ماء، وأنّ دائرة الأمر الإلٰهيّ كانت على الماء وبعد أن خلق السموات والأرض انتقل مركز الأمر في عالم الوجود إلى السماء.

التعاليم

١ ـ العذاب الإلٰهيّ في حقّ الكفّار هو من السنن الإلٰهيّة، ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

٢ ـ العقاب الإلٰهيّ ليس جزافاً، بل يقوم على أساس الحقّ والعدل، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

٣ ـ مجازاة المجرمين وإنزال العقاب بهم من شؤون الربوبيّة، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

٤ ـ الكفر هو سبب زوال الأمم الماضية، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾.

٥ ـ يجب على المؤمنين أن يعلموا دائماً أنّ المقرّبين من الساحة الإلٰهيّة في حال دعاء دائم لهم، ﴿يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ... وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾.

٦ ـ يرفع الإسلام من تفكير الإنسان في المأكل والملبس والمسكن إلى التفكير بالعرش والملائكة والتسبيح والتحميد، ﴿يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ... يُسَبِّحُونَ﴾.

٧ ـ اللامتناهي هو الله عزّ وجلّ وحده، ولذا كان العرش أيضاً محدوداً، ﴿حَوْلَهُۥ﴾.

٨ ـ تعرّض القرآن للحمد والتسبيح بشكل متقارن مراراً، ولذا كان تقارنهما في ذكر الركوع والسجود، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

٩ ـ من آداب الدعاء البدء بالتسبيح والتحميد لله عزّ وجلّ، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ ثمّ التعظيم والتبجيل، ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾؛ وبعد ذلك الدعاء، ﴿فَٱغْفِرْ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٥، ص ٣٠. (٢) سورة هود: الآية ٧.

١٠ ـ عظم المسؤوليّة لا ينبغي أن يكون مانعاً من تسبيح الله وحمده وذكر من يستحق الدعاء. فالملائكة هم حملة العرش ويذكرون الله ﷻ، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ ويدعون لأهل الإيمان، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

١١ ـ لا بدّ في الدعاء من السنخيّة. فالملائكة يدعون لأهل الإيمان، ﴿يُؤْمِنُونَ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

١٢ ـ الإيمان هو حلقة الوصل بين عالم الملك وعالم الملكوت، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

١٣ ـ الاستغفار للآخرين إنّما يكون مؤثّراً متى كانوا من أهل الإيمان، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

١٤ ـ بين الملائكة والإنسان ارتباط وعلاقة. (فالإمام السجاد عليه السلام وفي الصحيفة السجادية يسلّم ويدعو لمجموعةٍ من الملائكة) والملائكة من حملة العرش يستغفرون للناس، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

١٥ ـ الدعاء للآخرين فعل حسن يدعو إليه القرآن، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

١٦ ـ الذين يشملهم دعاء الملائكة هم أهل الإيمان والعمل، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

١٧ ـ لا تكفي التوبة وحدها، بل لا بدّ من العمل بعدها، ﴿تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟﴾.

١٨ ـ طريق النجاة في اتّباع سبيل الله ﷻ، ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾

إشارات

□ في ما يرجع إلى اجتماع أعضاء الأسرة الواحدة الذين هم من أهل الجنّة ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1].

---

(١) سورة الطور: الآية ٢١.

❑ يبدأ الأنبياء والملائكة دعاءهم بكلمة (ربنا) أو (رب):

- دعاء النبيّ آدم عليه السلام: ﴿...رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا...﴾[١].
- دعاء النبيّ نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَىَّ...﴾[٢].
- دعاء النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿...رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا...﴾[٣].
- دعاء النبيّ يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ...﴾[٤].
- دعاء النبيّ موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٥].
- دعاء النبيّ سليمان عليه السلام: ﴿...رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ...﴾[٦].
- دعاء النبيّ عيسى عليه السلام: ﴿...رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً...﴾[٧].
- دعاء رسول الله ﷺ: ﴿...رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[٨].
- دعاء المؤمنين: ﴿...رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٩].
- دعاء الملائكة في هذه الآية: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ﴾.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من أن يكون الإنسان صالحاً حتّى يشمله دعاء أولياء الله ﷻ، ﴿وَأَدْخِلْهُمْ... وَمَن صَلَحَ﴾.

٢ ـ لا تكفي النجاة من النار، بل لا بدّ من الفوز بالجنّة، ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ... وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ﴾.

٣ ـ لا بدّ أولاً من تطهير النفس من السيئات، حتى تُنال الكمالات، ﴿وَقِهِمْ... وَأَدْخِلْهُمْ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٣.
(٢) سورة نوح: الآية ٢٨.
(٣) سورة البقرة: الآيات ١٢٦ ـ ١٢٨.
(٤) سورة يوسف: الآية ١٠١.
(٥) سورة القصص: الآية ٢٤.
(٦) سورة النمل: الآية ١٩.
(٧) سورة المائدة: الآية ١١٤.
(٨) سورة المؤمنون: الآية ٩٧.
(٩) سورة آل عمران: الآيات ١٩١ ـ ١٩٤.

٤ ـ شرط دخول الجنّة أن يكون الإنسان من الصالحين، ﴿وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ... وَمَن صَلَحَ﴾.

٥ ـ لا قيمة للعلاقة مع عدم كونه صالحاً ولا أهلاً لها، ولكنّها تزيد من قيمة من يكون صالحاً. (الصلاح هو القانون، والإلحاق بالأقارب هو بسبب العلاقة)، ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾.

٦ ـ الله ﷻ له القدرة على العطاء، ولكن عطاءه على أساس الحكمة، ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

٧ ـ مجاورة الأهل والعيش إلى جانبهم من النِّعم الإلٰهيّة، ﴿وَأَدۡخِلۡهُمۡ... وَمَن صَلَحَ﴾.

٨ ـ العزّة تختصُّ بالله ﷻ، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ⑨﴾

التعاليم

١ ـ تطهير النفس يتوقّف على إرادة الإنسان وهمّته، ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾[1]، وكذلك يتحقق من خلال الابتعاد والاجتناب عن أهل السوء ومواطن السوء: ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾[2]، ﴿...فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ...﴾[3]، كما يتوقّف على اللطف والمدَد من الله ﷻ ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾.

٢ ـ الرحمة الإلٰهيّة لا تنحصر بالنِّعم الماديّة، بل تشمل الوقاية من السيئات، ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾.

٣ ـ الاستقامة الكبرى تتحقَّق متى كان الإنسان بعيداً عن الأمراض الماديّة والمعنويّة، ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ (فالأمراض المعنويّة هي من السيئات، ﴿...مَن

(١) سورة النازعات: الآية ٤٠.
(٢) سورة المائدة: الآية ٤٢.
(٣) سورة النساء: الآية ١٤٠.

كَسَبَ سَيِّئَةً...﴾[١]، وكذلك الأمراض المادّية: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾[٢]، كما أنّ للحسنة مصاديق في الدنيا ومصاديق في الآخرة، ﴿...رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً...﴾[٣].

٤ ـ لا بدّ من أن نسأل الله ﷻ التوفيق لاجتناب الذنوب، ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

٥ ـ الاستقامة ليست من فعل أنفسنا بل هي من لطف الله ﷻ ورحمته، ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

٦ ـ الاستقامة لا تتحقّق بالرفاه الدنيويّ، بل بالتقوى، ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ... ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

إشارات

- ورد كلمة ﴿يُنَادَوْنَ﴾ في موضعين من القرآن الكريم في حقّ أهل جهنّم توهيناً لهم. أحد الموضعين هو في هذه الآية والموضع الآخر في الآية ٤٤ من سورة فصّلت: ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾.
- تعرّضت الآيات السابقة لدعاء الملائكة للمؤمنين، وهذه الآية تتحدّث عن العذاب الإلٰهيّ في حقّ المشركين، فهناك كان الحديث عن سِعَة الرحمة الإلٰهيّة، ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً﴾، وفي هذه الآية عن العذاب العظيم ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فرحمته كبيرة وغضبه عظيم.

التعاليم

١ ـ مضافاً إلى عذاب النار ففي جهنّم عذابٌ آخر نفسيّ وهو المهانة والاحتقار لأهل جهنّم، ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨١.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

٢ ـ لئن كفروا اليوم، فإنّهم سيمقتون أنفسهم غداً، ﴿مَقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾.

٣ ـ الله ﷻ قد أتمّ الحجّة عليهم، ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ﴾.

٣ ـ منشأ عقاب أهل جهنم هو كفرهم، ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾

إشارات

- المراد من الموت مرّتين بحسب الظاهر الموت عند نهاية العمر، والموت عند نهاية عالم البرزخ، والمراد من الإحياء مرتين، الإحياء في عالم البرزخ والإحياء في القيامة. وقال بعضهم: المراد من الموت مرتين هو الموت قبل خلقهم وبعد نهاية عمرهم في هذه الدنيا، والمراد من إحيائهم مرّتين هو الإحياء عند خلقهم في هذه الدنيا وعند القيامة، والدليل على هذا الرأي هو قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ...﴾[1]، وما ذكرناه أولى لأنّ الآية تتحدّث عن الإماتة لا عن الموت قبل الولادة.

- يتمنّى أهل جهنّم العودة إلى هذه الدنيا، وقد تعرّض القرآن لذلك مراراً:

فتارةً يسأل هؤلاء عن السبيل للعودة إلى هذه الدنيا، وأخرى يتمنّى هؤلاء العودة ليعملوا صالحاً، وثالثةً يَطلبون من الله ﷻ أن يُعيدهم إلى الحياة الدنيا ليعملوا صالحاً، والآيات التالية تبيّن ذلك:

- ﴿...هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾[2].
- ﴿...لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].
- ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨.
(٢) سورة الشورى: الآية ٤٤.
(٣) سورة الزمر: الآية ٥٨.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٠٧.

- ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾[1].
- ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾[2].

التعاليم

١ ـ تكرار كلمة اثنتين إلى جانب تمنّي الخروج من النار، يدلّ على أنّ الكفّار يقولون: ربّنا! لقد أحييتنا أكثر من مرّة وأمتنا كذلك، فأحيِنا مرّة أخرى لننجو، ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾.

٢ ـ سوف يؤمن الكفّار يوماً ما بالقدرة الإلٰهيّة. فمن كان يقول منهم: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾[3]، سوف يقول في ذلك اليوم: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾.

٣ ـ الاعتراف في محاكم الدنيا قد يكون سبباً لتخفيف العقاب، ولكنّه في الآخرة ليس كذلك، ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾.

٤ ـ إذا تحقّقت التوبة في وقتها وقبل الموت، فإنّ دعاء الملائكة واللطف الإلٰهيّ سوف يلحقا بها، ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ...﴾، ولكن إذا كانت بعد فوات وقتها وعند الموت فلا أثر لها، ولن يُستجاب للكافر ذلك، ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾.

٥ ـ عجز أهل جهنّم وحاجتهم تصل حدّاً يتمنّون فيه للنجاة لحظةَ الخروج من جهنّم، ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾

إشارات

□ الكثير من الناس لا يملكون إيماناً خالصاً، فيرتبطون إلى جانب إسلامهم وإيمانهم بقوىً أخرى، ويسعون مع اعتقادهم بالإسلام إلى تحصيل رضا هذه القوى ويهتمّون بمراعاة قوانين وأنظمة الشرق والغرب، ويُظهرون في مجالس

---

(١) السورة نفسها: الآية ١٠٠.
(٢) سورة السجدة: الآية ١٢.
(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٤.

الكفّار نوعاً من الضعف والضِّعَة ويتظلّلون بالخجل، بل قد يصل بهم الأمر أحياناً إلى ترك الصلاة لأنّهم يُشاركون في جلسة رسميّة.

التعاليم

١ ـ عند معاقبة المجرمين، لا بدّ من بيان سبب سقوطهم واستحقاقهم للعذاب، ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا...﴾

٢ ـ الكفر سببٌ للعذاب الدائم، ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ... كَفَرْتُمْ﴾.

٣ ـ الشرك كفر، ﴿دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾.

٤ ـ الحكم في يوم القيامة هو لله ﷻ، ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾.

٥ ـ إنّ أيّ موجود يَجعل شريكاً لله لا يُمكن مقارنته به تعالى؛ لأنّه العلي الكبير، ﴿ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾.

٦ ـ لا يظنّن أحد أنّ الشرك يضرّ الله شيئاً، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ... فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

إشارات

- تحدّثت الآيات السابقة عن شركهم وكفرهم، وهذه الآيات تدعو الناس إلى التوحيد.
- ورد في هذه الآية أنّ أهل الإنابة هم الذين يتذكّرون، وفي الآية ١٩ من سورة الرعد قال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وعليه فإنّ أولي الألباب حقيقةً هم أهل الإنابة، وأهل الإنابة هم أولو الألباب؛ نعم، الدمع لا بدّ من أن يكون على أساس المعرفة: ﴿...تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ...﴾[1].

(١) سورة المائدة: الآية ٨٣.

□ تكرّرت جملة: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثلاث مرّات في القرآن الكريم، وتكرّرت جملة: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ مرّتين، وكذلك جملة: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، وهذا إرشاد إلى أنّنا لا ينبغي أن نعمل على تحصيل رضا الكافرين والمشركين والمجرمين، والامتناع عن القيام بواجبنا إذا كان مخالفاً لرغبتهم ورضاهم.

التعاليم

١ ـ عالم الوجود مليء بالدلائل على التوحيد. فلماذا نذهب ناحية الآخرين؟ ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟... هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

٢ ـ يدعو الله ﷻ عباده على الدّوام إلى الإيمان بقدرته وحكمته وعلمه وذلك من خلال ما ينزل من آيات كإنزال المطر من السماء، وبهذا يُتِمُّ الحجّة عليهم ﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ... يُنَزِّلُ﴾.

٣ ـ مصدر الرزق من السماء، الشمس والغيم والطقس، هو الذي يؤمّن الضوء والحرارة والمطر والأوكسجين الذي نحتاجه في حياتنا، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾.

٤ ـ لا بدّ أولاً من توفير الظروف ثمّ الدعاء، ﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ... فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

٥ ـ المعرفة أولاً ثمّ العمل، ﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ... فَٱدْعُوا۟...﴾.

٦ ـ الدعاء وإظهار الحاجة خالصاً لله ﷻ سببٌ لتطوُّر حياة الإنسان، لا لحاجة الله إلى التعظيم، ﴿ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ... هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ... فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾.

٧ ـ الأسباب ليست مهمّة، بل المهم هو العزم والإرادة (الآيات الإلٰهيّة أسباب للمعرفة، ولكن الإنسان الأعمى القلب، لا يدرك. نعم، حالة الإنابة توفّر الظروف المناسبة لمعرفة الآيات الإلٰهيّة وتأثيرها)، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾.

٨ ـ لا ينبغي لأيِّ رأيٍ أو قانونٍ أو طبيعةٍ أو ميلٍ أو عادةٍ أو آداب أو عادات أو تقاليد لدى الماضين أو لدى الآخرين، ولا لأيِّ تهديدٍ أو إعلام أو تطميع أن يكون له تأثيره في الإيمان التوحيديّ لديكم، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

٩ ـ الله ﷻ هو وحده الذي يَليق أن يُدعى ويناجى، ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾.

١٠ ـ الإخلاص شرط لقبول الدعاء، ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾.

١١ ـ لا ينبغي أن يسعى الإنسان لتحصيل رضا الكفّار، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

إشارات

□ الرفعة والعلوّ على نوعين:

أ ـ الرفعة المكانيّة كقوله تعالى: ﴿...يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ...﴾[1] فرفع قواعد البيت مكانيّة.

ب ـ الرفعة في المقام، كقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... دَرَجَٰتٍ﴾[2].

□ ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يمكن تفسيرها بأحد نحوين:

أحدهما أنّ لله ﷻ الدرجات الرفيعة والعليا وأفضل المقام.

ثانيهما، أنّ الله ﷻ يُعطي الناس الدرجات الرفيعة بحسب ما يستحقّون ممّا يَليق بهم، كقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾[3]، أي إنّ الله ﷻ يفضّل بعضكم على بعض بسبب ما يؤدّيه من عمل.

□ المراد من الروح إمّا نفس الوحي الذي يكون سبباً للحياة المعنويّة في المجتمع أو المراد منه الملك المأمور بالوحي. ونقرأ في مواضعَ أخرى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا...﴾[4]، و﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾[5].

□ حيث أُطلِقَ على القرآن والوحي أنّه روح، ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ نعلم بأنّ الوحي

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٥٨.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٦٥.

(٤) الشورى: الآية ٥٢.

(٥) سورة النحل: الآية ٢.

يكون سبباً لحياة الناس، وأن الأنبياء يدعون للحياة المعنويّة: ﴿...دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾[١].

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في الرواية: يوم التّلاق: يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض[٢].
- المرسل للوحي هو الله عزّ وجلّ صاحب العرش.

المتلقّي للوحي هم العباد الخالصون الذين اختارهم الله عزّ وجلّ: ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾.

الهدف من الوحي وموضوعه الإنذار: ﴿لِيُنذِرَ﴾.

الواسطة في الوحي هو فرد خاص من الملائكة: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾.

- ورد في الروايات: إنّ السؤال: لمن الملك هو من الله عزّ وجلّ وأنّ الجواب التالي: (لله الواحد القهّار هو من أولياء الله عزّ وجلّ وأنبيائه)[٣].
- يبرز الناس في يوم القيامة ويَحضرون في ساحة القدس الإلٰهيّة بنحو لا يبقى معه أيُّ مجالٍ للشك والإبهام في القضاء الإلٰهيّ العادل. وذلك يرجع إلى عدّة أمور:

أ ـ انبساط الأرض وزوال الجبال: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾[٤].

ب ـ خروج جميع الناس من قبورهم: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[٥]، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٦].

ج ـ نشر صحف الأعمال: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[٧].

د ـ تجسّم الأعمال: ﴿...يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ...﴾[٨].

هـ ـ انكشاف الخفيّ من الأمور: ﴿...بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ...﴾[٩].

و ـ شهادة أعضاء البدن: ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾[١٠].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٧، ص ٦٠.
(٣) تفسير الميزان.
(٤) سورة طه: الآية ١٠٦.
(٥) سورة الانفطار: الآية ٤.
(٦) سورة الزلزلة: الآية ٢.
(٧) سورة التكوير: الآية ١٠.
(٨) سورة النبأ: الآية ٤٠.
(٩) سورة الأنعام: الآية ٢٨.
(١٠) سورة يس: الآية ٦٥.

التعاليم

١ ـ يصل الله ﷻ بمن يستحقّ من الناس إلى كماله الذي يَليق به، ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾.

٢ ـ الإخلاص سببٌ لعلوّ الدرجات، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ... رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾.

٣ ـ إعطاء الدرجات متى كان من الحاكم المطلق على هذا الكون فإنّ له قيمته، ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾.

٤ ـ نزول الوحي بواسطة الملك الخاص خاضع للإرادة الإلٰهيّة، ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾.

٥ ـ اختيار الأنبياء لتلقّي الوحي الإلٰهيّ خاضع للإرادة الإلٰهيّة، ﴿مَن يَشَآءُ﴾.

٦ ـ العبوديّة لله ﷻ شرط لتلقّي الوحي الإلٰهيّ، ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾.

٧ ـ الوظيفة الأساس للأنبياء الإنذار، ﴿لِيُنذِرَ﴾.

٨ ـ يوم القيامة يوم التّلاقي، ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾، (التلاقي مع الله ﷻ)، ﴿...مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ...﴾[1].

٩ ـ من أهداف نزول الوحي دعوة الناس إلى الإيمان بالمعاد وإخبارهم به، ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ... لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾.

١٠ ـ في يوم القيامة تنكشف كافّة الأسرار والحقائق للناس، ولا يبقى لأحدٍ مجال للإنكار، ﴿هُم بَٰرِزُونَ﴾.

١١ ـ تُلغى في يوم القيامة كلُّ الفوارق بين الناس من العرق أو اللغة أو القبيلة أو المقام أو المال ويتساوى الناس في إنسانيّتهم، ﴿هُم بَٰرِزُونَ﴾.

١٢ ـ يَشعر الجميع في يوم القيامة بسعة القدرة والعلم الإلٰهيّ ويعترف الجميع بذلك، ﴿...لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

١٣ ـ القدرة هي في ظلّ الوحدة، ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

---

(١) سورة هود: الآية ٢٩.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

إشارات

□ تعرّضت هذه الآية والآية السابقة لخصائص ستّ ترتبط بيوم القيامة وهي:

أ - حضور الناس كافّة: ﴿هُم بَٰرِزُونَ﴾.

ب - كشف كافّة الأعمال والأفكار: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾.

ج - تجلّي القدرة الإلٰهيّة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

د - نيل كلّ نفس جزاءها: ﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾.

هـ العدالة المطلقة: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾.

و - سرعة الحساب: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

□ يوم القيامة من الأيّام المهمّة للغاية. فقد تكرّر في هذه الآية وفي الآية السابقة وصفه بكلمة (يوم) أربع مرات؛ ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ﴾، ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾.

□ للظلم مظاهر متعدّدة:

أ - تجاهل ما يبذله الآخرون من جهد.

ب - قلّة الجزاء.

ج - زيادة العقوبة للمجرم عمّا يستحقّه.

وليس في القيامة أيٌّ من أنواع الظلم هذه، فلا يُظلم أحد، ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾.

□ ورد في الروايات أنّ المراد من قوله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾، أنّه سوف يتمّ التقاص في يوم القيامة للمظلوم من الظالم[١].

□ تطول المحاكمات في هذه الدنيا لأسباب عدّة منها إنكار المجرم والتستر على

---

(١) تفسير مجمع البيان.

ذنبه، وأمّا في يوم القيامة فإنّ الأرض وأعضاء البدن والملائكة وصحيفة الأعمال كلّها تشهد، ولا مجال للتستر أو الإنكار.

- أو بسبب سعي المذنب للدّفاع عمّا فعله من ذنب، ولكن في يوم القيامة الجميع يعترف وليس له ما يدافع به عن نفسه.

- أو بسبب الحاجة إلى إحضار الأشخاص والملفات، وهي في يوم القيامة حاضرة جميعها.

- أو بسبب حاجة القاضي إلى التفكير والنظر في القضيّة، والله ﷻ لا يخفى عليه شيء.

- أو بسبب عدم وجود مكان في السجن، وجهنّم لا تمتلئ.

- أو بسبب ما يسعى إليه المذنب من تدخّل الشفعاء أو المناصرين، وفي يوم القيامة لا شفيع ولا نصير.

- ولذا كان الحساب في يوم القيامة من قبل الله ﷻ سريعاً، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

التعاليم

١ - لا يُستثنى أحدٌ في يوم القيامة من الحساب، ﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ...﴾.

٢ - الثواب والعقاب متناسبان مع العمل، ﴿تُجْزَىٰ... مَا كَسَبَتْ﴾.

٣ - الذنوب التي يُجازى عليها بالعقاب هي ما كان عن علمٍ وعمد، ﴿كَسَبَتْ﴾.

٤ - القوى المتفرّدة تلجأ إلى الاستبداد عادةً، ولكنّ الله ﷻ مع توحّده في القدرة فهو الغالب القهّار ولكنّه لا يظلم أحداً (فقهره يقترن بعدله)، ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ... لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾.

٥ - الازدحام في المحاكم إمّا أن يكون بسبب عدم الإسراع في العمل القضائيّ، ولكنّ الله ﷻ، ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ وإمّا لعدم التمكّن من الوفاء بحقوق الناس بشكل صحيح، ولكن ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾

إشارات

- الأزف بمعنى الاقتراب، والمراد من اليوم القريب هو يوم القيامة. كما ورد في آيةٍ أُخرى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[١].
- الكاظمين من الكظم بمعنى غلق فوهة القربة، ثمّ أُطلقت بعد ذلك على الأشخاص المملوئين غضباً إلّا أنّهم لا يُظهرونه لسببٍ من الأسباب.
- من مصاديق خائنة الأعين، النظر إلى ما لا يحلّ، والنظر إلى الآخرين بعين الاحتقار، والنظر بغرض الترغيب في الفساد.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: «**ينظر إلى الشيء وكأنه لا ينظر إليه فذلك خائنة الأعين**»[٢].

- ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «**من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن، ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٣]**».

التعاليم

١ ـ الموت ويوم القيامة قريبان، فلنجهّز أنفسنا، ﴿يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾.

٢ ـ المذنب في يوم القيامة لا يموت ولا يستريح، ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾، ونقرأ في آيةٍ أخرى: ﴿...وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ...﴾[٤].

٣ ـ تملأ الحسرة والغضب المجرمين في يوم القيامة، ولكنّهم لا يقدرون على إظهار ذلك، ﴿كَٰظِمِينَ﴾.

---

(١) سورة المعارج: الآيتان ٦ و٧.

(٢) تفسير نور الثقلين.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ١٧.

٤ ـ يصبح المذنب يوم القيامة وحيداً (لا صديق حميم ولا شفيع صاحب نفوذ)، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

٥ ـ قياس قيمة الأشياء يرتبط بالدّافع والنية. فالنظرة الواحدة وباختلاف الدّافع والنية قد تكون عبادة وقد تكون خيانة، ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾.

٦ ـ الإيمان بأنّ الله ﷻ يعلم حقيقة الأشياء وباطنها يمنع الإنسان من ارتكاب الذنوب، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ...﴾.

٧ ـ علم الله ﷻ لا يقتصر على الظاهر، بل هو عالم ومحيط بالباطن أيضاً، ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٢٠﴾

التعاليم

١ ـ القضاء بالحقّ هو شؤون الله ﷻ، ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾.

٢ ـ العلم ضروريٌّ للقضاء، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ... وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾.

٣ ـ لا بدّ للقاضي بالحقّ من أن يكون ممّن يسمع ويُبصر، ﴿يَقْضِى... هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

٤ ـ ليس للمعبودات من دون الله القدرة على القضاء أو على القضاء بالحقّ، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾.

٥ ـ السميع والبصير الحقيقيّ هو الله ﷻ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٢١﴾

إشارات

□ كان الكلام في الآية السابقة عن القضاء بالحقّ؛ وفي هذه الآية يذكر نموذجاً من القضاء بالحقّ وهو العذاب الذي أنزله الله ﷻ بالمذنبين.

التعاليم

١ ـ السير والسياحة في هذه الأرض لا بدّ من أن يكون لهدفٍ ولغاية، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا... فَيَنظُرُوا﴾.

٢ ـ التجربة والعلم بحاجة إلى السير في الأرض، ﴿يَسِيرُوا... فَيَنظُرُوا﴾.

٣ ـ التاريخ مصدر من مصادر العلم والمعرفة، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾.

٤ ـ سبب رفض الكفّار لدعوة نبيّ الإسلام ﷺ ما كانوا يظنّونه من عدم امتلاكه للقوّة، ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

٥ ـ حفظ آثار الماضين ضروريٌّ ليَعتبِرَ الآتون، ﴿فَيَنظُرُوا... وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾.

٦ ـ يجب أن نأخذ العبرة من التاريخ، ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ...﴾

٧ ـ لو لم ننظر إلى اليوم فسوف ننظر إلى العاقبة، ﴿عَاقِبَةُ...﴾.

٨ ـ لا ينبغي أن نعجب بما نملكه من قوّة، ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا﴾.

٩ ـ قوى الطاغوت لا يمكنها منع نزول العذاب الإلٰهيّ، ﴿أَشَدُّ قُوَّةً... فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾.

١٠ ـ امتلاك القوّة والإمكانات لا يُعتبر دليلاً على الاستقامة، ﴿أَشَدُّ قُوَّةً... فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾.

١١ ـ الذنب سبب لنزول العذاب الإلٰهيّ، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾، (زوال الحضارات وسقوط الأمم كان بسبب كفرهم ومعاصيهم).

١٢ ـ مع نزول العذاب الإلٰهيّ فليس لأيِّ قوّةٍ القدرة على دفعه، ﴿مِن وَاقٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ بعثة الأنبياء سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم...﴾

٢ ـ الأنبياء كانوا يسعون للقاء الناس، ولم تكن عادتهم انتظار أن يأتي الناس إليهم، ﴿تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم﴾.

٣ ـ لا يعذّب الله ﷻ قوماً ولا يؤاخذهم حتّى يتمّ الحجّة عليهم، ﴿تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم... فَكَفَرُوا... فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾.

٤ ـ لكلّ نبيّ معجزة، ولا إبهام في معجزته على الإطلاق، ﴿تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾.

٥ ـ الكفر هو سبب انهيار وزوال الحضارات، ﴿كَفَرُوا... فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾.

٦ ـ من السهل على الله ﷻ إفناء الكفّار وإنزال العقاب بهم، ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات

- بعد أن حثّت الآيات السابقة على السير في الأرض للنظر في عاقبة الظالمين والاعتبار بذلك، تتعرّض هذه الآيات لقصّة فرعون وهامان وقارون.

- على الرغم من تكرار القرآن لقصّة موسى وفرعون؛ ولكنّه في كلّ مورد تعرّض فيه لذلك لاحظ ذلك من جانبٍ مختلف وجديد. وفي هذه السورة يُشير إلى دور رجل كان من جماعة فرعون؛ ولكنّه كان يكتم إيمانه، وأدّى دوراً مهمّاً وهو يمارس التقية.

- بعد أن بيّن القرآن مسألة بعثة الأنبياء وإصرار الناس على الكفر، بدأ في هذه الآيات بالحديث عن قصّة موسى ومنكري نبوّته.

- كلمتا (آيات) و(سلطان) وردتا في مواضع متعدّدة بشكل منفصل عن بعضهما، ولكنّهما متى استخدمتا في قصّة موسى وفرعون فإنّ ذلك يعني أنّ موسى أظهر المعجزات لفرعون وجاءه بالدليل والبرهان.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من النفاذ إلى مراكز القوّة لأجل الدعوة للدّين والدّفاع عن الحقّ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ... إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.

٢ ـ للأنبياء في مواجهة الطاغوت سلاحان؛ أحدهما المعجزة، ﴿ءَايَٰتِنَا﴾؛ والآخر المنطق الواضح، ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

٣ ـ وسائل إقناع الناس مختلفة، فبعضهم يؤمن بالمعجزة، وبعضهم بالمنطق. وقد امتلك الأنبياء كلا الأمرين، ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

٤ ـ المهمّة الأولى لرسالة الأنبياء هي مواجهة قادة الفساد والكفر؛ سواء اتَّخذ ذلك شكل الظلم والسلطة السياسيّة الفاسدة، ﴿فِرْعَوْنَ﴾، أو شكل الشيطنة والسلطة الفكريّة والإداريّة، ﴿وَهَٰمَٰنَ﴾، أو المال والثروة والسلطة الاقتصاديّة، ﴿قَٰرُونَ﴾.

٥ ـ مضمون دعوة الأنبياء مواجهة الاستكبار، ﴿أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ... إِلَىٰ فِرْعَوْنَ و﴾.

٦ ـ لقد كان الأنبياء أصحاب شجاعة فوقفوا بوجه كافّة القوى المتسلّطة، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾.

٧ ـ لا بدّ من تحذير الناس من النماذج الفاسدة، ﴿فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾.

٨ ـ يصف منكرو النبوّة المعجزة بأنّها سحر ويصف هؤلاء الأنبياء بالكذب، ﴿فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

٩ ـ جوهر الدّين هو الحقّ والحقيقة، ﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾.

١٠ ـ لا بدّ للإنسان لكي يتعرّف على طرق الحقّ من التمسّك بالوحي والنبوّة واللطف الإلهيّ، ﴿بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾.

١١ ـ يسعى منكرو النبوّة لتحطيم شخصيّة النبيّ عن طريق بثّ الشائعات، ﴿فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾؛ كما أنّهم يسعون لذلك عملاً، ﴿ٱقْتُلُوٓا...﴾.

١٢ ـ طريقة أهل الاستكبار على مرّ التاريخ تمثّلت بقتل أتباع الحق، ﴿ٱقْتُلُوٓا...﴾.

١٣ ـ أعداء الأنبياء وإن كان يزعجهم إيمان الناس بالأنبياء؛ ولكن ما يجعلهم يغضبون هو رؤيتهم الناس يتّبعون الأنبياء عملاً، ﴿ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾.

١٤ ـ يستهدف أعداء الأنبياء النساء والأبناء، ﴿ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ... وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾.

١٥ ـ يكيد الكافرون؛ ولكنّهم لا يصلون إلى مرادهم وخططهم الكيديّة تكون كالرسم على الماء، ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

١٦ ـ يحبط الله ﷻ خطط الفراعنة من خلال إخبار الأنبياء والمؤمنين بما يكيدون له، ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات

- تعرّضت الآية السابقة لقتل أبناء بني إسرائيل وتبيّن هذه الآية أنّ هذا الفعل لم يكفِ فرعون؛ بل كان يرى الخطر الأساس في موسى، ولذا تتحدّث هذه الآيات عن عزمه على قتل موسى.
- بالنظر إلى ما لقتل النبيّ موسى عليه السلام من تأثير على الرأي العام؛ فإنّ فرعون يضع الموضوع أمام وزرائه ومستشاريه. ويدلّ قول فرعون: ﴿ذَرُونِىٓ﴾، على أنّ وزراءه ومستشاروه كانوا يمنعونه من فعل ذلك.

التعاليم

١ ـ منطق الطواغيت قتل قادة الحقّ، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾.

٢ ـ أسلوب المستكبرين إمّا التكذيب، ﴿فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾؛ وإمّا التهديد، ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾؛ وإمّا الإهانة، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾.

٣ ـ دولة فرعون دولة استبداد وظلم وفوضى، ﴿أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾.

٤ ـ يسعى المجرم لتبرير جريمته (يذكر فرعون أنّ دافعه إلى قتل موسى هو خوفه من أن يغيّر موسى دين الناس)، ﴿أَقْتُلْ... إِنِّىٓ أَخَافُ﴾.

٥ ـ يُظهر الطواغيت أنفسهم على أنّهم يحبّون الناس، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾.

٦ ـ عندما يرى الطواغيت أنّ سلطتهم أصبحت في خطر يُظهِرون أنفسهم على أنّهم حماة للناس، وعلى أنّهم أنصار للدّين وللإصلاح، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ... ٱلۡفَسَادَ﴾.

٧ ـ الدّين من وجهة نظر فرعون هو التسليم للطاغوت، ﴿يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾.

٨ ـ دعوى الأمن والاستقرار هي الحجّة التي يستخدمها الطواغيت لقمع الحركات الدينيّة والإصلاحيّة، ﴿أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ... إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ... ٱلۡفَسَادَ﴾.

٩ ـ يصف الطواغيت المصلحين بأنّهم مفسدون، ﴿يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾.

١٠ ـ يرى الطواغيت أنّ بقاءهم هو في استمرار الوضع الموجود، ولذا يرفضون أيَّ حركة إصلاح، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾.

١١ ـ الأنبياء يتدخّلون في المسائل السياسيّة والاجتماعيّة، ولذا تعرّضوا للأذى من الطواغيت، ﴿يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾

إشارات

- تمكّن موسى من خلال قوله: ﴿عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ من الاستعاذة بالله ﷻ ومن لفت نظر الناس إلى أنّ فرعون ليس ربّهم.
- المثل المعروف (في أيّ مكان أكلت الملح لا تكسر المملحة) غير صحيح دائماً؛ لأنّ موسى كان لسنوات في قصر فرعون؛ ولكنّ فرعون حيث لم يرضَ بالحقّ فإنّ عاقبته كانت العذاب الإلٰهيّ.

التعاليم

١ ـ ينبغي أن نلجأ إلى الله ونستعيذ به عند تهديد الأعداء إيَّانا، ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي﴾.

٢ ـ ينبغي أن نستعيذ بمن كانت أمورنا كلّها بيده، ومن نحن جميعاً تحت ربوبيّته، ﴿بِرَبِّى﴾.

٣ ـ ليست الأهميّة لشخص فرعون بل للخصال الفرعونيّة والتي أساسها التكبّر، ومن ذلك نستعيذ بالله، ﴿كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾.

٤ ـ الأنبياء كانوا شجعاناً، فموسى يُجيب فرعون عندما هدَّده بالقتل فيصفه بالمتكبّر، ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾.

٥ ـ انعدام الإيمان بالحساب يجعل الإنسان من المتكبّرين، ﴿مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات

- لم يتعرّض القرآن الكريم لقصّة مؤمن آل فرعون، إلّا في هذه السورة. وهو من أقارب فرعون كان يكتم إيمانه بموسى عن فرعون، لينتصر لموسى في مواطن الحاجة لذلك، أو لينجز عملاً لموسى.

ومؤمن آل فرعون هذا ليس هو زوجة فرعون، ولا هو ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى لينذر موسى بتآمر القوم عليه لقتله.

ويذكر الفخر الرازي والمراغي في تفسيريهما أنّه كان من وجهاء القوم وكان رئيس شرطة فرعون.

- طبقاً للرواية التي ذكرها الشيخ الصدوق في الأمالي ونقلها الفخر الرازي في تفسيره الصديقون ثلاثة: حبيب النجار (مؤمن آل يس)، مؤمن آل فرعون وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم.

- بدل أن يذكر مؤمن آل فرعون موسى بألقاب التعظيم، جعله رجلاً مجهولاً فقال: رجلاً، وذلك لكي يُخفي إيمانه به عن فرعون.

□ الإسراف هو كلُّ تجاوز للحدّ مهما كان نوعه. سواء أكان التجاوز عن الحدّ في المأكل والمشرب والمسكن، أو كان في التعامل مع الناس وفي الأخلاق.

□ ورد في الروايات تشبيه إيمان أبي طالب والد الإمام علي عليه السلام بإيمان مؤمن آل فرعون[١].

التعاليم

١ ـ من مظاهر المدد الإلٰهيّ الذي يتحقّق للإنسان إذا استعاذ بالله عزّ وجلّ أن يجد له ناصراً بين أعدائه، ﴿عُذْتُ بِرَبِّى... وَقَالَ رَجُلٌ﴾.

٢ ـ لا بدّ من إبقاء المجادلات والحوارات التي دارت في الماضي حيّة (يبين القرآن الكريم طريقة جدال مؤمن آل فرعون)، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ...﴾.

٣ ـ لا بدّ عند سرد التاريخ من الاهتمام بالعناصر الرئيسة وليس بالأسماء والألقاب، ﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾.

٤ ـ لا مانع من العمل في دولة الظالم إذا كان ذلك للقيام بغرض أهمّ، ﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

٥ ـ النِّظام الفاسد والبيئة الفاسدة والمحيط لا يشكّلان عاملاً جبريّاً للإنسان على ارتكاب المعاصي (ففي النِّظام الفرعونيّ تجد أفراداً مؤمنين)، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

٦ ـ قد يكون من الضروريّ العمل بالتقيّة لأجل القيام بعمل مهمّ والوصول إلى هدفٍ أعلى، ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥ﴾.

٧ ـ من بركات النهي عن المنكر أنّ نجاة نبيٍّ من القتل ونجاة المجتمع تحققا بالقيام به، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾.

٨ ـ لا يكون المؤمن غير مبالٍ، فهو يحمي المظلوم ويقف بوجه الظالم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾.

---

(١) تفسير نمونه.

٩ ـ أيقظ الوجدان النائم من خلال السؤال، ﴿أَتَقْتُلُونَ...﴾.

١٠ ـ الدعوة إلى الله ذنب في الأنظمة الطاغوتيّة، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...﴾.

١١ ـ يستخدم المؤمن المنطق في دفاعه، ﴿أَتَقْتُلُونَ... جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

١٢ ـ لا بدّ من ترك التعصّب في الدعوة إلى الله ﷻ (فمؤمن آل فرعون لم يقل إنّ موسى صادق أو كاذب، بل ذكر أنّه إمّا أن يكون كاذباً فعليه كذبه أو أن يكون صادقاً فعليه)، ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا... وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾.

١٣ ـ ضرر الكذب يرجع إلى الكاذب، ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾.

١٤ ـ الإسراف والتكذيب يمنعان من الهدى، ﴿لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ المؤمن يهتمّ لأمر الناس (ورد تعبير يا قوم ستّ مرّات من الآية ٢٩ إلى الآية ٤١).

٢ ـ لا بدّ من الاستعانة بعنصر العاطفة في التبليغ، ﴿يَٰقَوْمِ﴾.

٣ ـ من خصائص المؤمن في النّظام الكافر السعي والحضور، لا الانزواء والعزلة، ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ... يَٰقَوْمِ﴾.

٤ ـ لا ينبغي الاعتماد على القوّة التي نملكها اليوم، ﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾.

٥ ـ في الأنظمة الفرعونيّة تجد الإيمان مخفيّاً والكفر والطغيان ظاهراً وعلنياً، ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ... ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٦ ـ لا بد من تحذير أهل الغرور من البأس الإلهيّ، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾.

٧ ـ اللامبالاة أمام دعوة الأنبياء تستتبع العذاب الإلهيّ، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾.

٨ ـ يكفي في الإنذار بيان احتمال الخطر والضرر، ﴿بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾.

٩ ـ لا بدّ في أسلوب الدعوة من بيان كون الخطر مشتركاً، ﴿جَآءَنَا﴾ بدل (جاءكم).

١٠ ـ لا يهتمّ الطواغيت بالإنذار، ﴿يَٰقَوۡمِ... قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ...﴾.

١١ ـ من خصائص الطواغيت بروز نزعة (الأنا) بشكل متتالٍ، ﴿أَهۡدِيكُمۡ... أُرِيكُمۡ، مَآ أَرَىٰ﴾.

١٢ ـ لا يرى الطواغيت الحقّ في إبداء الرأي إلا لأنفسهم، ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾.

١٣ ـ يدّعي الطواغيت أنّهم يهدون الناس إلى الحقّ وإلى الصراط المستقيم، ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

١٤ ـ الإنسان بفطرته يطلب السعادة والهدى ويستغل الطواغيت هذه الفطرة بشكل سيّء، ﴿إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

١٥ ـ يستخدم الطواغيت الدّين ضدّ الدّين (يستعمل فرعون كلمة رشاد، وهي ذات طابع ديني).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾

إشارات

□ المراد من القوم الذين أُهلِكوا من بعد قوم نوح وعاد وثمود هم قوم لوط وأصحاب الأيكة (قوم شعيب) الذين تعرّضت لهم الآية ١٣ من سورة ص.

□ مقابل دعوى فرعون احتيالاً: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾، نجد دعوى مؤمن آل فرعون بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي الكفّ عن الدعوى بمجرّد سماع رأي المنكرين، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ...... وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾.

٢ ـ عدم الناصر والمعيّن لا يُعتبر عذراً لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾.

٣ ـ الدعوة من ضروريّات الإيمان، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ﴾.

٤ ـ لا بدّ من أن يكون للداعية لهفة، ﴿يَٰقَوْمِ﴾.

٥ ـ ينبغي أن يكون الداعية مطّلعاً على التاريخ، ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾.

٦ ـ لا بدّ من اعتماد أسلوب بيان المسائل العامّة في الدعوة والتعرّض أحياناً لبعض النماذج والمصاديق، ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ... مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ و...﴾.

٧ ـ من أعظم المخاطر أن يُصبِحَ إنكار الحقّ لدى الإنسان خصلة وعادة فيه، ﴿دَأْبِ﴾.

٨ ـ العذاب الإلٰهيّ لا يختصُّ بيوم القيامة، بل من الأمم من نالها العذاب في هذه الدنيا، ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾.

٩ ـ تدمير الأنظمة الطاغوتيّة سنة من السنن الإلٰهيّة، ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾.

١٠ ـ لا بدّ في أسلوب الدعوة عندما يتمُّ التعرّض للعقاب من التعرّض لسبب العقاب حتّى لا نُتَّهم بالعنف، ﴿نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ... وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾، فتدميرهم كان مطابقاً للعدل.

١١ ـ سبب العذاب الإلٰهيّ عمل الإنسان وهو مطابق للعدل والحكمة، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

١٢ ـ الله ﷻ لا تتعلّق حتّى إرادته بظلم العباد، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

١٣ ـ أسوأ أنواع الظلم هو الظلم الذي يصل من الإنسان إلى من تحت يده، ﴿ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات

□ التناد من النداء بمعنى أن ينادي بعضهم بعضاً.

يوم القيامة هو يوم التناد والصياح:

ـ ينادي المؤمن تعالوا اقرأوا كتابي، ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾[1].

ـ والكافر ينادي بحسرته بمثل: ﴿...يَٰلَيْتَنِي...﴾[2]، ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾[3].

ـ ينادي أهل الجنّة على أهل النار بقولهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[4].

ـ ويستمدُّ أهل جهنم من أهل الجنّة بأن يعطوهم شيئاً من الرزق الذي يصل إليهم.

وتطلق هذه النداءات جميعاً بصوتٍ عال.

□ المراد من إضلال الله ﷻ للمجرمين هو تركهم لأنفسهم، لا أنّه يهديهم إلى طريق الضلال. كالولد الذي لا يهتدي لقول أبيه، فيقع في الهلاك والضلال.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن نتوقّع عند الدعوة أن تكون الاستجابة من أوّل مرّة، بل لا بدّ من التكرار، (تكرار كلمة ﴿يَٰقَوْمِ﴾).

٢ ـ لا ينبغي أن ننسى استخدام لغة العاطفة في الدعوة، ﴿يَٰقَوْمِ﴾.

٣ ـ لا بدّ من أن نستفيد في الدعوة من أسلوب الإنذار بشكلٍ واسع، (تكرار ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾).

٤ ـ لا بدّ في الدعوة من أن نذكّرَ الناس بالعذاب الإلٰهيّ في هذه الدنيا، ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ...﴾، وكذلك العذاب الإلٰهيّ في يوم القيامة، ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ١٩.

(٢) سورة النبأ: الآية ٤٠.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٨.

(٤) سورة المدثّر: الآية ٤٢.

٥ ـ لا مجال للفرار في يوم القيامة، ﴿تُوَلُّونَ... مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٍۗ﴾.

٦ ـ الهداية والضلال بيد الله ﷻ؛ نعم مقدّمات كلا الأمرين بيد الإنسان، ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾

إشارات

- بدأ مؤمن آل فرعون دعوته لقومه إلى الهدى بذكر تاريخ الأمم السالفة، فحذّرهم من أن يصيبهم ما أصاب قوم نوح وعاد وثمود، ثمّ تعرّض لتاريخ بني إسرائيل وما فعلوه مع يوسف عليه السلام.
- الإسراف هو كلّ ما يكون تجاوزاً عن الحدّ، والمراد من المسرف في هذه الآية هو من يصرّ على رفض الحقّ وإنكاره[1].

التعاليم

١ ـ لسلوك الآباء تأثيره في ميل أو عناد أبنائهم، ولذا قال مؤمن آل فرعون: إذا لم تؤمنوا بموسى الآن فهذا ليس ببعيد عنكم؛ لأنّكم لم تؤمنوا بيوسف من قبل، ﴿جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ﴾.

٢ ـ كان ليوسف معاجز عديدة، ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾.

٣ ـ للشكّ قيمته إذا كان دافعاً للبحث والتحرّك لمعرفة الحق، ولكنّه يعتبر آفةً إذا كان سبباً للركون وسوء الظن، ﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ﴾.

٤ ـ الشك حالة طبيعيّة، ولكن التشكيك هو المذموم، ﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾.

٥ ـ الموت مكتوب على الجميع حتّى على الأنبياء، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾.

٦ ـ الاعتقاد بختم النبوّة بالنبيّ يوسف عليه السلام هو السبب في إنكار بعض بني

---

(١) تفسير راهنما.

إسرائيل لنبوّة النبي موسى عليه السلام، ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾.

٧ ـ الرضا بما يرتكبه الآخرون من المعاصي موجب لكوننا شركاء في ذلك (فيوسف عليه السلام كان قبل أربعمائة عام من بعثة موسى عليه السلام، ولكن نظراً لرضا اللّاحقين من بني إسرائيل عن كفر السابقين وحّد الله عز وجل في الخطاب بينهم)[1]، ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ﴾.

٨ ـ ختم النبوّة أمر بيد الله عز وجل وليس بيد الناس، ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾.

٩ ـ لا يدع الله الناس بلا حجّة وبلا دليل (انتقاد من كان يقول بلا دليل: لن يبعث الله رسولاً).

١٠ ـ من السنن الإلٰهيّة أن يترك من يكون مصرّاً على إنكار الحقّ ورفضه، ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾.

١١ ـ من لم يؤمن بالأنبياء ولم يسر في طريق دعوتهم، سوف يضيّع ما يمكن أن يهبه الله عز وجل من إمكانات وطاقات وألطاف، ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾.

١٢ ـ سقوط الإنسان يتمّ بشكل تدريجي: ففي مرحلة يبدأ التشكيك، ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾، وفي مرحلة أخرى يبدأ التكذيب، ﴿...مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[2].

١٣ ـ الفيض الإلٰهيّ عام، ولكن الناس يحرمون أنفسهم من ذلك من خلال سلوكهم السيّئ ونفوسهم الشيطانيّة، ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات

❑ السلطان هو الحجّة والبرهان، والمقت هو الغضب الشديد.

---

(١) تفسير أطيب البيان.

(٢) سورة غافر: الآية ٢٨.

□ هذه الآية تفسير للآيات التي تتحدّث عن طبع الله ﷻ على القلوب: ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ...﴾.

التعاليم

١ ـ الجدال الذي ينشأ من الجهل وعدم التفكير ودون دليل يكون سبباً للترديد والتشكيك والحرمان من الهداية الإلٰهيّة، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾.

٢ ـ للجدال طريقته وأسلوبه وأخلاقيّاته الخاصة به، والجدال المرفوض هو ما كان بلا دليل، ﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ...﴾.

٣ ـ لدى الانبياء أدلّتهم الواضحة والبيّنة، ﴿جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ ولكن الكفّار لا يملكون ذلك، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾.

٤ ـ الدليل والبرهان يكون سبباً لنوعٍ من السلطة على الآخرين، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾.

٥ ـ أصحاب التعصّب بلا دليل محرومون من محبّة الله ومحبّة الناس، ﴿مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

٦ ـ العذاب الإلٰهيّ مقنّن، ﴿كَذَٰلِكَ﴾.

٧ ـ التكبّر في غير موضعه موجب لحرمان الإنسان من الألطاف الإلٰهيّة، ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

٨ ـ لا بدّ عند الدعوة والإرشاد في النّظام الذي يكون الحاكم فيه فرعوناً متكبّراً وجباراً من استعمال بعض المفردات التي يتمكّن الناس من مشاهدة مصاديقها، ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

٩ ـ سبب إنكار رسالة النبيّ موسى ﷺ (الذي تعرّضت له الآية السابقة) هو روح التكبّر لدى القوم، ﴿مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

١٠ ـ لا بدّ للمؤمنين من أن يتّخذوا موقفاً من أهل التعصّب غير المنطقيّ والبراءة منهم وإعلان سخطهم عليهم، ﴿يُجَادِلُونَ... بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا... وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

□ الصرح هو البناء العالي الذي يبدو من مكانٍ بعيد؛ لذا يُطلق على الكلام الواضح صفة صريح. والتباب هو استمرار الخسران، كما في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، أي إنّ هلاكه وخسرانه مطلق ومؤبّد.

□ لقد أثّرت موعظة مؤمن آل فرعون أثرها. ففرعون الذي كان يرفع شعار «قتل موسى» تركه وقال: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾، فاستبدل قتل موسى ببناء صرحٍ يطّلع من خلاله على إله موسى.

التعاليم

١ ـ حيث ينسدّ باب المنطق أمام الطاغوت يَلجأ إلى فعل ما يَصرف به الأنظار، ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا...﴾؛ فالهدف من بناء ذلك الصرح هو الإثارة والتعتيم ولذا جاء في آخر الآية: ﴿كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾.

٢ ـ ينظر أهل الدنيا إلى كلّ شيءٍ بعين المادّة، (ففرعون كان يعتقد أنّ الله في السماء ويظنّ أنّ طريق معرفته لا تتمّ إلا عن طريق الحسّ والنظر إليه)، ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾.

٣ ـ طريقة الطغاة الاحتيال على الناس وإظهار القوّة، ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾.

٤ ـ الدعوة والإرشاد لا بدّ من أن يكون لهما تأثيرهما بنحوٍ ما، (ففرعون كان مصمّماً على قتل موسى في البدء: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾؛ ولكنه بعد حديث مؤمن آل فرعون خرج من القطع إلى الظن فقال: ﴿لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾.

٥ ـ يَقيس الكافر الناس جميعاً على نفسه، (حيث كان فرعون كاذباً في دعواه الألوهيّة: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ اتّهم موسى بالكذب أيضاً، ﴿لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾.

٦ ـ من أساليب الشيطان تزيين السوء للإنسان، ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾.

٧ ـ كلُّ من يرى السوء منه حسناً فقد أصيب بالانحراف في تقييم الأشياء، ولن يفكر في تغيير أسلوبه وبهذا يكون محروماً من الوصول إلى الحقّ، ﴿زُيِّنَ... وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾.

٨ ـ لا داعي للقلق، فكيد الطواغيت لا أثر له، ولن يكون ضرره إلّا عليهم، ﴿إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ قد يكون المطلوب أحياناً ترك العمل بالتقيّة وإعلان الإنسان عقيدته، (فمؤمن آل فرعون الذي أخفى إيمانه مدّةً من الزمن، ترك التقية وأعلن موقفه أمام فرعون طالباً من الناس أن تتبعَه)، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ﴾.

٢ ـ من واجبات المؤمن دعوة الآخرين إلى الإيمان، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ﴾.

٣ ـ قد يلزم الأمر أن يقف الإنسان وحده ليدعو الناس، ولا ينتظر في ذلك أحداً، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾.

٤ ـ الدعوة إلى الدِّين في ظلِّ نظامٍ طاغوتيّ له قيمته الخاصة، ولذا يتحدّث عنه القرآن الكريم ويتلو على مسامعِ الناس ذلك، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ...﴾.

٥ ـ اتّباع كلام المؤمن اتّباع لكلام الله ﷻ ورسوله، ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾.

٦ ـ لا بدّ في أسلوب الدعوة من السعي لنزع سلاح العدو واصطياد شعاراته الجذّابة. (نقرأ في الآية ٢٩ أن فرعون قال: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾، وفي هذه الآية نقرأ أنّ مؤمن آل فرعون يقول: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾. فكما يستخدم الطواغيت شعار السعادة والرشاد بغرض الوصول إلى أغراضهم

السيئة، فإنّ على المؤمنين أن يستخدموا هذه الشعارات المنسجمة مع الفطرة الإنسانيّة لكي يصلوا إلى الأهداف الصحيحة، ﴿فَٱتَّبِعُونِ... أَهۡدِكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

٧ ـ الرشاد هو في معرفة منزلة الدنيا من الآخرة، ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ، يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا...﴾.

٨ ـ الإيمان بعدم دوام الدنيا وبخلود عالم الآخرة هو سبب للسعادة والرشاد، ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ... ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ...﴾.

٩ ـ الدنيا ليست سوى وسيلة لنعيم موقّت، ﴿مَتَٰعٌ﴾، (تطلق هذه الكلمة على الشيء الذي لا يستفاد منه إلّا قليلاً).

١٠ ـ مقارنة عالم الدنيا بعالم الآخرة موجب لإدراك الحقائق بشكل أفضل، ﴿مَتَٰعٌ... دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾.

١١ ـ متاع الدنيا الذي يفنى بسرعة يجب أن يكون داعياً للتفكير بالعالم الأبديّ، ﴿مَتَٰعٌ... دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾.

١٢ ـ لا بدّ في أسلوب الدعوة من الاهتمام بحاجات الناس الطبيعيّة والفطريّة. (فالحياة الخالدة حاجة فطريّة وطبيعيّة لدى الإنسان، ومؤمن آل فرعون ذكّر قومه بأنّ الوصول إلى هذه الحاجة يكون باتّباع الحقّ)، ﴿يَٰقَوۡمِ... ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾.

﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾﴾

التعاليم

١ ـ الثواب والعقاب يكون على أساس العمل لا الآمال والتمنيّات، ﴿وَمَنۡ عَمِلَ﴾.

٢ ـ الله ﷻ عدل لا يُعاقب المذنب بأكثر ممّا يستحقّه ﴿مِثۡلَهَاۖ﴾.

٣ ـ الإنسان مخلوق صاحب اختيار، ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ... وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾.

٤ ـ لا يبقى العمل الصالح ولا العمل السيّئ دون ثواب أو عقاب مهما كان صغيرا، ﴿سَيِّئَةً... صَٰلِحًا﴾.

٥ ـ أفضل طريق للمعرفة المقارنة بين العمل الصالح والعمل السيّئ وبين الثواب والعقاب، ﴿عَمِلَ سَيِّئَةً... عَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

٦ ـ لا علاقة للعمل الصالح بجنس العامل وكونه ذكراً أو أنثى، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾.

٧ ـ الترغيب ضروريٌّ لإيجاد الدّافع للقيام بالعمل الصالح، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا... فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

٨ ـ المرأة والرجل حالهما واحدة في طي طريق الكمال وتلقّي الألطاف الإلٰهيّة، ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾.

٩ ـ إنّما يكون الإيمان والعمل مثمرين في النجاة متى اجتمعا، ومتى انفرد أحدهما عن الآخر لم يكن سبباً للنجاة، ﴿عَمِلَ... وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

١٠ ـ الإيمان شرطٌ لقبول العمل، ﴿عَمَلٍ... وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

١١ ـ لا بدّ من الإيمان لأجل دخول الجنّة، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

١٢ ـ الثواب الإلٰهيّ لا حساب له «يا من سبقت رحمته غضبه»، ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، (المراد من الحساب الزيادة في الثواب لا الحساب بمعنى المحاسبة).

﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾

إشارات

- مؤمن آل فرعون تخلّى عن العمل بالتقيّة بشكل تدريجيّ، وشرع في الدعوة إلى الله ﷻ بشكل أصرح.
- تكرار كلمة (يا قوم) من الآية ٢٩ وإلى هذه الآية تدل على مدى حرص وإصرار مؤمن آل فرعون على هداية الناس بل وحتّى النّظام الفرعونيّ.

□ تكرّرت في هاتين الآيتين جملة ﴿أَدْعُوكُمْ﴾ لمرّتين، وجملة ﴿تَدْعُونَنِى﴾ مرّتين، ووردتا بصيغة المضارع وهذا يدلُّ على استمرار الدعوة من جبهتي الحقّ والباطل.

التعاليم

١ ـ إذا وُجِدت اللهفة والإيمان والاستقامة، فإنّ الإنسان يقوم بكلِّ كيانه لتحذير الناس من السير في خطّ الانحراف، ﴿أَدْعُوكُمْ﴾.

٢ ـ التضادّ والصراع بين الحقّ والباطل صراع مستمرّ ودائم، ﴿أَدْعُوكُمْ... تَدْعُونَنِىٓ﴾.

٣ ـ كثرة دعاة الباطل لا ينبغي أن تؤثّر في داعية الحقّ ولو كان واحد، ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ﴾، وردت بصيغة الجمع، و﴿أَدْعُوكُمْ﴾ وردت بصيغة المفرد).

٤ ـ الأنظمة الفاسدة تسعى لنشر الانحراف بين المؤمنين، ﴿تَدْعُونَنِى﴾.

٥ ـ طريق الحقّ موصل إلى النجاة وطريق الباطل سببٌ لدخول جهنّم، ﴿إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ... إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

٦ ـ لا ينبغي عند الدعوة إلى الحقّ الاهتمام بعامّة الناس فقط، بل لا بدّ من الاتّجاه ناحية دعاة الكفر والشرك أيضاً، ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ... تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ﴾.

٧ ـ لا يمتلك المشرك أيّ منطق أو برهان، ﴿وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

٨ ـ لا بدّ من استخدام أفضل التعابير لأجل جذب أهل الضلال والانحراف (ولذا كان الخطاب في الآية بصيغة ﴿مَا لِىٓ﴾، ولم يكن موجهاً إليهم بصيغة ﴿مَا لَكُمْ﴾ مثلاً، وكذلك لاحظ مفردات: النجاة، العزيز، الغفار، وهذا سبب لانجذابهم إلى طريق الرشاد والسعادة).

٩ ـ التوبة والرجوع من الكفر إلى الإيمان مقبولة عند الغفّار، ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾.

١٠ ـ ليست المغفرة الإلٰهيّة بسبب العجز بل هي عين القدرة، ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات

□ جرَم بمعنى تقطيع الفواكه وتقسيمها، ولا جرم بمعنى عدم القطع والارتباط، إنّه هكذا دائماً وليس غير هذا.

□ هذه الآية تتميم لكلام مؤمن آل فرعون في دعوته إلى الهدى.

□ جملة: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ يمكن تفسيرها بأحد أنحاء:

أ ـ ليس للأصنام ولا للطواغيت القدرة على إجابة أيِّ دعاء.

ب ـ ليس للأصنام ولا للطواغيت رسالة دعوة إلى الهدى أو لنجاة البشر.

ج ـ ليس لدى الطواغيت معرفة بقيمة دعوتنا.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من الحسم في موضوع الإيمان والعقيدة، ﴿لَا جَرَمَ﴾.

٢ ـ لا بدّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاعتماد على الدليل في الكلام، (ليس للأصنام قدرة على دعوة الناس إليها)، ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾.

٣ ـ الإسراف لا يكون في المال فقط، بل تضييع القوى والاستعدادات والطاقات الإنسانيّة بسبب عبادة الأصنام الجامدة التي لا تقدر على شيء هو من الإسراف أيضاً، ﴿...وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات

□ التفويض هو إيكال الأمر إلى الله ﷻ، وهي حالة أرقى من التوكّل؛ لأنّه في الوكالة يمكن للموكّل أن يُشرِفَ على عمل الوكيل، وأمّا في التفويض فالأمور

بتمامها توكّل إلى الله ﷻ[١]. نعم، تفويض مؤمن آل فرعون الأمر إلى الله ﷻ والذي جعله شعاراً من قبله كان بعد أن بذل سعيه وما وسعه من أجل حماية موسى عليه السلام من القتل والتحذير والإنذار والدعوة إلى الله. وهذا النوع من التفويض تستتبعه الوقاية من قِبَل الله ﷻ، ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾.

❑ المستفاد من هاتين الآيتين أنّ آل فرعون قاموا بتهديد هذا المؤمن، وقد تآمروا عليه وكادوا له، ولكن الله ﷻ وقاه من كيدهم وتآمرهم.

❑ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«أما لقد سطوا عليه وقتلوه ولكن أتدرون ما وقاه، وقاه أن يفتنوه في دينه»**[٢].

التعاليم

١ ـ يجب على المبلّغ والداعية أن يكون صاحب أمل وأن يبيّن المستقبل، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ...﴾.

٢ ـ لا بدّ من استخدام أسلوب الإنذار والتهديد في العمل التبليغيّ، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾، (عندما ينزل العذاب الإلٰهيّ سوف تنتبهون من غفلتكم).

٣ ـ لا بد للمبلّغ من أن يكون على يقين من الأهداف التي يريدها، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾.

٤ ـ يجب الاستعاذة بالله ﷻ، ﴿...وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أمام كلّ تهديد أو تآمر نواجهه، ﴿مَكَرُوا۟﴾.

٥ ـ لا بدّ من أن يمتلك المبلّغ سنداً معنويّاً، ﴿...وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

٦ ـ لا بدّ من أن نوكل أمرنا إلى من له اطلاع وعلم بحالنا، ﴿بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

٧ ـ التوكّل على الله ﷻ وتفويض الأمر إليه باب للاستجابة السريعة، ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) تفسير نمونه.
(٢) تفسير نور الثقلين.

٨ ـ إذا أراد الله ﷻ حفظ عبده المؤمن من شرّ النّظام الضالّ والفاسد وقاه من تآمره عليه، ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾.

٩ ـ بلطفٍ من الله ﷻ تُحفظ روح المؤمن ويُحفظ إيمانه ممّا يُحاك له، كما تفشل كلّ الخطط التي تُحاك له، ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ... وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾.

١٠ ـ معونة الظالمين والكون معهم موجب لكون الإنسان شريكاً لهم في العقاب النازل بهم، ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾.

١١ ـ للعذاب الإلٰهيّ درجات، ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾.

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات

□ يُعرَض المجرمون بعد موتهم وانتقالهم إلى عالم البرزخ على النار وهي الموضع الذي سوف ينقلون إليه في الآخرة صباحاً ومساءً، ويرون العذاب، ويبقون على هذه الحال إلى يوم القيامة حيث يدخلون إلى جهنّم[١].

التعاليم

١ ـ يرى العصاة والمذنبون مكانهم في جهنّم في الفترة الفاصلة بين الموت وقيام الساعة، ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا...﴾.

٢ ـ يعذّب المذنب في النار صباحاً ومساءً، ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا...﴾.

٣ ـ العذاب الإلٰهيّ على أنواع مختلفة، (ففي الآية السابقة ورد قوله تعالى: ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾، وفي هذه الآية ورد قوله تعالى: ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾).

---

(١) انظر: تفسير نور الثقلين؛ وتفسير مجمع البيان.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات

❑ متى وردت مفردة «احتجاج» في القرآن الكريم كان المقصود منها الأفراد المنحرفون ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾.

❑ تعرّضت الآيات السابقة للعذاب الذي سوف يناله آل فرعون، وتتعرّض هذه الآيات للحوار الذي سوف يدور بين المستكبرين وفراعنة التاريخ وبين أتباعهم وأنصارهم المتملّقين إليهم. نعم، يجعل هؤلاء من الطواغيت سبباً للإحساس بالضِّعَة والحقارة، ولكن هذا الأمر مرفوض في نظر العقل والمنطق والوحي. فحالهم حال الإنسان الذي يُرجِع السبب فيما يلجأ إليه من المعاصي إلى ما يعانيه من مشاكل في الحياة، مع أنّ واجبه يقضي بأن يسعى لحلّ هذه المشاكل من خلال الصبر والزهد والسعي لا من خلال اللّجوء إلى المعاصي.

التعاليم

١ ـ التعرّض لحوار أهل جهنم سبب للإنذار والحذر، ﴿وَإِذْ﴾.

٢ ـ المحاجّة والمخاصمة بين أهل النار حالة مستمرّة، ﴿يَتَحَاجُّونَ﴾.

٣ ـ على الرغم من عظمة عذاب جهنّم وشدّته؛ ولكنّه لا يكون سبباً لزوال قدرة الإنسان على الإدراك والفهم، ﴿يَتَحَاجُّونَ﴾.

٤ ـ تقع بين أهل جهنّم احتجاجات وخصومات، ﴿يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾.

٥ ـ لا تبرِّر المشاكل التي يواجهها الإنسان في هذه الدنيا التحاقه بالطواغيت، بل هذا الالتحاق سوف يكون سبباً للدخول إلى جهنّم، ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ...﴾.

٦ ـ يَعرف المجرمون أمثالهم في جهنم، فيتذكّرون ما كان في الدنيا ولهم القدرة على الحديث والحوار، ﴿يَتَحَاجُّونَ... فَيَقُولُ﴾.

٧ ـ عاقبة التقليد والاتّباع غير الصحيح نار جهنم، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾.

٨ ـ الخطر يكمن في أن يكون الإنسان تابعاً للباطل في كلّ وجوده وكيانه، ﴿تَبَعًا﴾، (أي بكل وجوده وكيانه خلافاً لكلمة تابع).

٩ ـ اتّباع الباطل سبب للابتلاء والمشاكل، فلا بدّ من الدقة في اختيار القائد، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾.

١٠ ـ عندما لا يجد المجرم أحداً يلجأ إليه، يطلب النصرة من أمثاله، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾.

١١ ـ يكتفي المجرم بطلب تخفيف شيء من العذاب، ﴿نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ الرد على طلب الكفّار المدَد في يوم القيامة سوف يكون بالسلب، فلا أحد يحمل وزر غيره (كيف يمكن لمن كان في جهنم أن ينجي غيره منها)، ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾.

٢ ـ سوف يعترف المستكبرون في يومٍ ما بعجزهم وضعفهم، ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾.

٣ ـ المال والمقام لا يمنعان من دخول الإنسان إلى جهنّم، ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾.

٤ ـ لا مجال للتشكيك في الحكم الصادر من الله ﷻ، ﴿قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾؛ (فالحكّام المستكبرون اليوم هم المحكومون في ذلك اليوم).

٥ ـ ورد في الآية ٤٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، وفي هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾، أي إنّ الحاكم هو من كان رقيباً على كلّ ما يجري.

٦ ـ ورد في الآية السابقة أنّ الضعفاء يستمدّون العون من المستكبرين، وفي هذه الآية تعرّض لطلبهم المدَد والعون من خزنة جهنّم، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾.

٧ ـ يرى الإنسان الملائكة في يوم القيامة ويتحدّث معهم، (خزنة جهنّم من الملائكة)، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾.

٨ ـ لجهنّم خزنة موكَلٌ إليهم أمرها، ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾.

٩ ـ يصل الأمر بالكافر حدّاً يستنجد فيه بملائكة العذاب، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾.

١٠ ـ تخفيف العذاب بيد الله ﷻ وحده، ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾.

١١ ـ يُصاب أهل جهنّم باليأس من النجاة الدائمة؛ لذا يكتفون بطلب الحدّ الأدنى وهو التخفيف الكمّي والكيفيّ من العذاب، ﴿يُخَفِّفْ... يَوْمًا﴾.

١٢ ـ لا مجال في عذاب جهنم لا للإيقاف ولا للتخفيف، ﴿يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾

إشارات

□ لا فائدة من إيمان من يؤمن بعد أن يرى العذاب: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا...﴾[١].

والتوبة عند الموت لا تنفع الإنسان أيضاً، ففرعون تاب لحظة غرقه ولكنّ الخطاب وجّه إليه بالرفض: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ...﴾[٢]، كما أنّ دعاء ورجاء الكافرين لا فائدة منه ولا ثمرة فيه: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

التعاليم

١ ـ العذاب الإلٰهيّ لا ينزل إلّا بعد إتمام الحجّة، ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم﴾.

٢ ـ إرسال الأنبياء من الله ﷻ سنّة دائمة، ﴿تَكُ تَأْتِيكُمْ﴾.

---

(١) سورة غافر: الآية ٨٥ (٢) سورة يونس: الآية ٩١.

٣ ـ لا بدّ من أن يبادر المبلّغ بالذهاب إلى الناس، ﴿تَأْتِيكُمْ﴾.

٤ ـ لكلّ نبيٍّ معجزة، ﴿تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾.

٥ ـ يوم القيامة هو يوم الاعتراف والإقرار، ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾.

٦ ـ لا ثمرة من دعاء الكفّار في جهنّم، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

إشارات

❑ ورد في الآيات السابقة أنّ مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه أولاً ثمَّ قام دفعةً واحدةً لإرشاد نظام فرعون، وقد سعى آل فرعون لثنيه عن إيمانه وعقيدته ولكنّ الله ﷻ حفظه وحفظ دينه.

وتتعرّض هذه الآية لخاتمة قصّة مؤمن آل فرعون، وتبيّن أنّ السنّة الإلٰهيّة بحماية رسل الله لا تختصّ بمؤمن آل فرعون، بل هي تشمل كافّة الرسل وكافّة المؤمنين متى واجهوا الصّعاب والمخاطر.

❑ ذكرنا في كتاب (المعاد) أسماء الشهود في يوم القيامة اعتماداً على الآيات والروايات وهم: الأنبياء، الأئمّة، الملائكة، الأرض، الزمان، أعضاء الجسم، فهؤلاء سوف يشهدون على كلّ قولٍ أو فعلٍ صدر من بني آدم.

❑ في يوم القيامة مواقف مختلفة، ففي بعض هذه المواقف لا يؤذن للظالمين ليقدّموا عذرهم: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[1]، وتبيّن هذه الآية أنّهم حتّى لو اعتذروا فإنّ عذرهم لا ينفعهم: ﴿لَا يَنفَعُ﴾.

الأنبياء والنصرة الإلهيّة

❑ تعرّض القرآن الكريم للحديث عن نصرة الله ﷻ لأنبيائه؛ ونذكر هنا بعض

(١) سورة المرسلات: الآية ٣٦.

نماذج ومصاديق ذلك؛ لكي نلقي الضوء على الآية الكريمة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾، وآية: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾.

* نصرة النبيّ نوح عليه السلام: ﴿...فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي الْفُلْكِ﴾[١].
* نصرة النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿...يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا...﴾[٢].
* نصرة النبيّ لوط عليه السلام: ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾[٣].
* نصرة النبيّ يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ...﴾[٤].
* نصرة النبيّ شعيب عليه السلام: ﴿...نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ...﴾[٥].
* نصرة النبيّ صالح عليه السلام: ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ﴾[٦].
* نصرة النبيّ هود عليه السلام: ﴿...نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ...﴾[٧].
* نصرة النبيّ يونس عليه السلام: ﴿...وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ الْغَمِّ...﴾[٨].
* نصرة النبيّ موسى عليه السلام: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾[٩].
* نصرة النبيّ عيسى عليه السلام: ﴿...إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ...﴾[١٠].
* نصرة رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[١١].
* نصرة المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ...﴾[١٢]، ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٣]، ﴿هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا إِيمَٰنًا...﴾[١٤].

وورد في سورة الأنبياء إنّ الله عز وجل استجاب لدعاء النبي نوح ويونس وزكريا

(١) سورة يونس: الآية ٧٣.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.
(٣) سورة الصافات: الآية ١٣٤.
(٤) سورة يوسف: الآية ٥٦.
(٥) سورة هود: الآية ٩٤.
(٦) السورة نفسها: الآية ٦٦.
(٧) السورة نفسها: الآية ٥٨.
(٨) سورة الأنبياء: الآية ٨٨.
(٩) سورة الشعراء: الآية ٦٥.
(١٠) سورة آل عمران: الآية ٥٥.
(١١) سورة الفتح: الآية ١.
(١٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.
(١٣) سورة التوبة: الآية ٢٦.
(١٤) سورة الفتح: الآية ٤.

وأيوب ﷺ: ﴿...فَٱسْتَجَبْنَا...﴾[١]. وفي سورة الشورى في الآية ٢٦ نقرأ قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

□ تتجلّى النصرة الإلٰهيّة للأنبياء وللمؤمنين بصوَر وأشكال متعدّدة:

فتارة بإيجاد الإلفة بين القلوب والثبات: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾[٢]، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا...﴾[٣].

وأخرى باستجابة الدعاء: ﴿...فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[٤]، ﴿...رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[٥].

وأخرى بالمعجزة والبيّنات: ﴿...أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ...﴾[٦].

وأخرى بإعطاء الملك والسلطة: ﴿ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾﴿مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٧].

وأخرى بالغلبة في الحرب: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ...﴾[٨].

وأخرى بالسكينة وطمأنينة القلب: ﴿...فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا...﴾[٩].

وأخرى بإهلاك عدوه: ﴿...فَأَغْرَقْنَٰهُمْ...﴾[١٠].

وأخرى بالإمداد الغيبيّ ونزول الملائكة: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾[١١].

وأخرى بإيجاد الرعب في قلب العدوّ: ﴿...وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ...﴾[١٢].

وأخرى بانتشار الدين وكثرة أتباعه وأنصاره: ﴿...لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ...﴾[١٣].

وأخرى بأن يكتب له النجاة من المخاطر: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ...﴾[١٤].

---

(١) سورة الأنبياء: الآيات ٧٦، ٨٤، ٨٨ و٩٠.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١١.
(٣) سورة ابراهيم: الآية ٢٧.
(٤) سورة يوسف: الآية ٣٤.
(٥) سورة نوح: الآية ٢٦.
(٦) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٧) سورة النساء: الآية ٥٤.
(٨) سورة التوبة: الآية ٢٥.
(٩) السورة نفسها: الآية ٤٠.
(١٠) سورة الأعراف: الآية ١٣٦.
(١١) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.
(١٢) سورة الحشر: الآية ٢.
(١٣) سورة الصف: الآية ٩.
(١٤) سورة العنكبوت: الآية ١٥.

وأخرى بإفشال خطط العدو وكيده، ﴿...وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

التعاليم

١ ـ نصرة الأنبياء والمؤمنين سنّة من السنن الإلٰهيّة (انتصار الحقّ على الباطل وعد إلهي)، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾.

٢ ـ لا ينبغي الشكّ في النصرة الإلٰهيّة، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ﴾؛ (إنّا وحرف اللام من علامات التوكيد).

٣ ـ يبعث الوعد الإلٰهيّ الأمل والدّافع والطمأنينة في نفوس المؤمنين، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾.

٤ ـ النصرة الإلٰهيّة تشمل كافّة الجوانب، من إفشال مخطّطات الأعداء إلى زيادة الأتباع وغير ذلك، (﴿لَنَنصُرُ﴾ وردت مطلقة).

٥ ـ البشارة والإنذار يُثمِران متى اقترنا، ﴿لَنَنصُرُ رُسُلَنَا... لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٦ ـ الإيمان هو الذي يُعلي من شأن الإنسان ويجعله في مصافّ الأنبياء ومشمولاً للنصرة الإلٰهيّة، ﴿رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٧ ـ ما يواجهه الإنسان في هذه الدنيا من مصاعب وأذىً لا يتجاوز الساعات والأيام، وفي هذه الدنيا النصر حليف المؤمنين أيضاً[2]، ﴿لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١٨.

(٢) نكتب تفسير هذه الآية في ظل عشرة فجر انتصار الثورة الإسلاميّة في ١٤ بهمن ١٣٧٨. ولعل من المناسب أن نذكر نموذجاً من النصرة الإلٰهيّة لنهضة الفقيه المجاهد والمخلص الإمام الخميني. ففي سنة ١٣٤٢ قام في ظل نظام الشاه الطاغوتي. وقد نفي ١٥ عاماً إلى تركيا والعراق، ولاقى أنصاره الكثير من الأذى والضرر، فاستشهد بعضهم ولكن الله ﷻ كتب له النصرة، ففر الشاه وسقط النظام الشاهنشاهي بعد ١٥٠٠ عام من قيامه، وتمكن الإمام الخمينيّ من أن يحقق أهدافه. ويذكر سيّد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) أن نظام بني أمية تمكن من تقطيع جسد الحسين عليه السلام ولكن الحسين تمكن من أن يصل إلى أهدافه. واليوم نجد الملايين ممن يفتخر بأنه من نسل الحسين عليه السلام، ولا نجد شخصاً يفتخر بأنه من نسل يزيد. ونجد رسالة الحسين وتعاليمه قد ملأت الآفاق. وفي كل عام يذهب آلاف الزائرين لزيارة مرقده الشريف، ومجالس الحسين تحيا في كل مكان، فتجد أن زعيم بلاد الهند ، وهو ليس من المسلمين، يحضر يوم عاشوراء ويقول: علمني الحسين أن لا أخضع للظلم حتى لو قطعت قطعاً.

٨ ـ الإنسان في حاجةٍ مستمرّة للنصرة الإلٰهيّة، ولا يستغني إطلاقاً عن اللطف الإلٰهيّ، ﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

٩ ـ النصرة الإلٰهيّة دائمة ومستمرّة، ﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

١٠ ـ على الرغم من كفاية الشهادة الإلٰهيّة على الأعمال؛ ولكن تعداد الشهود لكي تكون حجّة المؤمن أقوى ولكي يغرق الكافر في الندم والخجل، ﴿يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

١١ ـ الشهود في يوم القيامة كثر، ﴿الْأَشْهَادُ﴾.

١٢ ـ من لا إيمان له فهو من الظالمين، (استخدمت مفردة «الظالمين» مقابل الذين آمنوا).

١٣ ـ في القيامة عذابٌ روحيّ، ﴿لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾؛ وبدنيّ أيضاً، ﴿سُوءُ الدَّارِ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾

إشارات

❑ بعد أن تعرَّضت الآيات السابقة لنصرة الأنبياء والمؤمنين تتحدّث هذه الآية عن نموذج من نصرة الأنبياء، ﴿رُسُلَنَا﴾؛ وهو النبيّ موسى عليه السلام، ونموذج من نصرة، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهم بنو إسرائيل.

❑ ألباب جمع لب وهو العقل الخالص.

التعاليم

١ ـ الهداية هبة من الله عزّ وجلّ (الإيتاء) هو بمعنى العطاء، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ﴾.

٢ ـ لا بدّ من أن يكون الهادي مهتدياً مسبقاً، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ﴾.

٣ ـ كافّة الناس حتّى الأنبياء محتاجون إلى هداية الله عزّ وجلّ، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ﴾.

٤ ـ إذا أريد للهداية أن تبقى فلا بدّ أن تكون مدوّنة، وسرُّ خلود الأديان السماويّة هو الكتب السماويّة، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ﴾.

٥ ـ إذا لم تقترن الهداية بالتذكير فإنّ مصيرها سوف يكون النسيان، ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾.

٦ ـ نيل المعارف السماويّة يتوقف على امتلاك العقل والتقوى، ﴿...هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

٧ ـ العقل لا يغني الإنسان عن الوحي، بل يُكمِّل أحدهما الآخر، ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

٨ ـ عناصر السعادة هي الأمور الآتية:

أ ـ اللطف والهداية من الله ﷻ، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى﴾،

ب ـ القيادة المعصومة، ﴿مُوسَىٰ﴾.

ج ـ القانون السماويّ، ﴿الْكِتَابَ﴾.

د ـ التذكّر والابتعاد عن الغفلة، ﴿ذِكْرَىٰ﴾.

هـ ـ العقل الخالص والسليم، ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

٩ ـ التذكّر والتعلّم دليل على امتلاك العقل السليم، ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

١٠ ـ معارف الكتاب السماويّ مطابقة للعقل، ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات

□ تُثبت الأدلّة العقليّة والنقليّة عصمة الأنبياء عليهم السلام؛ وذلك لأنّهم لو لم يكونوا معصومين لم يكن من معنىً للأمر بطاعتهم المطلقة، بل لا بدّ من أن تكون طاعتهم مشروطة، كطاعة الوالدين فإنّها مشروطة بأن لا يدعو إلى الشرك والمعصية، هذا من جهة؛ ومن جهةٍ أخرى حاجتنا إلى النبيّ والأئمّة عليهم السلام تتمثّل

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

بالأمن من الانحراف عن الصراط المستقيم، فإن كان الانحراف ممكناً في حقّهم فهذا يعني أنّ الحجّة لم تتمّ لله ﷻ على عباده، مع أنّ الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ...﴾[1].

إذاً، الرسول الذي يقول الله ﷻ إنّ طاعته من طاعتي ومعصيته من معصيتي لا بدّ من أن يكون معصوماً. وعليه، ففي مواردَ كهذه الآية حيث تتعرّض لمسألة ذنب النبي، لا بدّ أن يكون المراد من الذنب ترك الأولى أي ترك فعل ما هو الأفضل وليس ترك فعل ما هو واجب.

ونذكر بعض الأمثلة التي يُمكن أن تبيّن ذلك: لو أنّ إنساناً أراد أن يمدَّ رجله بسبب ألم فيها في مجلس فيه بعض الشخصيّات من ذوي المكانة والاحترام، فإنّه يطلب العذر من الحضور أولاً. ولو أنّ مذيعاً تلفزيونيّاً أُصيب بالسعال فإنّه يطلب المعذرة من المشاهدين، ولو أنّ صاحب بيت لم يوفّر طعاماً من الصنف الأوّل لضيوفه فإنّه يطلب العذر منهم، مع علمنا بأنّ المريض في مدّه لرجله أو المذيع الذي أصيب بالسعال أو صاحب البيت الذي وفّر الطعام دون المقام لا يعدّ مذنباً؛ ولكنّ الإنسان عندما يكون في محضر الكبار أو عندما يكون أمام المشاهدين أو عندما يرى طعامه أقلّ شأناً من شأن المدعوّين يطلب العذر. فإذاً ليس كلُّ طلبٍ للعذر كاشفاً عن المعصية، بل قد يكون أحياناً من باب الأدب واحترام الكِبَار وأصحاب الشأن.

عصمة الأنبياء واستغفارهم

- إذا دخلت إلى مكانٍ وبرفقتك ضوء خافت فإنّك لن ترى سوى الأشياء الكبيرة، ولكنّك إذا دخلت ذلك المكان وبرفقتك نور قويّ فإنّك سوف ترى حتّى نواة التمر أو ما هو أصغر من ذلك. فنور الإيمان إذا كان ضعيفاً فإنّه لم يكشف سوى الذنوب الكبيرة، ولكن نور الإيمان إذا غمر وجود الإنسان كلّه، فإنّه سوف يكشف حتّى الذنوب الصغار. وسوف يجتنب عن تلك الذنوب. وأنبياء

---
(١) سورة الانعام: الآية ١٤٩.

الله ﷻ ونظراً إلى ما يملكونه من إيمان كاملٍ ومن تقوى فإنّهم يجتنبون حتّى تلك الذنوب الصغيرة، ولذا يُطلق عليهم أنّهم معصومون.

□ قد يكون الخطاب في بعض آيات القرآن الكريم موجّهاً للنبي ﷺ ولكنّ المراد به غيره. ففي الآية ٢٣ من سورة الإسراء نقرأ قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾، مع أنّنا نعلم بأنّ نبيّ الإسلام ﷺ فقد والديه وهو صغير السن، ولا مجال لأن يُخاطب بـ (عندك الكبر)، فخطاب (عندك) هو لأمّة النبي ﷺ. وكذلك الحال في الآية التي نحن بصدد تفسيرها أي قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، فإنّ المخاطب وإن كان هو النبي ﷺ، ولكن المخاطب الأساس هم المذنبون من أمة النبي وإن عليهم الاستغفار من ذنوبهم، وإن كان المخاطب هو شخص النبي ﷺ فالمراد طلب الاستغفار لما ترتكبه أمّته من ذنوب.

استغفار الأنبياء في القرآن

تعرّضت العديد من الآيات لاستغفار الأنبياء، ونعرض هنا بعضاً من هذه الآيات:

* استغفار النبي آدم عليه السلام: ﴿...رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا...﴾[1].
* استغفار النبيّ موسى عليه السلام: ﴿...رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾[2].
* استغفار النبيّ سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا...﴾[3].
* استغفار النبيّ نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ...﴾[4].
* استغفار النبيّ داود عليه السلام: ﴿...وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ...﴾[5].
* استغفار النبيّ يونس عليه السلام: ﴿...سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6].
* استغفار النبيّ محمد ﷺ: ﴿...وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ...﴾[7].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٣.
(٢) سورة القصص: الآية ١٦.
(٣) سورة ص: الآية ٣٥.
(٤) سورة نوح: الآية ٢٨.
(٥) سورة ص: الآية ٢٤.
(٦) سور الأنبياء: الآية ٨٧.
(٧) سورة غافر: الآية ٥٥.

التعاليم

١ ـ بملاحظة الوعد الإلٰهيّ بنصرة الأنبياء في الآية السابقة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا...﴾ تأمر هذه الآية بالصبر، ﴿فَٱصْبِرْ﴾.

٢ ـ سبب الصبر الوصول إلى الوعد الإلٰهيّ، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

٣ ـ النبيّ ﷺ مأمور بالاستغفار أيضاً، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾.

٤ ـ تنزيه الله ﷻ إذا كان مع حمده والثناء عليه كان أرقى وأفضل، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٥ ـ لعنصر الزمان تأثيره على الدعاء والعبادة، ﴿وَسَبِّحْ... بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾.
(كما ورد في آيات أخرى قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١]، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ...﴾[٢].

٦ ـ التسبيح والحمد إنّما يكونا سبباً للرقيّ والتربية وسبباً لتقوية التوحيد متى كان دائماً في الصباح وفي المساء، ولم يكن آنيًا موقّتًا، ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾

إشارات

- يُعطي الإسلام قيمةً أساسيّة للنيّة والدّافع وما يكون في القلب؛ لذا كان العمل الذي لا يصدر عن إخلاص باطلاً ولا قيمة له. وقد ورد في سورة عبس وفي عشر آيات ذمّ من عبس في وجه شخصٍ أعمى مع أنّ الأعمى لا يرى عبوس الوجه أو انبساطه وسروره، ولكن القرآن ذمّ ذلك لأنّ عبوس الوجه فيه إهانة للغير وتوهين له.
- فاهتمام الإسلام بالباطن والسريرة قبل اهتمامه بالظاهر، كما تتعرّض هذه الآية لروح التكبّر الموجودة في قلب المتكبّرين.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

التعاليم

١ ـ سبب الجدال بغير حقّ حالة التكبّر التي يعيشها الإنسان في داخله، ﴿يُجَٰدِلُونَ... فِى صُدُورِهِمْ... كِبْرٌ﴾.

٢ ـ الدّافع للجدال مع الحقّ هو حالة التكبّر لا اتّباع المنطق، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾.

٣ ـ إذا لم يراقب الإنسان نفسه، فإنّ التكبّر سوف يغمره بتمام كيانه ووجوده، بنحو لا تجد في قلبه شيئاً سوى التكبّر، ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾.

٤ ـ من يعاند على أساس التكبّر ولا يمتلك المنطق فإنّه لن يصل إلى هدفه من الرئاسة والسيادة على الناس، ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾.

٥ ـ ليس للوقاية من عشرة المتكبّر من دواء سوى الاستعاذة بالله ﷻ، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾.

٦ ـ استعذ بمن يسمع ويرى. (وبهذا تكون له القدرة على حمايتك وإفشال ما يحاك ضدك)، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

التعاليم

١ ـ إذا أحطنا بعظمة الوجود فلن نعيش التكبّر في أنفسنا، ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ... لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

٢ ـ لا بد من أن يصاب المتكبّرون بالهزيمة، ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ﴾؛ فلماذا يتكبّرون؟

٣ ـ النظرة إذا لم يكن فيها اعتبار فهي جهل، ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ... لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٤ ـ جذور التكبّر ترجع إلى الجهل والغفلة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

التعاليم

١ ـ التكبّر أكبر مانع يحول من معرفة الحقّ والإيمان به. (المتكبّر كالأعمى)، ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾.

٢ ـ الإيمان والاعتقاد يتقدّمان على العمل، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟...﴾.

٣ ـ المحوريّ هو التعلّم والتذكّر لا الأرقام والعدد، ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ... قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

٤ ـ الإنسان الذي لا يهتمّ بالحقائق أعمى، ﴿ٱلْأَعْمَىٰ... قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

٥ ـ أكثر الناس لا يعلمون وقليل منهم الذين يتذكّرون ويخضعون للحقّ، ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ... قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

٦ ـ ورد في الآية السابقة: ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي هذه الآية: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾. فالعلم ليس هو المهم بل المهم هو التذكّر، ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾

إشارات

□ لأنّ يوم القيامة يحدث فجأةً وبسرعة أُطلق عليه اسم (الساعة)، وكلّما وردت مفردة (ساعة) مع الألف واللام كان المراد منها القيامة، وأمّا لو وردت بدون ألف ولام التعريف فالمراد منها الزمان، سواء كان زماناً قصيراً محدوداً، كما في قوله تعالى: ﴿...لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]، أي لحظة الموت التي لا تقبل التقديم ولا التأخير، أو كان المراد منه مطلق الزمان نحو قوله تعالى: ﴿...فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ...﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٤.
(٢) سورة التوبة: الآية ١١٧.

□ على الرغم من أنّ بعض الناس يشكّكون ويستبعدون يوم القيامة، ولكن لا ينبغي الشكّ ممّن لاحظ الحكمة والعدالة والقدرة والعلم الإلٰهيّ، ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾.

التعاليم

١ ـ على الرغم من إصرار البعض على السؤال عن وقت قيام الساعة، ولكنّ القرآن لم يجبهم عن ذلك، بل ما تعرّض له القرآن الكريم هو أصل وقوع القيامة، ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾.

٢ ـ تذكّر القيامة هو أفضل وسيلة تجعل الإنسان في يقظة دائمة وتقيه الغفلة، ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ... إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾.

٣ ـ ينبغي عليكم بيان الحقّ بشكل حاسم لمواجهة تشكيك الكفّار في يوم القيامة، ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾.

٤ ـ شكّ الناس في وقوع القيامة سببه جهلهم في سعَة العلم والقدرة الإلٰهيّة، ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات

□ **سؤال:**، بعد الوعد الإلٰهيّ باستجابة الدعاء في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؛ لماذا نجد أن بعض الأدعية لا تستجاب؟

الجواب:

أ ـ إنّ بعض الأعمال كالذنب والظلم وأكل المال الحرام وعدم العفو عمّن طلب العذر منّا يمنع من استجابة الدعاء.

ب ـ قد تكون استجابة الدعاء أحياناً سبباً في اختلال نظام الخلقة، كالطالب الذي كتب في امتحان الجغرافيا هل سطح البحر أعلى أم سطح الجبال؟

فأجاب سطح الجبال، ثمّ دعا الله ﷻ أن ينال درجة تؤهّله للنجاح.

ومهما كان لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الله ﷻ قادر وحكيم أيضاً.

ج ـ قد لا يُستجاب الدعاء أحياناً ولكن يُستجاب ما يشابهه.

د ـ قد يكون للدعاء تأثيره على مستقبل الإنسان أو على أسرته أو في يوم القيامة، فنتيجة هذا الدعاء لا تكون فوريّة.

□ كلّ دعاء لا يُستجاب فهو في الحقيقة ليس بدعاء؛ لأنّ معنى الدعاء طلب الخير، وكثيرٌ ممّا نطلبه ليس من الخير بل من الشرّ.

آداب الدعاء في القرآن

١ ـ أن يقترن الدعاء بالإيمان والعمل الصالح: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾(١).

٢ ـ أن يكون عن إخلاص: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(٢).

٣ ـ أن يكون عن تضرّع وفي الخفاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...﴾(٣).

٤ ـ أن يكون عن خوف وطمع: ﴿...وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾(٤).

٥ ـ أن يكون في أوقات محدّدة: ﴿...يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...﴾(٥).

التعاليم

١ ـ مخاطبة الله ﷻ مفتاح الرشاد والتربية للإنسان، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾.

٢ ـ بين دعاء الإنسان والربوبيّة الإلٰهيّة علاقة وثيقة. (أكثر أدعية القرآن وردت مع كلمة ربنا)، ﴿رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾.

٣ ـ يطلب الله ﷻ منّا أن نلجأ إليه بالدعاء، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٦.

(٢) سورة المؤمن: الآية ١٤.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

(٤) السورة نفسها: الآية ٥٦.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٥٢.

٤ ـ عند الدعاء لا بدّ من أن ندعو الله ﷻ وحده فقط ولا ندعو أحداً معه، ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾.

٥ ـ الله ﷻ عالم بما نحتاجه ونريده، ولكنّه أمرنا بالدّعاء لأنّ نفس الطلب يترتّب عليه بعض الآثار، ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾.

٦ ـ استجابة الدّعاء تكون على الفور ﴿...ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ﴾، (فحتّى حرف (ف) أو (ثمّ) لا وجود له. فلو قال: «فأستجيب» فهذا يعني أنّ الاستجابة تكون بعد مدّة قصيرة، ولو قال: «ثمّ أستجب» فهذا يعني أنّ الاستجابة سوف تكون بعد مدّة طويلة).

٧ ـ لا واسطة في الدّعاء ولا في الاستجابة، ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ﴾.

٨ ـ استجابة الدعاء وعدٌ إلهيّ، ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾.

٩ ـ إذا لم يكن الدعاء مستجاباً فلا بدّ من أن يكون السبب في ذلك عدم كونه لمصلحة العبد، لأنّ الله ﷻ قال: ﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ أي أستجيب ما يكون فيه مصلحة لكم.

١٠ ـ ترك الدعاء علامة التكبّر، ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

١١ ـ الدعاء علاج لآفة التكبّر، ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾.

١٢ ـ الدعاء عبادة، ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾.

١٣ ـ الدعاء عبادة إلهيّة خاصّة، ﴿عِبَادَتِي﴾.

١٤ ـ العقاب الإلٰهيّ عادل ويتناسب مع السلوك الصادر من العبد. فالاستكبار اليوم مصيره لا شك هو السقوط والزوال، ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ... دَاخِرِينَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾

إشارات

□ ورد الأمر في الآية السابقة بالدّعاء، وفي هذه الآية بيانٌ لبعض النِّعم الإلٰهيّة لكي يُحيي في نفوسنا روح السعي للمعرفة والمحبّة لله ﷻ والدعاء.

□ تعرّض القرآن الكريم لبيان بعض الأمور التي تكون سبباً للطمأنينة، من ذلك:

أ ـ ذكر الله ﷻ: ﴿...أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].

ب ـ دعاء النبيّ ﷺ: ﴿...إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ...﴾[2].

ج ـ المدد الغيبيّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾[3].

د ـ الزوجة: ﴿...لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا...﴾[4].

هـ ـ البيت والمسكن: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾[5].

و ـ الليل: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾.

التعاليم

١ ـ العبادة والدعاء لا تكون إلّا لمن خلق الليل والنهار والذي بيده تأمين ما نحتاج إليه، ﴿ٱدْعُونِىٓ... ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ...﴾.

٢ ـ الليل للسكن والهدوء والنهار للعمل والسعي، ﴿ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾.

٣ ـ الاستراحة مقدّمة للعمل «لتسكنوا وردت قبل قوله والنهار مبصراً».

٤ ـ الليل والنهار إلى جنب بعضهما البعض نعمة من الله، ﴿ٱلَّيْلَ... وَٱلنَّهَارَ﴾.

٥ ـ فضل الله ﷻ في هذه الدنيا يشمل المؤمن والكافر، ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

٦ ـ من لا يطلب من الله ﷻ فإنّ الله يُعطيه بلطفه، ﴿لَذُو فَضْلٍ﴾.

٧ ـ علامة فضل الله أنّه مع علمه بأنّ أكثر الناس لا يشكرون، ولكنّه لا يحرم الناس من لطفه بهم، ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٨ ـ الأكثريّة لا تدلّ على الحقّانيّة، ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٩ ـ لا ينتظر الله ﷻ منا شكره، بل نحن الذين يجب علينا أن نتوجّه إليه بالشكر،

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٣) سورة الفتح: الآية ٤.

(٤) سورة الروم: الآية ٢١.

(٥) سورة النحل: الآية ٨٠.

﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

١٠ ـ الليل والنهار نعمتان تستحقّان الشكر، ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ... وَٱلنَّهَارَ... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

إشارات

□ الإفك هو الانحراف عن الحقّ. ويُطلق على الكذب أنّه إفك؛ لأنّه على خلاف الحق. (الجحد) هو إنكار شيء مع العلم به والتصديق به في القلب، أو إثبات شيء لا يصدّقه القلب.

التعاليم

١ ـ لا بدّ أولاً من بيان الحقّ، ثمّ توجيه النقد، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ... فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

٢ ـ من لا يؤمن بمبدإ الوجود ويصدّق به فهو منحرف، ﴿رَبُّكُمْ... تُؤْفَكُونَ﴾.

٣ ـ من يستحقّ العبادة هو من كانت له الربوبيّة على الناس وكان خالقاً لكلّ شيء، ﴿رَبُّكُمْ خَٰلِقُ... لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٤ ـ الصنّاع والمخترعون إنّما يفعلون ذلك بما وهبهم الله ﷻ، فالخالق الحقيقي لكلّ شيءٍ هو الله ﷻ، ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

٥ ـ كلّ طريق يسلكه الإنسان عدا طريق الله ﷻ والاعتقاد بربوبيّته ووحدانيّته هو طريق ضلال، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

٦ ـ لا بدّ من ذمّ أهل الضلال والانحراف والغرور حذراً من وقوعهم في ظنّ أنّهم الأفضل، ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ...﴾.

٧ ـ إنكار الحقّ مقدّمة للانحراف، ﴿تُؤْفَكُونَ... كَانُوا۟... يَجْحَدُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

إشارات

- تعرّضت الآيات السابقة للنِّعم المرتبطة بالزمان من الليل والنهار، وهذه الآيات تتحدّث عن النِّعم المرتبطة بالمكان كالأرض والسماء.
- لا بدّ لمعرفة الله ﷻ من التأمّل في الآيات الآفاقيّة والطبيعيّة: ﴿ٱلْأَرْضِ... وَٱلسَّمَآءِ﴾؛ وكذلك الآيات الأنفسيّة: ﴿وَصَوَّرَكُمْ... رَزَقَكُم﴾.
- في ما يتعلّق بخلقة الإنسان والروح التي وهبها الله ﷻ له، بارك الله ذلك بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾. وفي هذه الآية أيضاً عندما تحدّث عن السورة الحسنة التي خُلقَ عليها الإنسان قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ كانت الأرض في البدء مضطربة ومتزلزلة فجعلها الله ﷻ مستقرّة ليسكنها الإنسان، ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾.

٢ ـ الخلق فعلٌ يرمي لهدفٍ وغاية، ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾.

٣ ـ الأرض قرار مع كلِّ ما فيها من حركة، ﴿قَرَارًا﴾.

٤ ـ أعطى الله ﷻ الإنسان أفضل صورة من بين الموجودات، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.

٥ ـ جمال الوجه هو أحد النِّعم الإلٰهيّة، ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.

٦ ـ ما رزقنا الله ﷻ إيّاه هو الطيّبات وما ترغبه نفوسنا، ولو أنّ الإنسان استفاد من غير الطيّبات فهذا بسبب سوء اختياره وعناده، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.

٧ ـ الصورة الحسنة والرزق الطيّب من مظاهر الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم... ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾.

٨ ـ جعْلُ الأرض قراراً وبناءُ السماء وخلْقُكم ورزْقُكم من الطيّبات كلّه لأجل أن يحيا الإنسان وينمو، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾.

٩ ـ وجود الله ﷻ أساس البركة والرحمة، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾.

١٠ ـ الوجود كلّه خاضع للربوبيّة الإلٰهيّة، وهو يسعى نحو الكمال، ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ الحياة الحقيقيّة هي لله ﷻ ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾، (حياة الآخرين تتّصف بالمحدوديّة والفناء وعدم الاستقلال).

٢ ـ لا بدّ أولاً من المعرفة ثمّ الدعاء والمناجاة، ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ... خَلَقَكُم... هُوَ ٱلْحَىُّ... لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ... فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾.

٣ ـ لا بدّ أن يكون المعبود حيّاً، ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٤ ـ إذا لم يكن من معبود إلا هو، فاعبده وحده، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾.

٥ ـ من آداب الدّعاء الحمد له والثناء عليه، ﴿فَٱدْعُوهُ... ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾.

٦ ـ بين الدعاء والربوبيّة ارتباط وثيق، ﴿فَٱدْعُوهُ... رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٧ ـ الربوبيّة الإلٰهيّة هي سبب حمده والثناء عليه، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٨ ـ الوجود يسعى نحو الكمال، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

إشارات

❑ خُتِمَت هذه الآية والآيتان السابقتان بقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وفي الآية ٦٤ بعد إثبات الذّات الإلٰهيّة قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وفي الآية ٦٥ وبعد ذكر

التوحيد والإخلاص قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وهذه الآية بعد نفيها لأيّ نوعٍ من الشرك قالت: ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. نعم، السير الطبيعيّ والمنطقيّ لمعرفة الله أن نعرفه أولاً ثمّ نؤمن بوحدانيّته ونرفض كلّ ما يتنافي مع توحيده.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من إدخال اليأس إلى قلوب الأعداء، ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾.

٢ ـ لقد استبان الوحي للناس دون نقص أو خلل، ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾.

٣ ـ الدليل والبينة هما الأساس لا ما نتوقّعه من الناس والمحيط (على الرغم من وجود الدلائل الواضحة والبينة لا يبقى أي مجال للتسليم أمام الشرك)، ﴿جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾.

٤ ـ الأمر والنهي يعتمد على المنطق والاستدلال، ﴿نُهِيتُ... لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾.

٥ ـ كلُّ موقفٍ يتّخذه النبي ﷺ يعتمد على الوحي، ﴿نُهِيتُ... أُمِرْتُ﴾.

٦ ـ لا بدّ أن يكون التولّي والتبرّي معاً (ما لم نبرّئ أنفسنا من أنواع الشرك لن نصل إلى التوحيد الحقيقي)، ﴿نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ... وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾.

٧ ـ التسليم ينبغي أن يكون لمن يستحقّ ذلك وهو ربّ العالمين، ﴿أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٨ ـ العبادة الحقيقيّة، التسليم لله ﷻ، ﴿أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ ولم يقل: أعبد ربّ العالمين.

٩ ـ التسليم بالربوبيّة سبب لرقيّ الإنسان، ﴿أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

إشارات

❑ بيّن الله ﷻ في هذه الآية خلق الإنسان وموته في مراحل سبع.

❑ فُسِّر خلق الإنسان من تراب بأحد معنيين:

أ ـ إنّ الإنسان الأوّل خُلِقَ من تراب.

ب ـ الإنسان موجود خُلِقَ من نطفة، والنطفة من غذاء، والغذاء يعود في جذوره الغذائيّة إلى التراب.

❑ أشارت الآيات السابقة إلى الدعاء والمعرفة والإخلاص والشكر والتسليم. وتُشير هذه الآية إلى المنزلة التي وفَّرت لهذا الإنسان إمكانيّة الوصول إلى هذه المراحل.

التعاليم

١ ـ بداية خلق الإنسان من تراب لا من تطور النوع الحيوانيّ، ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾.

٢ ـ القدرة الإلٰهيّة جعلت من التراب الذي لا روح فيه إنساناً ذا روح، ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾.

٣ ـ القدرة الإلٰهيّة جعلت من التراب إنساناً عاقلاً يملك القدرة على التفكير، ﴿مِّن تُرَابٍ... تَعْقِلُونَ﴾.

٤ ـ مراحل الخلقة تمّت بشكل تدريجيّ، ﴿ثُمَّ... ثُمَّ... ثُمَّ﴾.

٥ ـ خلق الإنسان من تراب ومن نطفة بيد الله ﷻ، ولكن ما يجب علينا هو السعي لنصل إلى مكانٍ ما، ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ﴾.

٦ ـ حياة الإنسان تطوي مراحل من الكمال، ﴿تُرَابٍ... طِفْلًا... شُيُوخًاۚ... يُتَوَفَّىٰ﴾.

٧ ـ قبض الروح بيد الله ﷻ، ﴿يُتَوَفَّىٰ﴾.

٨ ـ الموت ليس عدماً، بل هو نزع الروح من البدن، ﴿يُتَوَفَّىٰ﴾.

٩ ـ ليس للكمال الإنسانيّ من حد (نظراً إلى عدم تحديد الآية حدّ الكمال، فإنّ لكلِّ أحد أن يصل إلى مراحل من القوّة والشدّة)، ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾.

١٠ ـ مقدار عمر الإنسان محدّد مسبقاً، ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾.

١١ ـ أفضل وسيلة للتدبّر هو التدبّر في نفس خلق الإنسان، ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ... لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

إشارات

- وردت جملة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ثماني مرّات في القرآن الكريم للدلالة على سعة القدرة الإلٰهيّة.
- المراد من القول الإلٰهيّ في الآية، الإرادة التكوينيّة لله ﷻ المتعلّقة بوجود أمر، ولا يتوقّف على الكلام باللسان، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

التعاليم

١ ـ الموت والحياة بيد الله ﷻ فقط، ﴿هُوَ الَّذِي﴾.

٢ ـ قدرته على الإماتة والإحياء واحدة، ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

٣ ـ القدرة الإلٰهيّة مطلقة ولا شيء بخارجٍ عن تحت القدرة الإلٰهيّة (كلمة أمراً بمعنى كلِّ أمر).

٤ ـ الإرادة الإلٰهيّة حتميّة وقطعيّة ولا تغلب، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

إشارات

- تعرَّضت هذه السورة في ثلاثة مواضع للجدال بغير حقّ:

أ ـ ففي الآية ٣٥ وصف بأنّه ذنب كبير وأنّه سبب للختم على القلب.

ب ـ في الآية ٥٦ بيّن أنّ سبب الجدال بغير حقّ صفة التكبّر التي هي في صدر المجادل.

ج ـ في هذه الآية تعرّض لحال المجادلين وأنّهم من أهل الانحراف وممن ضلّ السبيل[١].

التعاليم

١ ـ الاطّلاع على تاريخ المعاندين من الأمم السابقة وسيلة للاعتبار وسبب لسكينة الأمم المعاصرة، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢ ـ الجدال في آيات القرآن سببٌ للضلال والضياع، ﴿يُجَٰدِلُونَ... يُصْرَفُونَ﴾.

٣ ـ الإنذار له تأثيره الإيجابيّ في العمل التبليغيّ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

إشارات

- الأغلال جمع غلّ وهو الطوق الذي يوضع على رقبة الإنسان لأجل المهانة والذلّ.

والسلاسل جمع سلسلة وهو الزنجير ويسحبُون بمعنى الجرّ على الأرض. يُسجرون بمعنى إشعال النار وإيقادها وزيادة لهيبها.

- ذكر صفات وخصائص القيامة وأنواع العذاب الإلٰهيّ عن طريق الوحي سبب للحذر ولتربية النفوس وتقواها، وأمّا الإيمان الفلسفيّ الذي يصل إليه الإنسان من خلال صفتي العدالة والحكمة فهو إيمان يورث اعتقاداً عاماً بالقيامة، ولا تترتبّ عليه هذه الآثار. كما أنّ إثبات وجود الله ﷻ عن طريق الدور التسلسل لا يكون سبباً لتقوى الله ﷻ، وإن كان لهذه المباحث العقليّة تأثيرها في موضعها.

- تعرّضت الآية المذكورة لأنواع العذاب المكتوب على الكفّار:

أ ـ الأذى الجسميّ بوضع الأغلال والسلاسل، ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ...﴾.

---

(١) تفسير نمونه.

ب ـ السوق إلى النار الذي يتمّ بمهانة وإذلال، ﴿يُسۡحَبُونَ﴾.

ج ـ أوّلاً العذاب في الحميم ثمّ في نار جهنم، ﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ﴾.

د ـ جحيم نار جهنم يصل حدّاً لا مجال فيه للتخفيف، ﴿يُسۡجَرُونَ﴾.

هـ ـ السؤال عن شركائهم المفترضين يكون سبباً لندمهم، ﴿قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ﴾.

التعاليم

١ ـ عندما يرى المعاندون العذاب يدركون مدى انحرافهم، ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾.

٢ ـ الجدال مع الحقّ والتكذيب به موجب للوقوع في أنواع من العذاب، ﴿يُجَٰدِلُونَ... كَذَّبُواْ... إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾.

٣ ـ تكبّر الإنسان في هذه الدنيا سوف يتبدّل في الآخرة ذلّاً (لن يبقى الطغاة وأهل الغرور والشرك دون رادع)، ﴿ٱلۡأَغۡلَٰلُ... يُسۡحَبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ يوم القيامة هو يوم انكشاف الحقائق وبطلان الشرك، ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾.

٢ ـ كلّ ما عدا الله سوف يُصاب بالفناء، ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾.

٣ ـ تؤدّي مظاهر يوم القيامة إلى صدمةٍ في نفوس المشركين، فتارةً يقولون: «ضلّ عنّا ما كنّا ندعوه»؛ وأخرى يقولون: لم نكن ندعو أحداً، ﴿ضَلُّواْ عَنَّا... لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ﴾.

٤ ـ لا يضلّ الله ﷻ أحداً بلا سبب (الضلالة الإلهيّة عقاب لكفر مسبق)، ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

إشارات

- الفرح هو السرور الطبيعيّ والمرح هو السرور الزائد عن الحدّ والذي يكون بسبب الغرور.
- المثوى هو مكان الإقامة الدّائم والمستمر، أي المكان الأبديّ والخالد.

الإسلام والفرح

- الإسلام دين الفطرة، ولا يقف أمام فرح الإنسان؛ لأنّه حالة غريزيّة طبيعيّة في الإنسان، وما يقف أمامه الإسلام وينهى عنه هو الفرح والسرور في غير موضعه، ويبيّن القرآن ذلك في:

* فرح جماعة بسبب تخلّفهم عن الجهاد: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ...﴾[١].
* الفرح بنعيم الدنيا المقارن لنسيان الآخرة والغفلة عنها: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢].
* الفرح بسبب امتلاك المال والثروة، فقارون خوطب بقوله: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾.
* الفرح بسبب ما يُصيب المؤمنين من شدائد: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾[٣].
* الفرح بسبب ما له من علم: ﴿...فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ...﴾[٤].

ولو أنّ الفرح كان على أساس الحقّ واللطف الإلٰهيّ وخدمة الناس والوصول إلى الكمالات، فهو فضل مأمور به: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[٥].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨١.
(٢) سورة الرعد: الآية ٢٦.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.
(٤) سورة غافر: الآية ٨٣.
(٥) سورة يونس: الآية ٥٨.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من أن نبيّن للمذنب سبب ما يلحق به من جزاء وعقاب، لكي لا يُطالب بذلك ولتحذير الآخرين من عاقبة بعض الأعمال، ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ﴾.

٢ ـ الفرح في غير موضعه سبب للعذاب الإلٰهيّ، ﴿كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

٣ ـ لا بدّ وأن يكون الفرح على أساس الحقّ وبمدى عدم الغفلة وفي ظلّ التوحيد، ﴿تَفْرَحُونَ... بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾.

٤ ـ الفرح الذي نشهده اليوم والذي يقوم على أساس التعدّي والقتل والسلب والاستهانة بالقِيَم والمقدَّسات سوف ينقلب إلى أغلال وسلاسل وجرّ فاعليه إلى جهنم وإذلالهم وإهانتهم، ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ... بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾.

٥ ـ الفرح إذا كان بالحقّ فهو ممدوح، ولكن ما هو مذموم الفرح الذي يعتمد على الباطل، ﴿تَفْرَحُونَ... بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾.

٦ ـ أبواب جهنّم متعدّدة، ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ﴾.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

إشارات

- بعد أن تعرّضت هذه السورة في ثلاثة مواضع للمجادلة بغير حقّ والتعصّب الذي كان يتميّز به الكفّار(١)، يأمر الله ﷻ نبيّه الأكرم ﷺ بالصبر لأنّ وعد الله حقّ.

- كما يجب تهديد العدو يجب بثّ الطمأنينة في نفوس المؤمنين. فالآيات السابقة كانت لغتها توجيه التهديد للكافرين، وهذه الآية لبثّ الطمأنينة في نفس النبيّ ﷺ ونفوس المؤمنين.

---

(١) سورة غافر: الآيات ٣٥ و٥٦ و٦١.

سلوك النبيّ ﷺ مع الناس

□ كلُّ سلوكٍ للنبيّ ﷺ مع الناس كان مطابقاً للأمر الإلٰهيّ. ولم يكن عن طبيعة شخصيّة وقد اختلف سلوك النبيّ ﷺ باختلاف المواقف والأفراد. ويُمكننا تصنيف الآيات التي تعرّضت لهذا الأمر إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: الآيات التي تتحدَّث عن الأسلوب الهادئ الذي كان عليه النبيّ ﷺ مع الناس.

الطائفة الثانية: الآيات التي تتحدّث عن أسلوبه الشديد مع الضّالين والمنحرفين.

وسوف نذكر هنا نماذج من الآيات من كلتا الطائفتين:

الطائفة الأولى: الآيات التي تتحدّث عن الأسلوب الهادئ للنبيّ ﷺ مع الناس:

- ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾.
- ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].
- ﴿...وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ...﴾[2].
- ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ...﴾[3].
- ﴿...فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ...﴾[4].
- ﴿...ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ...﴾[5].
- ﴿...تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ...﴾[6].
- ﴿فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ﴾[7].
- ﴿...قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ...﴾[8].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.
(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٣.
(٣) سورة النحل: الآية ١٢٥.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٥) سورة فصلت: الآية ٣٤.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٦٤.
(٧) سورة الممتحنة: الآية ١٢.
(٨) سورة التوبة: الآية ٦١.

- ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾[1].
- ﴿...وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ...﴾[2].
- ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا...﴾[3].
- ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[4].

الطائفة الثانية: التي تتحدّث عن الأسلوب الشديد مع أهل الضلال والكفر والعناد.

- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾[5].
- ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[6].
- ﴿...جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾[7].
- ﴿...هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ...﴾[8].
- ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[9].
- ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ...﴾[10].
- ﴿...ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[11].
- ﴿...لَا تَقُمْ فِيهِ﴾[12].
- ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ...﴾[13].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٣.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٦١.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٤٧.
(٥) سورة السجدة: الآية ٣٠.
(٦) سورة القلم: الآيتان ٨ ـ ٩.
(٧) سورة التوبة: الآية ٧٢.
(٨) سورة المنافقون: الآية ٤.
(٩) سورة الأحزاب: الآية ٦٠.
(١٠) سورة التوبة: الآية ٨٤.
(١١) سورة الأنعام: الآية ٩١.
(١٢) سورة التوبة: الآية ١٠٩.
(١٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٨.

التعاليم

١ ـ التذكير بسعة القدرة الإلٰهيّة المتعلّقة بعقاب المجرمين وحسابهم سببٌ لبثّ الأمل ودعامةٌ للصبر، ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ فَٱصْبِرْ﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن يؤدّي التأخير في معاقبة المجرمين إلى الشكّ والترديد، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

٣ ـ كون الوعد الإلٰهيّ حقّاً سببٌ للصبر والثبات، ﴿فَٱصْبِرْ﴾؛ لأنّ، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

٤ ـ النبيّ الأكرم ﷺ كان يتوقّع نزول العذاب على الكفّار في الدنيا، ولكنّ الله ﷻ لا يفعل إلّا لحكمة، ولا تأثير لما كان ينتظره النبي ﷺ على الحكمة الإلٰهيّة، ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ... أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾.

٥ ـ لا حدَّ للصبر على المكاره، ولا بدّ من الصبر إلى آخر العمر، ﴿فَٱصْبِرْ... إِمَّا... نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾.

٦ ـ لا عجلة من الله ﷻ في معاقبة المجرمين، ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ... أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾.

٧ ـ لا يمكن أن يكون عقاب المجرمين عقاباً تامّاً في هذه الدنيا، بل لا بدّ من عقابٍ في العالم الآخر أيضاً، ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ...﴾.

٨ ـ للفعل الإلٰهيّ وقته المحدّد، وكلُّ شيءٍ يقع في وقته، ﴿نُرِيَنَّكَ... أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾.

٩ ـ الموت ليس عدماً، بل هو تحوّل وانتقال، ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾.

١٠ ـ الموت مكتوب على الخلق كافّة حتّى الأنبياء، ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾.

١١ ـ لا مجال لأحدٍ للفرار من يد القدرة الإلٰهيّة، ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

١٢ ـ إحضار الناس في يوم القيامة إجباريّ، ﴿يُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

إشارات

- عدد الأنبياء طبقاً للروايات مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، ولكن القرآن لم يتعرض بالاسم سوى لستة وعشرون منهم وهم:

آدم، نوح، إدريس، صالح، هود، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يوسف، لوط، يعقوب، موسى، هارون، شعيب، زكريا، يحيى، عيسى، داود، سليمان، إلياس، إليسع، ذا الكفل، أيوب، يونس، عزير ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين[1].

- من وسائل التربية والإرشاد بيان تاريخ الأمم الماضية والنماذج الحسنة، وهذا الأسلوب كان معتمداً في القرآن أيضاً.

التعاليم

١ ـ نبيّ الإسلام ﷺ هو خاتم النبيين، (تكرّر قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِكَ﴾، في القرآن الكريم ولم يرد إطلاقاً جملة من بعدك).

٢ ـ ذكر تاريخ الأنبياء سببٌ لبثّ الطمأنينة في نفس النبيّ ومن موجبات الصبر، ﴿فَاصْبِرْ... مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا﴾.

٣ ـ لا بدّ من تلاوة القصة والتدبّر فيها إذا كانت حقّاً وكان المراد منها نشر الحقّ، ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾.

٤ ـ لا ينبغي أن نعتبر سرد القصص دليل ضعفٍ، فالقرآن اعتمد أسلوب ذكر القصص، ﴿قَصَصْنَا﴾.

---

(١) تفسير نمونه.

٥ ـ أعرف الناس بسرد تاريخ الأنبياء هو من بعثهم للناس رسلاً، ﴿قَصَصْنَا... لَّمْ نَقْصُصْ﴾.

٦ ـ ليس القرآن بكتاب تاريخ، وإلا لاستعرض تاريخ كافّة الأنبياء، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ﴾.

٧ ـ المهم في سرد التاريخ الاعتبار لا التّعداد، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ﴾.

٨ ـ لا تنزعج من عدم ذكر اسمك في الإعلام وغيره، فاسم الكثير من الأنبياء لم يذكر، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ﴾.

٩ ـ معجزات الأنبياء خاضعة للإذن الإلٰهيّ لا لهوى الناس وهوسها، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

١٠ ـ من لا يبالي بتاريخ الأنبياء ومعاجزهم فمصيره الخسران، ﴿قَصَصْنَا... يَأْتِيَ بِآيَةٍ... وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

١١ ـ الفصل والحكم النهائيّ بين الأنبياء وأعدائهم في يوم القيامة، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾.

١٢ ـ يوم القيامة هو اليوم الذي يحكم فيه الله ﷻ ويخسر فيه أهل الباطل، ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

١٣ ـ الخسارة الحقيقيّة هي خسارة الآخرة، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾.

١٤ ـ الأسوأ من أهل الباطل أولئك الذين مضافاً إلى اتّباعهم الباطل يسعون لمواجهة الحقّ ومحاربة الأنبياء، ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

إشارات

□ أفضل سبيل لإيجاد المعرفة والشكر وتقويتهما في النفس التفكير والتأمّل بالنعم

الإلٰهيّة، وأفضل سبيل لذلك هو التأمّل في النعم الإلٰهيّة التي تعمّ الناس جميعاً في كل زمان ومكان.

- الأنعام جمع (نِعَم) وهو الإبل في الأساس ولكنّه يُطلق على المجموع من الإبل والبقر والغنم.
- منافع الأنعام لا تقتصر على الركوب والطعام، بل يُنتفع بجلدها وصوفها وحليبها وشحمها، بل حتّى فضلاتها تنفع في السماد أو إيقاد النار. وكذلك تلحظ منافع الحيوانات في إيجاد مصانع الحرير والخيطان والجلد والألبان وغير ذلك.

التعاليم

١ ـ الإنسان محور خلق العالم، ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ... وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾.

٢ ـ لو لم يسخِّر الله ﷻ الأنعام للإنسان لأصيبت حياة الإنسان بالشلل، فعلى الرغم من كونها أشدّ قدرة من الإنسان إلّا أنّ الله ﷻ سخرها لهذا الإنسان، ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ﴾.

٣ ـ أوصى الإسلام بالاستفادة من لحم بعض الأنعام وجعلها غذاء، ولا يرغب الإسلام بأكلها غير مطبوخة، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

٤ ـ لا تنحصر فوائد الأنعام في ما يستفيده الإنسان فقط، (كلمة منافع وردت منكّرة).

٥ ـ الإنسان بحاجة إلى الحيوان، ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾؛ (ولكن الحيوان لا يحتاج إلى الإنسان).

٦ ـ من النِّعم الإلٰهيّة إمكان الركوب والحمل في الفلك، ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

٧ ـ كافّة النِّعم في الرؤية الكونيّة الإلٰهيّة مقدِّمة للمعرفة والعبوديّة لله ﷻ، ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ الإنسان غير الشكور هو الذي يتنعَّم بنِعَم الله ﷻ ويُنكر صاحب النِّعمة، ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

٩ ـ آيات معرفة الله ﷻ في متناول الجميع، ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)﴾

التعاليم

١ ـ السياحة التي تكون لغاية وهدف أمر مرغوب فيه وممدوح، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا... فَيَنظُرُوا﴾.

٢ ـ ممّا ذمّه القرآن الكريم عدم الهجرة في الأرض لأجل اكتساب التجارب والمعارف والعِبَر، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا... فَيَنظُرُوا﴾.

٣ ـ التاريخ مصدر من مصادر المعرفة والاطّلاع على الحقائق، ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ... مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٤ ـ رفض الكفّار لدعوة النبيّ ﷺ كان بسبب اغترارهم بقوّتهم وعددهم، ولذا يذكّرهم القرآن بأنّ من كان قبلهم من الأمم السالفة كانوا أشدّ منهم قوّة، ﴿كَانُوا أَكْثَرَ... وَأَشَدَّ﴾.

٥ ـ من أسباب سقوط وانهيار الحضارات هو رفضها دعوة الأنبياء والتخلّي عن التعاليم الإلٰهيّة، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا...﴾.

٦ ـ لا ينبغي النظر إلى كلّ حضارة وتقدّم على أنّه بسبب امتلاك السعادة والاستقامة، ﴿قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم...﴾.

٧ ـ لا بدّ من حفظ آثار الأمم السالفة لتعتبر بها الأمم القادمة، ﴿فَيَنظُرُوا﴾.

٨ ـ لا ينبغي أن نضع في حسابنا المجتمعات والأفراد، بل لا بدّ أن ننظر إلى العاقبة، ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾.

٩ ـ الكثرة والقوّة لا تمنع وقوع العذاب الإلٰهيّ، ﴿أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾.

١٠ ـ الحضارة البشريّة ليست دائماً في حالة تطوّر، بل إنّ بعض الأمم السالفة كانوا أكثر حضارة وتطوّراً، ﴿قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا﴾.

١١ ـ كلّ ما نملكه لا يُغني شيئاً بل هو هباء أمام العذاب الإلٰهيّ، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾

إشارات

- وجد على مرّ التاريخ من الناس من كان يظنّ في نفسه الاستغناء عن الوحي وعن النبوّات نظراً إلى ما يملكه من علم كان سبباً في حضارته وامتلاكه للثروات، أو بسبب ما كان عليه من عقيدة أسلافه. نعم، الإنسان بمجرّد أن يتعلّم بضع كلمات أو ينال شهادةً ما يُصاب بالغرور.

- تكرّر في القرآن في مواضع ثلاثة قوله: (نصيباً من الكتاب)، أي العلم بشيء من الكتاب، وهذه الجملة استخدمت في وصف من وقَعَ في خطّ الانحراف لعدم امتلاكه العلم الكافي، واقتصاره على شيءٍ من العلم.

ففي آية يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ... ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[١].

وفي آيةٍ أخرى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾[٢].

وفي آيةٍ أخرى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ...﴾[٣].

فالعلم المحدود يجعل الإنسان في معرض الغرور، فيضل ويبيع دينه. وفي هذه الآية يذكر الله تعالى أنّ العلم المحدود يمنع من قبول الحق، ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾.

- يبيّن القرآن أنّ للعلم مراحل ثلاثاً:

أ ـ العلم النافع الذي يكون سبباً للرقيّ المعنويّ للإنسان، كما في قصة موسى والخضر عليهما السلام حيث قال موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٣.
(٢) سورة النساء: الآية ٤٤.
(٣) السورة نفسها: الآية ٥١.
(٤) سورة الكهف: الآية ٦٦.

ب ـ العلم غير النافع، كالعلم بعدد أصحاب الكهف وأنهم ثلاثة كانوا أو سبعة، لأن المهم كان عزمهم على حفظ دينهم[١].

ج ـ العلم المضرّ كالعلم بالسحر، لأجل التفرقة بين المرء وزوجه[٢].

التعاليم

١ ـ بعثة الأنبياء لإتمام الحجّة سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾.

٢ ـ الأنبياء كانوا يذهبون إلى الناس، ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾.

٣ ـ الغرور العلميّ يمنع من القبول بالحقّ، ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾.

٤ ـ العلوم والتجارب البشريّة لا تُغني عن التعاليم الإلٰهيّة ولا تجعل الإنسان غنيًّا عن دعوة الأنبياء، ﴿جَآءَتۡهُم... بِٱلۡبَيِّنَٰتِ... عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾.

٥ ـ الأنبياء حجّة حتّى على خصومهم، ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾.

٦ ـ العذاب الإلٰهيّ لا يكون إلّا بعد إتمام الحجّة، ﴿جَآءَتۡهُم... بِٱلۡبَيِّنَٰتِ... وَحَاقَ بِهِم﴾.

٧ ـ لكلّ نبيّ معجزة، ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾.

٨ ـ لا سبيل للفرار للكافرين في يوم القيامة، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾.

٩ ـ الغرور بالعلم يكون سبباً للاستهزاء بالوعد الإلٰهيّ، ﴿عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ... يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

١٠ ـ إذا كان فرح الإنسان سبباً للصدّ عن سيره في طريق الكمال فهو مذموم، ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ... يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

---

(١) السورة نفسها: الآية ٢٢. (٢) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

١١ ـ من السنن الإلٰهيّة نصرة أنبيائه بإنزال العذاب على الكافرين، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

١٢ ـ عمل الإنسان هو سبب العذاب الإلٰهيّ، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

١٣ ـ الاستهزاء سبب للعذاب العامّ، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

١٤ ـ الفعل المذموم يكون سبباً للعذاب الإلٰهيّ إذا كان دائمًا، ﴿كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

١٥ ـ منطق المنكرين أمام معاجز الأنبياء وأدلّتهم هو الاستهزاء، ﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ... يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

١٦ ـ لا نفع من الإيمان عند الاضطرار، وإن كان إيماناً حقيقيّاً، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾.

١٧ ـ لا يؤمن بعض الناس حتّى يرى العذاب الإلٰهيّ، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾.

١٨ ـ لا أساس للشرك يقوم عليه، والمشركون سوف يكفرون بشركهم، ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

إشارات

□ قَدِمَ إلى المتوكّل رجلٌ نصرانيّ فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يُقيم عليه الحد فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: قد هدم إيمانه شركه وفعله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا، فأمر المتوكل بالكتاب وأرسله إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام وسأله عن ذلك، فلمّا قرأ الكتاب كتب: يُضرب حتّى يموت، فأنكر يحيى بن أكثم وأنكر فقهاء العسكر ذلك، وقالوا:

يا أمير المؤمنين نسأل عن هذا فإنّه شيء لم ينطق به كتاب ولم تجئ به سنّة، فكتب إليه: إنّ فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا وقالوا: لم تجئ به سنّة ولم ينطق به كتاب فبيِّن لنا لِمَ أوجبت عليه الضرب حتّى يموت؟ فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فأمر به المتوكل فضرب حتّى مات[1].

التعاليم

١ ـ في حالات الشدّة والاضطرار تبرز فطرة الإنسان ويُسرع الكفار إلى الإيمان؛ ولكنّ إيمانهم هذا لا ينفعهم لأنّه بعد البأس، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾.

٢ ـ لا بدّ أن يكون الإيمان عن اختيار لا عن اضطرار وبأس، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾.

٣ ـ نقل مصير الأمم الكافرة ينفع لاعتبار الأمم اللّاحقة، ﴿قَالُوٓا ءَامَنَّا... فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾.

٤ ـ العقاب الإلٰهيّ والثواب يسير وفقاً للقانون، ﴿رَأَوْا بَأْسَنَا... سُنَّتَ ٱللَّهِ...﴾.

٥ ـ من السنن الإلٰهيّة أن لا فائدة من الإيمان الاضطراريّ، ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى...﴾؛ (سنّة الله تجري على كافة الأفراد والمجتمعات)، ﴿...وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2].

٦ ـ في لحظة الموت يستبين للإنسان خسرانه، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾.

٧ ـ الإيمان الاضطراريّ الذي لا يبقى معه مجال لدى الإنسان للعمل هو الخسران، ﴿قَالُوٓا ءَامَنَّا... وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

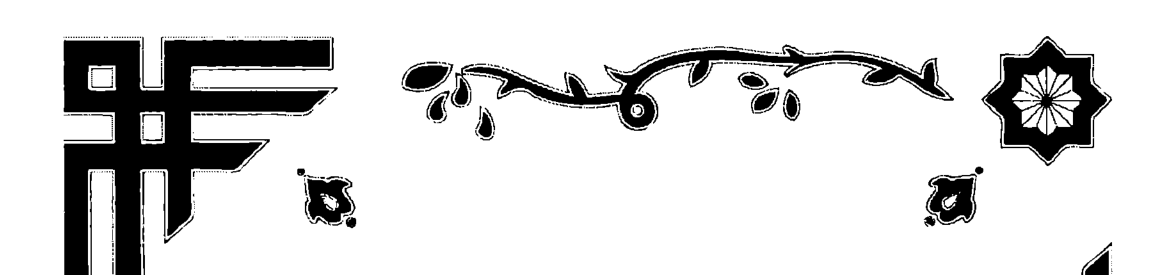
---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٣٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦٢؛ سورة فاطر: الآية ٤٣؛ سورة الفتح: الآية ٢٣.

٨ ـ ورد قبل سبع آيات قوله تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، وهنا يختم بقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وبهذا يعلم بأنّ الكفّار هم أهل الباطل، وأنّ أهل الباطل هم الكفّار.

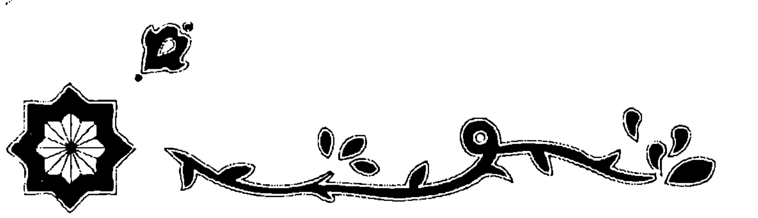
«والحمد لله ربّ العالمين»

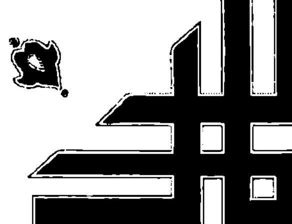


سُورَةُ فُصِّلَتْ

السورة: ٤١ الجزء: ٢٤ ـ ٢٥

عدد الآيات: ٥٤





ملامح سورة فصلت

سورة فصّلت مكيّة وآياتها أربع وخمسون. واسمها مأخوذ من الآية الثالثة ويُطلق عليها تسمية (حم السجدة)، وذلك لأنّها تبدأ بـ ﴿حمٓ﴾ وهي السورة الأولى التي تجب فيها السجدة من بين السور الأربع التي فيها سجدة واجبة.

تتحدّث آيات هذه السورة عن البعث، وتاريخ الأمم السابقة، وعظمة القرآن، وآيات القدرة الإلٰهيّة في الوجود.

ورد في الحديث أنّ النبيَّ ﷺ كان لا ينام قبل أن يقرأ تبارك وحم السجدة[١].



(١) تفسير روح المعاني.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾

إشارات

- المراد من كلمة أنزلنا، النزول الدفعيّ، والمراد من كلمة ﴿تَنزِيلٌ﴾ النزول التدريجيّ، ويجمع بين الإنزال والتنزيل بأنه ربما تكون المضامين القرآنيّة قد أُنزلت على قلب النبيّ الأكرم ﷺ في ليلة القدر دفعةً واحدة، ولكنّ ألفاظها أُنزلت بالتدريج[١].
- متى تعرّضت آيات القرآن الكريم لمسألة نزول القرآن اتّسمت لغتها بالتربية، الحسم، العزّة، الحكمة والرحمة.
  - ـ ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢].
  - ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾[٣].
  - ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[٤].
  - ـ ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٥].
  - ـ ﴿...تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٦].

التعاليم

١ ـ نزل القرآن تدريجاً وفي مواطن مختلفة، ﴿تَنزِيلٌ﴾.

---

(١) تفسير راهنما.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٨٠ والحاقة: الآية ٤٣.

(٣) سورة السجدة: الآية ٢.

(٤) سورة الجاثية: الآية ٢؛ سورة الاحقاف: الآية ٢.

(٥) سورة فصلت: الآية ٢.

(٦) السورة نفسها: الآية ٤٢.

٢ ـ يذكر القرآن أنّ نزوله التدريجيّ والهدف من نزوله يرجع إلى صفة الرحمة الواسعة والأبديّة لله ﷻ، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٣ ـ لقد كان القرآن في زمان النبيّ الأكرم ﷺ موجوداً بشكل كتاب، ﴿كِتَٰبٌ﴾.

٤ ـ قد يكون من الضروريّ تعظيم وتبجيل شخصٍ ما أو كتاب ما (فصلت، آياته، عربيّاً، نذيراً، بشيراً، كلها صفات للقرآن).

٥ ـ بيَّن القرآن في آياته كلَّ ما يكون مؤثِّراً في هداية الناس، (كالأوامر والنواهي، والقصص والعبر، والاستدلالات، والأمثال، وبيان النعم، ومستقبل البشر، وأحداث يوم القيامة، وأسباب العزة وأسباب السقوط، وغير ذلك) بأسلوب واضح وشفاف وبيِّن يخلو من الإبهام، ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾.

٦ ـ مضامين القرآن وألفاظه من الله ﷻ، ﴿تَنزِيلٌ... قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾.

٧ ـ إنّما يعرف أسلوب القرآن وما فيه من كان عارفاً ومحيطاً باللغة العربيّة، ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ (لعلّ المراد من يعلمون العلم باللغة العربيّة).

٨ ـ القرآن أُنزل للناس كافّة: ﴿...هُدًى لِّلنَّاسِ...﴾[1]؛ ولكن إنّما ينتفع به أهل العلم والتقوى ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ... هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

٩ ـ العلم ليس هو معرفة القراءة والكتابة فقط، بل هو فهم الحقيقة، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ (بملاحظة أنّ الكثير ممّن اهتدى في صدر الإسلام لم يكن يعرف القراءة والكتابة).

١٠ ـ الخوف والرجاء يجب أن يقترنا دائماً، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

١١ ـ الأكثريّة ليست دليلاً على الحقانيّة، ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾.

١٢ ـ سبب إعراض الناس عن القرآن جهلهم به، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ... فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩١.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ۝٥﴾

إشارات

- الأكنّة جمع كنان وهو قطعة القماش التي يلفّ بها الشيء[1]. والوقر بمعنى الثقل في السمع.
- للكفّار من دعوة النبيّ ﷺ والقرآن الكريم مواقف خمسة هي:

أ ـ الإعراض والابتعاد: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾، (كما في الآية السابقة).

ب ـ عدم قابليّة القلب لقبول الحقّ: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾.

ج ـ عدم الاستماع للحقّ: ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾.

د ـ الإعلان عن وجود المانع (أي حجاب حبّ الذّات، وعبادة الدنيا، وغير ذلك): ﴿بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾.

هـ ـ الإصرار على ما هم عليه: ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ﴾.

التعاليم

١ ـ فعل الله ﷻ لطف ونزول الوحي من مظاهر الرحمة الإلٰهيّة، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ ولكن موقف الكفّار وأسلوبهم هو العناد والإعراض، ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾.

٢ ـ لو كان حجاب القلب واحداً لأمكن إنذاره، ولكن متى تراكمت الحجب على القلب فإنّ ذلك يجعل الإنذار مستحيلاً؛ (أكنّة وردت بصيغة الجمع).

٣ ـ إذا لم يكن المخاطب قابلاً للهدى، فلن يكون في الوحي والرحمة الإلٰهيّة والكتاب السماويّ والبشارة والإنذار نفعٌ له، (بملاحظة هذه الآية والآية السابقة).

---

(١) مفردات الراغب.

٤ ـ الشرط الأوّل لقبول الحقّ الاستماع إلى الكلام الحقّ، وهذا ما كان المعاندون يرفضونه، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ﴾.

٥ ـ دعْ موسى ودينه، ودعْ عيسى ودينه، هذا هو كلام من غمرت حجب التعصّب والهوى قلبه، ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧﴾

إشارات

- بملاحظة أنّ حكم الزكاة قد أُنزِلَ في السنة الثانية للهجرة في المدينة المنورة، وحيث كانت هذه السورة مكيّة، فالمراد من الزكاة هنا الإنفاق الماليّ.

ورد في بعض الروايات أنّ النبيّ ﷺ قال: ما خان الله أحدٌ شيئاً من زكاة ماله إلّا مشرك بالله[١]، من منع قيراطاً من زكاة ماله فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة. من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهوديّاً وإن شاء نصرانيّاً[٢].

- يصف القرآن الكريم عدم المبالاة بالأوامر الإلٰهيّة بالشرك والكفر:

ففي مسألة ترك الحجّ نقرأ قوله تعالى: ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ...﴾[٣]؛ وورد في الكافي: قلت: فمن لم يحجّ فقد كفر. فقال: لا، لكن من قال ليس هذا هكذا فقد كفر. وطبقاً لهذه الرواية فإنّ ترك الحجّ ليس كفراً، بل إنكار وجوب الحجّ كفر[٤].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ في ترك الصلاة أنه قال: «**ما بين المسلم وبين الكافر إلّا أن يترك الصلاة الفريضة متعمّداً**»[٥].

ونقرأ في الآية المباركة حول ترك الزكاة قوله تعالى: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٱلَّذِينَ

---

(١) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٢٩.
(٢) ميزان الحكمة، مادة زكاة.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٧.
(٤) تفسير البرهان.
(٥) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٥٨.

لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

❑ الزكاة من الموارد الماليّة للدولة الإسلاميّة وترك الزكاة يعني عدم الاعتراف بالنّظام التوحيديّ وهو الشرك.

التعاليم

١ ـ مهما اشتدّت الصعوبات فلا ينبغي لنا أن نتخلّى عن الهدف أو نتراجع عنه، (فالمشركون بعد أن مارسوا تهديدهم بقولهم: ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾، وكان الأمر الإلٰهيّ بأن يواجههم بالقول بأنه ليس مسؤولاً عن عقابهم، بل مسؤوليته تقتصر على بيان الوحي)، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ...﴾.

٢ ـ الدعوة إلى التوحيد على رأس ما يدعو إليه الأنبياء، ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

٣ ـ الله ﷻ واحد، فاثبتوا في خطّ الله، ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾.

٤ ـ تدارك المستقبل بالثبات على خطّ التوحيد، والماضي بالاستغفار وطلب العذر من ساحة الحقّ تعالى، ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾.

٥ ـ ترك أداء الزكاة وعدم الاهتمام بالفقراء بين الشرك والكفر، وهو خطرٌ عظيم، ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

٦ ـ الكفر بالمعاد من أسباب ترك الزكاة، ﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

٧ ـ أساس ترك الزكاة إمّا التعلّق بالدنيا والذي هو نوع من الشرك، أو عدم التصديق بيوم القيامة وهو كفر، ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ... كَٰفِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾

إشارات

❑ ممنون بمعنى المقطوع أو ما كان محلاً للمنّة.

❑ لاحظنا في الآية الخامسة كيف أنَّ الكفّار بيّنوا عنادهم وإصرارهم على الكفر

بخمس عبارات متنوّعة فقالوا: قلوبنا في أكنّة، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب... وفي هذه الآية يُخاطب الله ﷻ نبيّه آمراً إيّاه بأن لا يعتني بما يقوله هؤلاء وأن يستمرّ بما يُثيره من أسئلة وما يأتي به من أدلّة: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾.

- المراد من خلق الأرض في يومين هو خلقها على مرحلتين، فقبل خلق الأرض والسماء ووجود الليل والنهار واليوم والشهر والسنة لا معنى لليومين حتّى يُقال إنّ الله خلق الأرض في يومين.

- لا يصدر الفعل من القدرة الإلٰهيّة إلّا عن حكمة. فمع قدرة الله ﷻ على خلق السماء والأرض وما بينهما بإرادة واحدة ـ وقد تحدّث الله ﷻ عن هذه القدرة في مواضع عديدة بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ـ ولكنّ خلق السموات والأرض تمّ على مراحل، وهذا يدلُّ على أنّ استعمال القدرة لا بدّ من أن يكون طبقاً للمصلحة، وأنّ المصلحة كانت في خلقهما على مراحل.

سؤال:

ورد في سبعة موارد من القرآن الكريم أنّ الخلق كان في ستّة أيّام، وفي أربعة موارد منها تعرّض لخلق السماء والأرض[١]. وفي ثلاثة منها لخلق الأرض والسماء وما بينهما[٢]. نعم، ما يمكن أن يظهر من الآيات الثلاث الثانية أنّ الآيات الأربع الأولى هي أيضاً ترتبط بخلق السماء والأرض وما بينهما. وههنا سؤال وهو أنّه في هذه الآية ورد أنَّ الأرض خُلقت في يومين، وفي الآية ١٢ ورد أنّ السماء خُلقت في يومين. وفي الآية ١٠ ورد أنّ تقدير الأقوات كان في أربعة أيّام فيُصبح المجموع ثمانية أيام وهذا يتنافى مع خلق السموات والأرض في ستّة أيّام!

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤؛ سورة يونس: الآية ٣؛ سورة هود: الآية ٧؛ سورة الحديد: الآية ٤.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٩؛ سورة السجدة: الآية ٤؛ سورة ق: الآية ٣٨.

الجواب:

الخلق شيء وتقدير الأقوات والأرزاق شيء آخر، ولذا كان الجمع بينهما وجعلهما ثمانية أيّام غير صحيح، بل هذه الآيات أشارت فقط إلى أربعة أيام من مجموع الستّة أيّام، وأمّا اليومان المتبقّيان فيرتبطان بخلق ما بين السماء والأرض، أو بعض الأمور الأخرى التي سكتت عنها هذه الآيات.

التعاليم

١ ـ لا بدّ إلى جانب تهديد الكفّار من الثناء على المؤمنين، ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ... إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.

٢ ـ لا انفصال بين الإيمان والعمل الصالح، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٣ ـ الإيمان يسبق العمل، ﴿ءَامَنُوا﴾ وردت قبل قوله: ﴿وَعَمِلُوا﴾.

٤ ـ من يعمل صالحاً في هذه الدنيا دون منّة، سوف يَلْقى ثوابه في الآخرة دون منّة، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

٥ ـ لا يمنُّ الله ﷻ على أهل الجنّة على الرغم من النِّعم العظيمة التي يُغدقها عليهم، (كم هو قبيح أن نمنّ على أحد بسبب إحسان محدود وموقّت)، ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

٦ ـ أفضل طريق لدعوة الكفّار، بيان اللطف الإلٰهيّ، ﴿لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ...﴾.

٧ ـ خلق الأرض كان تدريجيّاً وعلى مرحلتين، ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾.

٨ ـ كيف تنسبون الشريك لله ﷻ مع أنّه لم يكن له شريك في خلق الأرض، ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾.

٩ ـ الخالق هو ربّ العالمين الواحد، ﴿خَلَقَ... رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

إشارات

- رواسي جمع راسية وهو الجبل الثابت. «سواء» بمعنى التساوي والمراد من: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أنّ الأقوات قدّرت بحسب الحاجات.
- طوع بمعنى عن رغبة، وكره بمعنى دون رغبة.
- إذا ألحقت كلمة استوى بحرف الجر (على) كان المراد السلطة والسيطرة، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[1]، ومتى ورد بعد هذا الفعل حرف (إلى) فالمراد هو التوجّه والقصد، كما في هذه الآية[2].
- للخلق مراحل تكامليّة:

  الأوّل: الخلق: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾.

  الثاني: الاستقرار والتثبيت: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾.

  الثالث: الرزق والمنافع في الأرض: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾.

  الرابع: تأمين حاجة الخلق كافّة: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾.
- الأرض والجبال باب من أبواب البركة، فبعض فوائد الأرض هي: توفير المواد الغذائيّة، وجود النبات، تصفية الماء، دفن الموتى، تزرع حبّةً فتُنبت مائة حبّة، طمر الأوساخ، الينابيع التي تُعطي الماء الزلال، وفي الجبال أيضاً بركات من قبيل: المعادن، حفظ الثلوج، توفير حجر البناء، استقرار الأرض وثباتها، التحكّم بالأعاصير والرياح، علامة للمسافرين يهتدون بها، وغير ذلك.
- ذكر بعضهم أنّ المراد من أربعة أيّام هي الفصول الأربعة، وذكر أن تغيّر الفصول مؤثّر في توفير رزق المخلوقات.

---

(١) سورة طه: الآية ٥. (٢) مفردات الراغب.

□ **سؤال**: إذا كان الرزق متوافراً للجميع، فلماذا هذا الجوع؟

الجواب: ورد في سورة إبراهيم من الآية ٣٢ إلى الآية ٣٤ أنّ الله ﷻ أنزل من السماء ماء، فأخرج بها الزرع والنبات، وسخّر الليل والنهار وسخّر الأنهار والفلك التي تجري في البحر، وأعطى الإنسان من كلّ ما سأله، وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها، ولكن سوء الإدارة من قبل الإنسان والتوزيع الظالم والإسراف والتبذير وفعل الظلمة هو السبب في ما يصيب الناس من بلاء: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

التعاليم

١ ـ وجود الجبال ليس صدفةً، بل مخطّط له، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾.

٢ ـ تقدير الرزق وجعل البركة في الأرض هو من شؤون الربوبيّة، ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ... وَبَٰرَكَ فِيهَا... وَقَدَّرَ فِيهَآ﴾.

٣ ـ قدّر الله ﷻ لكافّة المخلوقات التي تعيش في هذه الأرض رزقها على أساس الحكمة وبقدر الحاجة، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾

٤ ـ تقدير الرزق كان قبل الخلق، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾.

٥ ـ لكافّة الموجودات على هذه الأرض حقٌّ متساوٍ في تأمين حاجاتها، ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾.

٦ ـ لا بدّ من السعي لنيل الرزق، (كلمة «للسائلين» تدل على الطلب، والطلب ليس هو السعي وبذل الجهد في سبيل ذلك).

٧ ـ كانت السماوات قبل الخلق بصورة دخان، ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾.

٨ ـ ورد في آيات سابقة أنّ الكفّار قالوا لرسول الله ﷺ: في قلوبنا أكنّة وبيننا وبينك حجاب، وفي آذاننا وقر؛ ولكن في هذه الآية يصف السموات والأرض بإطاعتهما الأمر الإلٰهيّ، ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

٩ ـ للوجود شعور وهو يقع محلاً للخطاب، ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

إشارات

- على الرغم من قدرة الله ﷻ على خلق كلّ شيءٍ بإرادةٍ واحدة، ولكنّ حكمته اقتضت أن يخلق السموات على مرحلتين.
- تعرّضت هذه الآية للحديث عن النجوم ضمن أكثر من عنوان:
  - زينة السماء: ﴿وَزَيَّنَّا﴾.
  - حفظ السماء: ﴿وَحِفْظًا﴾.
  - ضوء السماء: ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾.
- ورد في سورة الصافات قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[١].
- ورد عن رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض[٢].

التعاليم

١ ـ جعل الله ﷻ السموات على سبع طبقات، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾.

٢ ـ لا فرق بالنسبة للقدرة الإلٰهيّة بين خلق الأرض وخلق السموات بسبع طبقات، فخلقهما كان على مرحلتين أيضاً، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ... فِى يَوْمَيْنِ﴾.

٣ ـ على الرغم من أنّ لكلّ سماء أمرها وخصوصيّتها ولكن مصدر الجميع واحد ﴿وَأَوْحَىٰ﴾.

٤ ـ برنامج كلّ سماء منفصل عن الأخرى، (أمرها يعني الأمور المرتبطة بتلك السماء).

---

(١) سورة الصافات: الآيات ٦ ـ ٩.

(٢) تفسير كنز الدقائق.

٥ ـ كلُّ ما اكتشف من نجوم السماء، وما سيكتشف بعد الآن هو من زينة السماء الدنيا، وأمّا السموات الأخرى فلا خبر لدينا عنها، ﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾.

٦ ـ النجوم سبب لحفظ السموات، ﴿وَحِفْظًا﴾.

٧ ـ لا تخضع المقدّرات الإلهية لأيٍّ كان، ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾.

٨ ـ الوجود مظهرٌ من مظاهر العلم والقدرة الإلٰهيّة، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

٩ ـ التقدير الإلٰهيّ يتسّم بالحكمة والعدل، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

إشارات

□ من الحجج التي تمسّك بها الكفّار والمشركون في رفضهم دعوة الأنبياء قولهم: إنّ الله ﷻ لو أراد هدايتنا لأرسل إلينا ملكاً رسولاً، لا إنساناً مثلنا.

مع أنّ الله ﷻ أرسل النبيّ من البشر ليكون لهم قدوة وأسوة ولكي يدرك ما يحتاجون إليه.

التعاليم

١ ـ لا بدّ للقادة الربّانيين من توقّع انحراف الناس، والتفكير في علاج ذلك، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾.

٢ ـ الإنذار ضروريّ لإصلاح المتكبّر، ﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾.

٣ ـ كلُّ بشارة أو إنذار جاء به الأنبياء فهو من عند الله ﷻ، ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾.

٤ ـ العقاب الإلٰهيّ لا يقتصر أمره على الآخرة، ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ...﴾.

٥ ـ التاريخ يسير على سننٍ ثابتةٍ، ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ...﴾.

٦ ـ العذاب الإلٰهيّ يأتي بعد إتمام الحجّة، ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾.

٧ ـ ينبغي للأنبياء والدعاة إلى الله ﷻ أن يكون لهم حضورهم الفاعل في المجتمع وأن يبذلوا جهودهم من كلّ جانب، ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾.

٨ ـ تتابع إرسال الأنبياء دليل على العناية الإلٰهيّة بهداية الناس، ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ...﴾.

٩ ـ الدعوة إلى التوحيد على رأس دعوة الأنبياء، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

١٠ ـ لكلّ مستكبرٍ مبرِّر يتمسّك به لتوجيه انحرافه، ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا...﴾.

١١ ـ رفض دعوة الأنبياء كانت مع الإصرار، ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾، (تكرّر أنواع التأكيد).

١٢ ـ رفض الكفّار كان لدين الله ﷻ وليس لشخص النبيّ، ﴿بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

إشارات

- سكن قوم عاد جنوب جزيرة العرب، وكانوا يمتازون بالقوّة والقدرة على القتال، وكانت لديهم قلاع محصّنة، وأبنية عالية، وهذا هو سبب غرورهم واستكبارهم[1].

- إنّما تكون القوّة والقدرة محلًّا للمدح والثناء متى أدرك الإنسان أنّها من الله وفي سبيل الله ﷻ.

فالنبيّ لوط ؏ تمنّى أن تكون له قوّة ليدفع بها فساد قومه: ﴿...لَوْ أَنَّ لِى

(١) تفسير نمونه.

بِكُمْ قُوَّةً...﴾[١]، كما أوصى الإسلام بالإعداد للقوّة لأجل قذف الرعب في قلوب العدو: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...﴾[٢]. وأمّا لو كانت القدرة والقوّة سبباً للغرور والتكبّر فإنّ عاقبتها سوف تكون عاقبة قوم عاد.

التعاليم

١ ـ لا بدّ في سرد التاريخ من الاهتمام بما يكون درساً وعبرة، (لم يتحدّث القرآن الكريم عن عدد قوم عاد وأسماء قبائلهم ونحو ذلك)، ﴿فَأَمَّا عَادٌ...﴾.

٢ ـ الاستكبار سببٌ للهلاك، ﴿صَاعِقَةِ عَادٍ... فَاسْتَكْبَرُواْ﴾.

٣ ـ تكبّر الإنسان الضعيف أمام الله ﷻ القهّار لن يكون بحقّ أبداً، ﴿اسْتَكْبَرُواْ... بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

٤ ـ سبب التكبّر الغرور بما لدى المتكبّر من قدرة وعدم وجود منافس، ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾.

٥ ـ علاج التكبّر ومحاربة تفضيل الذّات النظر إلى القدرة الإلٰهيّة، ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً... الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ﴾.

٦ ـ القدرة ليست دليلاً على الحقّانيّة، ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً...﴾.

٧ ـ يزول التكبّر بتفكير الإنسان في خلقته، وضعفه عند صغره وحاجته اليوم، ﴿الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ﴾.

٨ ـ الاستمرار والإصرار على الكفر والعناد هو سبب هلاك الكفّار، ﴿كَانُواْ... يَجْحَدُونَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

إشارات

❑ ورد في سورة الحاقة من الآية السادسة فما بعدها بيان قصة قوم عاد وأنّهم

---

(١) سورة هود: الآية ٨٠. (٢) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

أُهلِكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية مسمومة وقد سلَّطها الله ﷻ عليهم سبعة أيّام وثمانيَ ليالٍ حسوماً، لم تُبقِ لهم من باقية.

التعاليم

١ ـ الظواهر الطبيعيّة تعمل تحت الأمر الإلٰهيّ، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾.

٢ ـ فعل الإنسان هو سبب نزول العذاب الإلٰهيّ، ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ... فَأَرْسَلْنَا﴾.

٣ ـ الظاهرة التي تكون مفيدة وبنّاءة تتحوّل بإرادة من الله ﷻ إلى ظاهرة مدمِّرة وعذاب، ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾.

٤ ـ العذاب الإلٰهيّ يأتي أحياناً دفعةً واحدةً ولا يستغرق سوى لحظة، وأخرى يتمّ بشكل تدريجيّ وفي أكثر من يومٍ وليلة، ﴿فِي أَيَّامٍ﴾.

٥ ـ تقع الحوادث الحسنة والسيّئة على مرّ الأيّام والليالي، وهذا هو السبب في تقسيم الأيّام والليالي إلى مباركة ونحسة، ﴿أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾.

٦ ـ عذاب الدنيا بالقياس إلى عذاب الآخرة هو في حدّ التذوّق فحسب، ﴿لِنُذِيقَهُمْ﴾.

٧ ـ عاقبة الاستكبار المذلّة، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا... عَذَابَ الْخِزْيِ﴾.

٨ ـ من أطلق شعار: ﴿...فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[1]، لأجل مواجهة الأنبياء، سوف يُصاب بالخزي في الدنيا والآخرة، ﴿الْخِزْيِ... أَخْزَىٰ﴾.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

إشارات

- النبيّ الذي أرسله الله ﷻ إلى ثمود هو صالح ﵇. وكانوا يُقيمون في منطقةٍ بين المدينة والشام يُطلق عليه (وادي القرى)، وكانوا يملكون مؤهّلات جسديّة وأراضيَ زراعيّة.

(١) سورة فصلت: الآية ١٤.

□ ورد في بعض الآيات أنّ عذاب قوم ثمود كان صاعقة من السماء، وورد في بعض آخر من الآيات أنّه كان الزلزلة، ويمكن أن يكونا معاً ﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ﴾.

التعاليم

١ ـ التاريخ أفضل درس للاعتبار، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ...﴾.

٢ ـ السنّة الإلٰهيّة قضت بهداية الناس، ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾.

٣ ـ يكفر بعض الناس دون تأمّل أو تفكير؛ بل بشكل فوريّ ومباشر، ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟﴾، (حرف الفاء دليل استعجالهم الكفر).

٤ ـ الإنسان حرٌ ومختار، ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ...﴾.

٥ ـ الكفر عمى القلب، ﴿ٱلْعَمَىٰ﴾.

٦ ـ الكفر السريع موجب للعذاب السريع، ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟... فَأَخَذَتْهُمْ﴾.

٧ ـ لا يعذّب الله ﷻ أحداً إلّا بعد إتمام الحجّة عليه، ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ... فَأَخَذَتْهُمْ﴾.

٨ ـ إهانة الأنبياء في هذه الدنيا مستتبعٌ للهوان في الآخرة، ﴿عَذَابِ ٱلْهُونِ﴾.

٩ ـ الأسوأ من الغفلة والكفر الاستمرار عليهما، ﴿كَانُوا۟...﴾.

١٠ ـ رحمة الله أو عذابه نتيجتان مترتّبتان على عمل الإنسان، ﴿يَكْسِبُونَ﴾.

١١ ـ الإيمان والتقوى سرُّ النجاة، ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

١٢ ـ لا يحتاج الإيمان إلى تجديد، ولكن التقوى تستمرّ في كلِّ لحظةٍ وبالنسبة لكلِّ تفكير، عمل وكلام وعزم. («آمنوا»، فعل ماضٍ، ولكن «يتّقون» وردت بصيغة المضارع).

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

□ يوزعون، بمعنى الحبس، أي يحبس أول شخص منهم حتى يصل الأخير منهم، ثم يوزّعون في جهنم.

التعاليم

١ ـ الاستجواب في يوم القيامة سبب للإنذار والتربية، (يأمر القرآن الكريم النبي بتذكير الناس بذلك اليوم)، ﴿وَيَوْمَ...﴾.

٢ ـ من يُحشر إلى جهنّم هو من ثبتت عداوته لله ﷻ ولدينه، ﴿يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

٣ ـ يصير الإنسان عدوًّا لله ﷻ بسبب عناده وإصراره، ﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ مضافاً إلى ما ينال الكفّار من عذاب الدنيا، فإنّهم سوف يعذَّبون في جهنّم، ﴿يُحْشَرُ... إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

٥ ـ يمنع أهل جهنم من التفرّق والفرار في طريقهم إلى جهنّم، ﴿يُوزَعُونَ﴾.

٦ ـ أعضاء بدن الإنسان مدرِكة؛ ولو لم تكن مدرِكة لم يكن أيُّ معنىً لشهادتها في يوم القيامة، ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ...﴾.

٧ ـ المعاد جسمانيّ، ﴿سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ﴾.

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

إشارات

- تتعدّد الشهود في يوم القيامة، فمنهم: الله ﷻ، والأنبياء، والأرض، والزمان، والملائكة، وأعضاء الجسم، وغيرها، وقد وردت بذلك الآيات والروايات.
- للوجود نوع من النطق ﴿أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، وتتحدّث آيات القرآن الكريم عن جهنّم حيث: ﴿...وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[1]. كما تتحدّث عن السماء والأرض حيث: ﴿...قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[2].

---

(١) سورة ق: الآية ٣٠.
(٢) سورة فصلّت: الآية ١١.

التعاليم

١ ـ في القيامة مشهد من جدال وخصام الإنسان مع ذاته، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾.

٢ ـ لعلّ ارتكاب الإنسان للذنوب بجلدِ بدنه أكثر من غيره من الأعضاء. (قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾، ولم يقل: «قالوا لأبصارهم» أو غير ذلك....

٣ ـ شهادة أعضاء البدن تكون على الإنسان دائماً ولا تشهد له. (لم يتعرض القرآن للحديث عن شهادة الاعضاء إلّا ما كان على الذنوب)، ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾.

٤ ـ يعترف الكفّار بأصل ارتكابهم الذنب، ولكنّهم يُظهرون اعتراضهم على شهادة الأعضاء عليهم، ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾.

٥ ـ الشهادة والنطق من قبل الأعضاء دليل علم هذه الأعضاء بما فعله هذا الإنسان، ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ﴾.

٦ ـ من له القدرة على الخلق له القدرة على جعل الأشياء تنطق، ﴿أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾.

٧ ـ الخلق الأوّل خير دليل على إمكان المعاد، ﴿خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ يُقدِم المجرمون على ارتكاب الذنب بسبب غفلتهم عن شهود أعضائهم لهم، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ...﴾.

٢ ـ لا شكّ ولا ترديد في شهود أعضاء البدن في الدنيا وشهادتها في الآخرة؛ وإن غفل المجرمون عن ذلك، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ...﴾.

٣ ـ الإيمان بأنّنا في محضر الله ﷻ هو أهم سبب لهداية الإنسان إلى طريق الهدى، ﴿ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

٤ ـ من خلال الدليل وبطلب المدد من الله ﷻ لا بد من أن نحكِمَ عقيدتنا وأن نحترز عن سوء الظنّ بالله ﷻ، ﴿ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾.

٥ ـ سوء الظنّ بمن نخضع لربوبيّته وتدبيره قبيح للغاية، ﴿ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾.

٦ ـ سوء الظنّ بالله ﷻ سبب لسقوط الإنسان وخسرانه، ﴿ظَنَنتُم... أَرْدَىٰكُمْ﴾.

٧ ـ لا اعتبار ولا قيمة للظنّ في المسائل العقائديّة، ﴿ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾.

﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

❑ المثوى هو محل الإقامة الدائم. و﴿يَسْتَعْتِبُوا﴾ من الاستيعاب بمعنى طلب العذر والرضا.

التعاليم

١ ـ لا أثر لصبر الكفّار أو صراخهم في نار جهنّم، ﴿يَصْبِرُوا... يَسْتَعْتِبُوا﴾.

٢ ـ لا تنفع التوبة وطلب المغفرة إلا إذا تحقّقت في هذه الدنيا، ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.

٣ ـ ينال العفوُ بعضَ الناس في يوم القيامة ولا ينال بعضاً آخر، ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات

❑ قيّضنا بمعنى الإحاطة والستر. ويُطلق على الجلد الذي يحيط بالبيضة (القيض).

القرناء جمع قرين وهو الجليس.

التعاليم

١ ـ رفقة السوء تغمر شخصيّة الإنسان وتفكيره، ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾.

٢ ـ رفيق وجليس السوء نوع من العذاب الإلٰهيّ، ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾.

٣ ـ رفيق السوء كالشيطان يزيّن للإنسان فعل السوء: ﴿...زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ...﴾[1]، ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم﴾.

٤ ـ يستغلّ المنحرفون الحاجات الطبيعية والغريزيّة لدى الإنسان بشكل سيء، (فالإنسان بفطرته يعشق الجمال، ويستغل أصحاب السوء ذلك، فيزيّنون له القبيح ويحسّنونه له لكي يقبل به)، ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

٥ ـ يترتّب على تزيين المعاصي والذنوب أن لا يُقدِم الإنسان على التوبة من ذنوبه، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، ونظراً إلى ما يراه الإنسان من حسن الفعل اليوم فإنّه يتعلّق بسلوكه المنحرف، ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

٦ ـ يسقط الإنسان خطوة بعد خطوة: فبداية يقوم رفقة السوء بتزيين العمل السيّئ له، ثمّ يستحقّ العذاب الإلٰهيّ، ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾.

٧ ـ من السنن الإلٰهيّة الثابتة والدائمة التهديد والتحذير والعقاب، ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾.

٨ ـ الجنّ مخلوق مكلّف ومختار ولذا يقع عليه العذاب الإلٰهيّ ويُصيبه الموت والفناء، ﴿خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾.

٩ ـ رفيق السوء سبب للخسران الذي يلحق بالإنسان، ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ... إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ﴾.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٨.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٢٨﴾

إشارات

❑ المراد من قوله: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾، فعل كلّ ما يوجب التشويش عليه من الصفير، والتصفيق، والضوضاء واختراع الخرافات لأجل إيجاد حالة التشكيك والانحراف عن طريق الحقّ.

التعاليم

١ ـ بثّ الشائعات ضدّ الدّين عادة مستمرّة من قِبَل الكافرين، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ﴾.

٢ ـ من لا يملك كلاماً منطقيًّا، يمنع الناس من الاستماع للكلام المنطقيّ ﴿تَسۡمَعُواْ...﴾.

٣ ـ الاستماع للقرآن الكريم له جاذبيّة وتأثير خاصّان، وهذا ما يخشاه أعداء الدين، ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾.

٤ ـ كان النبيّ ﷺ دائم الانشغال بهداية الناس وهذا ما كان يزعج الكفّار، ﴿لَا تَسۡمَعُواْ﴾.

٥ ـ يمنع أعداء الدِّين الناس من الاستماع للقرآن، كما أنّهم يعملون في حربهم على بثّ اللغو والباطل لأجل التشويش عليه، ﴿لَا تَسۡمَعُواْ... وَٱلۡغَوۡاْ﴾.

٦ ـ اللغو أداة عمل الكفّار، ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾.

٧ ـ إيجاد اللغو في الكلام الحقّ هو من عمل الكفّار، ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾.

٨ ـ يسعى الكفّار لفعل كلّ ما يُحتمل أن يكون سبباً لانتصارهم ضدّ الدّين، ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾.

٩ ـ يَعِدُ الكفّار أتباعهم بالنصرة على الدوام، ﴿تَغۡلِبُونَ﴾.

١٠ ـ العذاب الشديد هو ما سينال الذين يبثّون شائعات السوء ضدّ القرآن

ويمنعون الناس من الاستماع للقرآن ويأمرون باللغو فيه. (حرف اللام في أوّل الآية ـ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ... وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ وحرف النون في آخر تلك الكلمات وكلمة شديد، تدلّ جميعها على العذاب الشديد الذي ينتظرهم).

١١ ـ لغو الكفّار وفعلهم أسوأ من كفرهم وهو سبب ما يستحقّونه من عذاب، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي﴾.

١٢ ـ عدو القرآن هو عدو لله ﷻ، ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾.

١٣ ـ عقوبة الكفر الدائم عن علم الخلود في جهنّم، ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

التعاليم

١ ـ يَطلب الكفّار في يوم القيامة رؤية من كان سبباً في ضلالهم لكي ينتقموا منهم ﴿رَبَّنَا أَرِنَا﴾.

٢ ـ الكفر ضلال وضياع، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... أَضَلَّانَا﴾.

٣ ـ يحمّل الكفّار في يوم القيامة الذنب منهم لغيرهم، ﴿أَضَلَّانَا﴾.

٤ ـ للجنّ والإنس دور في انحراف الناس، ﴿أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾.

٥ ـ قادة الكفر والضلال الذين كانوا في الدنيا في المقدّمة ومحلّاً للاحترام والتعظيم لدى الآخرين، يتمنّى أتباعهم في يوم القيامة أن يجعلوهم تحت أقدامهم، ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات

❑ تعرّضت سورة آل عمران في الآية ١٢٥ لنموذجٍ واضح لنزول الملائكة على

المؤمنين، قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

□ شبيه هذا ما ورد أيضاً في سورة الأحقاف في الآية ١٣ و١٤ حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

التعاليم

١ ـ الصبر والثبات هما اللذان يوجبان تقوية الإيمان ليُثمِرَ المطلوب، وإلّا فكم من المؤمنين كانت له سوء العاقبة، ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾.

٢ ـ الثبات إلى جانب الإيمان هو المثمر، وإلّا فإنّ الكفّار يَستقيمون على باطلهم، ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾.

٣ ـ يعترف الكثيرون بأنّ الله ﷻ هو الخالق؛ ولكنّهم يرون تدبير الأمور بيد غيره؛ والمهم أن يستقيم الإنسان على إيمانه بربوبيّة الله ﷻ ولا يرضى ربًّا غيره، ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾.

٤ ـ الاستقامة المثمرة هي التي تكون ثابتة ومستمرة، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، (كلمة ثمّ لإفادة الزمان والوقت الطويل).

٥ ـ يتمكّن الإنسان من خلال إيمانه واستقامته من أن يجعل الملائكة تتنزّل عليه، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

٦ ـ تنزل الملائكة على غير الأنبياء أيضاً، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

٧ ـ تتنزّل الملائكة على المؤمن المستقيم على إيمانه، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾

---

(١) كتب تفسير هذه الآية في ليلة السابع من تير من سنة ١٣٧٩ هـ ش، وهو ذكرى السنة التاسعة عشرة لاثنين وسبعين شهيداً من شهداء الجمهوريّة الإسلاميّة الذين استشهدوا بتفجير قام به المنافقون في طهران. وهم جمع من العلماء ومفكري الإسلام والمجتهدين والقضاة ونواب مجلس الشورى الإسلامي، ومن أفضل شخصيات الثورة الإسلاميّة الذين امتازوا بإخلاصهم والذين قدّموا أرواحهم في سبيل الإسلام، سلام الله عليهم وعلى كافة الشهداء.

وأمّا العصاة والمذنبون فتتنزّل عليهم الشياطين، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[1].

٨ ـ الاستقامة على طريق الحق، ترفع عن الإنسان الخوف من المستقبل، ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾، وكذلك الحزن والهم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾.

٩ ـ أرفع هدية من السماء هي نزول الملائكة على المؤمن الراسخ الإيمان بالطمأنينة والفرح والبشرى، ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟﴾.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات

□ النُّزل هو المكان المعدّ لإقامة الضيوف عند وصولهم.

التعاليم

١ ـ المؤمن الثابت القدم له أولياء من السماء، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

٢ ـ الالتفات إلى تأييد الملائكة ونصرتها سبب لبثّ الطمأنينة في نفوس المؤمنين، ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟... نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾.

٣ ـ كلُّ ما ترغب به النفس تصل إليه في الجنّة، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ...﴾.

٤ ـ تتوافر في الجنّة النِّعم والملذّات الماديّة، ﴿تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾؛ والنِّعم والملذّات المعنويّة، ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾؛ وفي آيةٍ أخرى ورد قوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ... وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾[2].

٥ ـ نِعَم الجنّة كافّة هي من اللطف الإلٰهيّ، ﴿نُزُلًا﴾.

٦ ـ الألطاف الإلٰهيّة هدية وعطاء من الله ﷻ وليست بطلب من الإنسان، ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢١.
(٢) سورة يونس: الآية ١٠.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات

□ يوصي الله ﷻ في الآية ١٨ من سورة الزمر الناس باستماع القول واتّباع أحسنه؛ وهذا القول الأحسن هو الدعوة إلى الله ﷻ، إذاً وظيفة الناس الاستماع من بين المتحدّثين والمتكلّمين إلى من كانت روحه مسلّمةً لله ﷻ وعمله كان صالحاً ودعوته إلى سبيل الله ﷻ.

التعاليم

١ ـ الدعوة إلى الدّين هي أفضل القول، وأفضل متكلّم في عالم الوجود هم الأنبياء، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا...﴾.

٢ ـ أفضل القول ليس ما كان أكثر دقّةً أو علماً أو أنساً؛ بل ما كان دعوة إلى الله ﷻ وكان هادفاً، ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ للكلام قيمته إذا كان قائله من أهل العمل، ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ بل ورد ذمّ من يقول ولا يعمل بما يقول: ﴿...لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ...﴾[2].

٤ ـ للدعوة قيمتها إذا أضيف إليها العمل بها، التسليم والرضا أيضاً، ﴿إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

إشارات

□ تختلف طبائع الأشخاص الذين توجَّه إليهم الدعوة إلى الله ﷻ، فتجد بينهم من

---

(١) سورة الصف: الآية ٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ٤٤.

يكون سيّئ السلوك والمعاملة، ولو أنّ الداعية والمبلِّغ لدين الله ﷻ لم يكن يتمتَّع بالخلق الحسن وسِعَة الصدر فإنّ التوفيق لن يكتب له. وتوصي هذه الآية بأن يكون الردّ على الإساءة بالتي هي أحسن، وأن لا نكون من أهل الانتقام. كما نقرأ في دعاء الإمام زين العابدين المعروف بدعاء مكارم الأخلاق قوله: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الْأَدْنَيْنَ الْوَلَايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الْأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ»**[١]. وفي سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيت العصمة والطهارة ﷺ نماذج كثيرة من هذا التعامل الذي مكّنهم من استبدال أشدّ الناس عداوةً إلى أشخاص من محبّيهم ومريديهم.

❑ الناس على أصناف عدّة:

- من يحفظ صديقه.
- من لا يرى فرقاً بينه وبين صديقه.
- من يجعل صديقه عدوّاً له.
- من يجعل من عدوه صديقاً له.

أسلوب معاملة المعارضين

الرافضون لقبول الحقّ على أصناف وينبغي التعامل مع كلٍّ واحدٍ منهم بشكل مختلفٍ عن غيره:

* فبعضهم من كانت عداوته وموقفه الرافض للحقّ يقوم على أساس الجهل وعدم العلم، وتأمر هذه الآية بالإحسان إليه ومحبّته.

ونقرأ في آيات أخرى التالي:

١ ـ ﴿...وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٢].

٢ ـ ﴿...وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٣].

---

(١) الصحيفة السجاديّة، دعاء مكارم الأخلاق.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٣) السورة نفسها: الآية ٧٢.

* وبعضهم يكون سبب رفضه الحقّ حالة الشكّ والتردّد، ومثل هؤلاء لا بدّ من مواجهتهم على أساس الاستدلال ورفع الشبهات.

كالشكّ في وجود الله ﷻ: ﴿...أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ...﴾[١].

وكالشكّ في البعث ويوم القيامة: ﴿...إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ...﴾[٢].

وكالشكّ والتردّد في نزول الوحي والكتاب السماوي على النبي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...﴾[٣].

* وبعضهم يكون سبب رفضه الحسد، ولا بدّ من الإغماض عنه.

فإخوة يوسف اعترفوا بحالة الحسد التي كانت لديهم تجاه يوسف وبجنايتهم عليه، وطلبوا العفو من النبيّ يوسف ؑ: ﴿...وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ... لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[٤].

وهكذا نجد في قصّة هابيل في مواجهته حسد أخيه قابيل له إذ يقول: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ...﴾[٥].

* وبعضهم يرفض الحق على أساس ما تقتضيه مصالحه المادّية ومعيشته. وفي هذه الموارد يكفي إتمام الحجّة والمعاملة معهم تكون بـ ﴿...ذَرْهُمْ...﴾[٦]، و﴿...أَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾[٧].

* رفض دعوة الحق قد تقترن أحياناً بمحاربتها ومهاجمتها والسعي لإضعاف إيمان الناس، وهنا تأتي الآيات لتأمر بالتشدّد في حقِّ هؤلاء ومواجهتهم وقطع دابرهم:

ـ ﴿...وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾[٨].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٠.
(٢) سورة الحج: الآية ٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣.
(٤) سورة يوسف: الآيتان ٩١ و٩٢.
(٥) سورة المائدة: الآية ٢٨.
(٦) سورة الأنعام: الآية ٩١؛ سورة الحجر: الآية ٣.
(٧) سورة المائدة: الآية ٤٢؛ سورة النساء: الآيات ٦٣ و٨١.
(٨) سورة التوبة: الآية ٧٣.

- ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾[١].
- ﴿...لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ...﴾[٢].
- ﴿...أُخِذُوٓا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾[٣].

* قد تصل عداوة بعضهم للدّين حدّاً يجعلهم يحملون السلاح ويعمدون إلى إقامة الحروب والمعارك ضدّ الدين، قال تعالى: ﴿...فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ...﴾[٤].

* ذكر بعضهم في تفسير قوله تعالى في الآية ٤٠ من سورة الشورى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، أنّ المراد من هذه الآية إنّ من بادل الإساءة بالإساءة فهو مثل ذلك الذي أساء؛ لأنّ الله ﷻ يقول في هذه الآية ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

التعاليم

١ ـ من طرق الدعوة إلى الله ﷻ دفع السيّئة بالحسنة، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ... ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

٢ ـ لا تظن أنّ مرور الزمان سوف يجعل من بعض المسائل طيّ القِدَم والنسيان، (المعاملة بالحسنى أو بالسوء ليست سواء بل لها آثارها التي تبقى في أعماق الروح)، ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾.

٣ ـ من النماذج العمليّة للدعوة إلى الله ﷻ. (ما ورد في الآية السابقة من دفع السيّئة بالتي هي أحسن)، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

٤ ـ لا يكفي في مواجهة الأعداء التوسّل بالخلُق الحسن، بل لا بدّ من شنِّ هجومٍ مضادّ، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ (أي لا يكفي دفع السيّئة بالحسنة،

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٠.
(٢) سورة المائدة: الآية ٥١.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦١.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

بل لا بدّ من دفع السيّئة بما هو أحسن، وبما أفضل وأكثر أخلاقاً).

٥ ـ الكيمياء الحقيقيّة ليست بتحويل النحاس إلى ذهب، بل السلوك الذي يجعل من العدو المبغض محبًّا، ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾. (عند فتح مكّة رفع بعضهم شعار: اليوم يوم الملحمة، ولكنّ رسول الله ﷺ قال: اليوم يوم المرحمة).

٦ ـ سعة الصدر شرط للنجاح في العمل التبليغيّ، ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ... كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾.

٧ ـ ملاحظة نتيجة العمل تزيد من الدَّافع نحو العمل. (إذا علمنا بأنَّ نتيجة التعامل بالحسنى هي تبديل العداوة صداقة ومحبّة، فإنّ الدّافع نحو ذلك يزداد)، ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ... كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾.

٨ ـ اعتماد السلوك اللائق إذا لم يؤدِّ إلى انقلاب العدو صديقاً؛ فإنه على الأقل يبعث على الحياء والندم في نفسه، فيبدِّل سلوكه إلى سلوكٍ حسن، ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾.

٩ ـ قيمة الصديق بحميميّته، ﴿وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾

إشارات

□ الحظّ العظيم والمنال في نظر أهل الدنيا هو لقارون ﴿...إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[1]، ولكن بحسب القرآن الكريم الحظّ العظيم هو نصيب من كان كريم النفس واسع الصدر، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾.

التعاليم

١ ـ مبادلة الإساءة بالتي هي أحسن تختصّ بأولئك الذين قاموا ببناء ذاتهم وتربية

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٩.

نفوسهم، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟...﴾ («صبروا» وردت بصيغة الماضي، ويدلّ ذلك على أنّ هؤلاء قد قاموا بتربية نفوسهم في الماضي).

٢ ـ الوصول إلى قمّة الصبر ليس أمراً سهلاً. (تكرار كلمة، «يلقّاها»).

٣ ـ الانتقام والمقابلة بالمثل في السلوك الأخلاقيّ دليل على قلّة الصبر، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ... وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾.

٤ ـ الصابرون فقط هم أصحاب الحظ العظيم، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟... إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات

- المراد من كلمة (نزع) الدخول في عمل بقصد الإفساد، ويطلق على وسوسة الشيطان وهمزاته للإنسان.
- ذكرت هذه الآية والآيات الثلاث السابقة نقاطاً أربعاً للدّعاة إلى طريق الله ﷻ[1]:

في الآية ٣٢ قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ... وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وفي الآية التي بعدها: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾، وفي الآية التالية: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، وفي هذه الآية يقول: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾.

- وسوسة الشيطان وهي (النزغ) على أنواع وأصناف عديدة:
  - ـ فتارة بالتخويف: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ...﴾[2].
  - ـ وأخرى بالتزيين: ﴿...زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ...﴾[3].
  - ـ وثالثة تكون بالوعد: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ...﴾[4].

---

(١) تفسير نمونه.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.
(٣) سورة النمل: الآية ٢٤.
(٤) سورة النساء: الآية ١٢٠.

ـ ورابعة عن طريق إيقاع العداوة والشحناء: ﴿...يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ...﴾[1].

التعاليم

١ ـ إيجاد حسّ الانتقام لدى الإنسان هو من فعل الشيطان؛ ولكن الأمر الإلٰهيّ بدفع السيئة بالتي هي أحسن، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ... وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾.

٢ ـ لا أمان لأحد حتّى النبيّ ﷺ من وسوسة الشيطان، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾.

٣ ـ وسوسة الشيطان أمر دائم ومستمر، ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾.

٤ ـ كلُّ ما يكون سبباً للوسوسة هو من الشيطان، ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾.

٥ ـ لا تصبر حتّى يتسلّط عليك الشيطان، بل بادر للاستعاذة عند أدنى وسوسة يقوم بها الشيطان، ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾.

٦ ـ دواء وسوسة الشيطان الاستعاذة بالله ﷻ والتوبة، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ... فَٱسْتَعِذْ﴾.

٧ ـ الاستعاذة من أسباب عصمة الأنبياء، ﴿فَٱسْتَعِذْ...﴾.

٨ ـ لا بدّ من الاستعاذة بمن يكون جامعاً للكمالات ويكون سميعاً عليماً، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾؛ (كلمة الله تعني الذّات المقدّسة التي هي مجمع الكمالات).

٩ ـ مع أنّ الله ﷻ عليم؛ ولكن لا بدّ من إظهار ضعفنا واستعاذتنا به بالقلب واللسان، ﴿فَٱسْتَعِذْ... ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

١٠ ـ الاستعاذة بالله ﷻ لا تبقى بلا استجابة، ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

١١ ـ الله ﷻ هو وحده السميع العليم، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩١.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

❑ الله ﷻ: ﴿...خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ...﴾[1]؛ وله الولاية المطلقة: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾[2]؛ والكلُّ جند له: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾[3]، والكلُّ مطيع له: ﴿...كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾[4]؛ والكلُ يدلّ على قدرته وحكمته ورحمته: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ...﴾، والجميع يرجع إليه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[5].

❑ ورد في الآية ٣٢ أحسن القول هو الدعوة إلى الله ﷻ، وتبيّن هذه الآية طريق الدعوة إلى الله.

❑ الليل والنهار من الآيات الإلٰهيّة وهما دليل القدرة الإلٰهيّة، فالليل سكنٌ واستراحة واستقواء على عمل النهار، وزيادة الليل والنهار ونقصانهما إنّما هو بما يَتناسب مع نوم الإنسان وسكنه. ومن بركات النهار: نموّ الزرع والنبات، الحيوانات، تبخير المياه إلى غيوم ليحدث المطر، وإثمار الشجر، وتخزين القوت والحركة والسفر، وهذا من آيات الله، كما أنّ من آيات الله ﷻ البُعد الفاصل بين الأرض والشمس في حركة الأرض حول الشمس، الأمر الذي يجعل من وصول نور الشمس إلى الأرض بقدر محدّد، ووجود القمر في الليل ليضيء على الناس، ويفتح الباب أمام الناس لمعرفة الشهور، وحركة القمر في منازله المختلفة ودوره في حركة المد والجزر. فهذا كلّه من آيات الله ودليل سعة قدرته.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٩.
(٣) سورة الفتح: الآية ٤.
(٤) سورة البقرة: الآية ١١٦.
(٥) سورة النجم: الآية ٤٢.

التعاليم

١ ـ الليل والنهار من مظاهر سعة القدرة الإلٰهيّة والحكمة والرحمة، ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ...﴾.

٢ ـ الطبيعة أفضل درس في معرفة الله ﷻ، ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ و...﴾.

٣ ـ لا تصحّ العبادة حتّى لأكثر المخلوقات نفعاً وفائدة، ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ﴾.

٤ ـ لا بدّ في تربية الناس من دلالتهم على السبيل الصحيح مضافاً إلى تحذيرهم من سبل الباطل والخطأ، ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ... وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ...﴾.

٥ ـ إذا كانت الشمس مع ما لها من العظمة لا تستحقّ أن تُعبَد من دون الله، فإنّ حال الأصنام التي لا أثر لها يكون أوضح، ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ﴾.

٦ ـ خالق الوجود هو الذي يستحقّ العبادة. ولا يستحقّ المخلوق أن يكون معبوداً، ﴿خَلَقَهُنَّ﴾.

٧ ـ التوحيد في الخالقيّة هو الدليل على التوحيد في العبادة، ﴿خَلَقَهُنَّ...إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ (٣٨)﴾

التعاليم

١ ـ الامتناع عن السجود والعبادة نموذج بارز للاستكبار، ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ... فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾.

٢ ـ التكبّر مانعٌ من العبوديّة، ﴿وَٱسْجُدُواْ... فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ...﴾.

٣ ـ حطّم غرور المستكبرين من خلال استعراض النماذج الأفضل. فإن كان الإنسان المتكبّر لا يسجد فهذا لا يهمّ؛ لأنّ الملائكة يسجدون ولا يفترون، ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ﴾.

٤ ـ يمدّ الله ﷻ نبيّه بالعون في مواجهته للمستكبرين، ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾.

٥ ـ لو أنّ الناس كافّة تركوا عبادة الله فإنّ الملائكة وعالم الوجود كلّه مسلّم لله ﷻ، ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ﴾.
٦ ـ التسبيح فعل الملائكة والمسبّحين في الأرض كالملائكة، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ﴾.
٧ ـ التسبيح قمّة العبادة. (ففي الآية السابقة كان الحديث عن العبادة وفي هذه الآية عن التسبيح)، ﴿إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ... يُسَبِّحُونَ لَهُۥ﴾.
٨ ـ الليل والنهار باب لمعرفة الله ﷻ وعبادته، وليسا عبادة بذاتهما، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ...﴾.
٩ ـ ورد الحثّ الشديد على العبادة في الليل. (ورد ذكر الليل قبل ذكر النهار)، ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾.
١٠ ـ الملائكة يسبّحون في الليل والنهار. (كلمة «يسبّحون» تدلُّ على الاستمرار مضافاً إلى قوله: ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ الذي يدلّ على الدوام).
١١ ـ تسبيح الملائكة لله ﷻ يصدر عن إخلاص. قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ...﴾، ولم يقل: (يسبّحونه). فلا بدّ لنا من أن نكون من المخلصين أيضاً.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات

□ ورد في سورة الحجّ وصف الأرض بأنّها هامدة، وهو بمعنى يباسها. ﴿...وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ... وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. ولكنّ التعبير هنا ورد بقوله: ﴿خَٰشِعَةً﴾، ولعلّ في اختيار معنى الخشوع هنا طعناً على المستكبرين الذين تعرّض لهم في الآية السابقة.

التعاليم

١ ـ الأرض تنمو بنزول ماء المطر، ولكن القلوب القاسية لا تتغيّر بنزول الآيات،

(١) سورة الحج: الآية ٥.

﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾. وفي هذا تحذير للمستكبرين والملحدين الذين هم أوضع من الأرض.

٢ ـ الفعل الإلٰهيّ يتم من خلال الأسباب الطبيعيّة، ﴿أَنزَلْنَا...﴾.

٣ ـ من يقدر على إحياء الأرض الميتة يقدر على إحياء الموتى في يوم القيامة، ﴿لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾.

٤ ـ سبب إنكار المعاد الغفلة عن القدرة الإلٰهيّة، ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات

□ كلمة إلحاد من اللحد وهو الحفرة التي يكون فيها انحرافٌ إلى جهة ما. والملحد هو المنحرف عن الحقّ.

التعاليم

١ ـ الإمهال سنّة إلهيّة. ولكن الإمهال لا يعني غفلة الله ﷻ عن أهل الانحراف؛ ولكنّه يتركهم في طغيانهم وانحرافهم، ﴿يُلْحِدُونَ... لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾.

٢ ـ يُرمى بالملحدين في جهنّم، ﴿يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾.

٣ ـ يأتي أهل الجنّة إلى الجنّة بسكينة وأمان، أمّا أهل جهنّم فيؤتى بهم إلى جهنّم مكرَهين ويُرمون فيها رمياً، ﴿يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ... يَأْتِيٓ ءَامِنًا﴾.

٤ ـ أعظم هدية من الله ﷻ للمؤمنين الأمان الذي يُعطى لهم، ﴿يَأْتِيٓ ءَامِنًا﴾.

٥ ـ الحريّة ليست دائماً لصالح الإنسان، ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾.

٦ ـ الرقابة الإلٰهيّة أعظم ما يهدّد أهل الانحراف وأعظم ما يبعث على الطمأنينة في نفوس المؤمنين. وقد أشارت هذه الآية في موضعين إلى الرقابة الإلٰهيّة ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ... إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات

❑ يمكن تفسير الآية ٤٣ بأحد نحوين: أحدهما: إنّ ما يُلقى على النبيّ ﷺ من الوحي هو نفس ما كان يُلقى على الأنبياء السابقين. والآخر هو: أنّ ما يقوله الذين كفروا ليس جديداً؛ بل هو ما قيل للأنبياء السابقين بكلّ جرأةٍ وصلافة.

❑ ورد في تفسير مجمع البيان في بيان كون القرآن عزيزاً المعاني التالية:

أ ـ إنّ أحداً لا يمكنه أن يأتي بمثله.

ب ـ إنّ الله ﷻ أعزّه بحفظه وصيانته من التحريف.

ج ـ إنّ فيه أحكم العبارات.

د ـ إنّ على الناس أن تتعامل معه باحترام.

❑ عنوان العزيز مختصٌّ بالقرآن الكريم من بين الكتب السماويّة، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾.

ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ليس في إخباره عمّا مضى باطل [ولا في إخباره عما يكون في المستقبل باطل]**»[1].

التعاليم

١ ـ القرآن الكريم باب للذكر وعدم الغفلة، ﴿كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ﴾؛ (الذكر هو ما ينبّه الإنسان من الغفلة والنسيان).

٢ ـ كفر جماعة من الناس لا يكون سبباً لعدم عزّة القرآن الكريم، ﴿لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

٣ ـ يُخبِر القرآن الكريم عن مستقبله. فعزّة القرآن وعدم تحريفه على مرّ التاريخ مع كثرة أعدائه، دليل على كونه خبراً غيبياً ﴿عَزِيزٌ... لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾.

٤ ـ لا طريق للباطل إلى القرآن الكريم. (لا الكذب، ولا التضادّ ولا التحريف...﴾، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾.

٥ ـ لا تأثير لكلٍّ ما يُحاك ضدّ القرآن سواء كان في الماضي أو في المستقبل، ﴿عَزِيزٌ... لَّا يَأْتِيهِ...﴾.

٦ ـ التفاسير الباطلة هي ما يتلقّاه الإنسان من القرآن، ولكن القرآن نفسه حكيم لا باطل فيه، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾.

٧ ـ القرآن المنزَل من الله ﷻ الحكيم، حكيم وثابت. (الإحكام في المضمون، الألفاظ، أسلوب نزوله، وتأثيره أيضاً)، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾.

٨ ـ الله ﷻ حكيم، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ...﴾، والقرآن أيضاً حكيم: ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1]، والنبيّ ﷺ معلّم الحكمة: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[2].

٩ ـ القرآن تجلٍّ للحكمة الإلٰهيّة، ودليل استحقاق الله ﷻ للحمد، ﴿حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

١٠ ـ حتّى الأنبياء بحاجة إلى تأييد وبثٍّ للطمأنينة في نفوسهم، وهذه الآية فيها تسلية للنبيّ ﷺ، ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾.

١١ ـ ردّة فعل الكفّار تجاه دعوة الأنبياء واحدة، ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا...﴾.

١٢ ـ على قادة الدِّين أن يملكوا القدرة على تحمّل افتراءات الكفّار، ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ...﴾.

١٣ ـ طريق التوبة مفتوح على الدوام، ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾.

١٤ ـ الالتفات إلى رحمة الله ﷻ وعقابه يفتح باب التوبة للإنسان، ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ﴾.

---

(١) سورة يس: الآيتان ١ و٢. (٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

١٥ ـ الخوف والرجاء قرينان دائماً ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ﴾.

١٦ ـ رحمة الله ﷻ سبقت غضبه، (فبداية ذو مغفرة ثم ذو عقاب).

١٧ ـ العفو والعقاب من شؤون الربوبيّة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

□ كلمة أعجميّ من العجمة وهو أن لا يكون مفهماً ولا مبيّناً للمراد. وحيث كانت اللغات غير العربيّة غير مفهومة للعرب أُطلق على تلك اللغات غير العربيّة صفة (الأعجميّ).

التعاليم

١ ـ لا يُعدَم الكفّار المبرر لرفض الإيمان، فإذا كان القرآن عربياً قالوا: ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾، وإذا كان أعجمياً لقالوا: لماذا هو غير واضح: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾.

٢ ـ الإيمان شرط للانتفاع من الهدى والشفاء الذي فيه، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾.

٣ ـ في القرآن علاج للأمراض الأخلاقيّة، الأسريّة، الاجتماعيّة، وغيرها، ﴿شِفَآءٌ﴾.

٤ ـ من يغلق عينيه عن نور القرآن فهو أعمى، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.

٥ ـ لا بدّ من أن يمتلك الإنسان المؤهّلات التي تجعله قابلاً للتأثّر. فمن كانت روحه ترقى في السماء تكفيه قطرة ماء لتجذبه، ولكن من كانت روحه مظلمة ومتعلّقة بالأرض فلن تجذبه بحار من المعرفة والعلم. ولذا يَصف الله ﷻ من كان إلى جانب رسول الله ﷺ ولا يمتلك مؤهّلات تلقّي تلك المعارف بقوله: ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ في معرفة تاريخ الأنبياء تسليةٌ للنبيّ ﷺ وللمؤمنين، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا...﴾.

٢ ـ وقع الاختلاف في التوراة كما أنّها تعرّضت للتحريف، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾.

٣ ـ إمهال المذنبين من شؤون الربوبيّة لعلّ الناس تتوب بذلك وتصل إلى كمالها ورشدها، ﴿سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾.

٤ ـ إمهال المذنبين والعصاة سنّة من السنن الإلٰهيّة، ولولا ذلك لقضي على الناس من أوّل انحرافٍ يقعون فيه، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ... لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾.

٥ ـ لا بدّ من أن يكون الشك مقدّمة للبحث والسؤال والوصول إلى اليقين، وليس وسيلةً للريب وسوء الظنّ، ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات

- لمّا كان حتّى الظلم الصغير من الله ﷻ بمنزلة الظلم العظيم، أورد تعالى في كلامه صفة ظلام، وهي الظلم الكثير.
- جذور المصائب والآلام التي يُصاب بها الإنسان ترجع إلى عمله وما جنته يداه: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾، ولا ينبغي أن ننسبها للآخرين.

فلا ننسبها إلى الله ﷻ لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾[1]، ولكن القرآن الكريم يجيبه عن ذلك بأن هذا بسبب فعلك وعدم إكرام اليتيم والمسكين: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾[2].

(١) سورة الفجر: الآيتان ١٥ و١٦.
(٢) سورة الفجر: الآية ١٧.

ولا ننسبه إلى الناس، فالمستضعفون ينسبون ضلالهم للمستكبرين فيقولون: ﴿...لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[١].

ولا ننسبه إلى الآباء، فعندما كان يخاطب أهل الانحراف باتّباع ما أنزل الله ﷻ كانت حجتهم: ﴿...نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ...﴾[٢].

ولا ننسبه إلى الأنبياء؛ لأنّ الكفار كانوا ينسبون ذلك إلى الأنبياء: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ...﴾[٣].

ولا ننسبه إلى الأبوين؛ لأنّ القرآن الكريم ذكر أن الإنسان خلق حراً مختاراً وأمر بطاعة الوالدين إلّا في معصية الله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا...﴾[٤].

ولا ننسبه إلى من تعبده من دون الله ﷻ، ولذا قال تعالى في القرآن: ﴿...لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[٥].

ولا تنسبه إلى خلقتك من ذكر أو أنثى؛ لأنّ القرآن الكريم يقول: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا...﴾[٦]، أي العبرة بأصل العمل من أي صدر.

ولا تنسبه إلى الشيطان؛ لأنّ الشيطان ينهاهم عن لومه ويأمرهم بلوم أنفسهم، ويقول لهم إنّه لم يكن منه إلا أن: ﴿...دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ...﴾[٧].

ولا تنسبه إلى الصديق؛ لأنّ الضّالين عندما يلتقون في يوم القيامة يخاطب بعضهم بعضاً بأنّكم كنتم تأتوننا فتزيّنون لنا المعصية على أنها عمل صالح، ولكن جواب أولئك: ﴿...بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[٨].

ولا تنسبه إلى البيئة والمحيط. فزوجة فرعون رغم فساد البيئة والمحيط الذي كانت تعيش فيه وهو محيط طاغوت ومال وثروة وخوف، لم تكن تخاف ولا

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢١.
(٢) سورة لقمان: الآية ٢١
(٣) سورة يس: الآية ١٨
(٤) سورة لقمان: الآية ١٥.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٦٦.
(٦) سورة فصلت: الآية ٤٦.
(٧) سورة ابراهيم: الآية ٢٢.
(٨) سورة الصافات: الآية ٢٨.

تخشى سوى الله: ﴿...ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ...﴾[(١)]. وكذلك تخاطب الملائكة عند قبض الأرواح أولئك الذين ينسبون تقصيرهم إلى المحيط والبيئة بقولها: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ﴾[(٢)].

الجزء ٢٥

﴿۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ۝٤٧﴾

إشارات

- الأكمام جمع كُمّ وهو الشيء الذي تُستَر به الفاكهة. ويُطلق على كُمّ الثوب ذلك لأنّه يستر اليد والكمة هي ما يستر الرأس كالقلنسوة.

  آذنّاك من الإيذان وهو الإعلام والإخبار.

- ورد في سبب نزول هذه الآية أنّ بعضهم سأل النبيّ ﷺ عن وقت قيام الساعة، فنزلت الآية وذكرت أنّ علمها عند الله ﷻ.

- العلوم على أنواع: فبعضها مبذول للناس كافّة، وبعضها خصّ الله ﷻ بها أنبياءه وأولياءه، وبعضها خصّ بها نفسه. ولذا نقرأ في الدعاء: «وأسألك بكلّ اسم اصطفيته من علمك لنفسك واستأثرت به في علم الغيب عندك»[(٣)].

نداءات القيامة

- نداء السلام على أهل الجنّة: ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[(٤)].
- نداء أهل الجنّة لأهل النار: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا...﴾[(٥)].

---

(١) سورة التحريم: الآية ١١.
(٢) سورة النساء: الآية ٩٧.
(٣) بحار الأنوار، ج ٨٨، ص ١٧٥.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٦.
(٥) السورة نفسها: الآية ٤٤.

ـ نداء أهل جهنّم بطلب الماء وغيره: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ...﴾[١].

ـ نداء الله ﷻ للمشركين: ﴿...يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ...﴾[٢].

ـ نداء المنافقين للمؤمنين: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ...﴾[٣].

التعاليم

١ ـ لا بدّ في التربية من استخدام أسلوبي الخوف والأمل، وهذا لا يتمّ إلّا عندما لا يكون الإنسان محيطاً بعلم الساعة، ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

٢ ـ الله ﷻ عالم بجزئيّات عالم الوجود، ﴿أَكْمَامِهَا﴾.

٣ ـ لا يقتصر العلم الإلٰهيّ على العلم بجنس الجنين في رحم الأم، بل هو عالم بتمام خصوصيّاته، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ...﴾.

٤ ـ الجأ إلى المعبود الذي يمكنه أن يجيبك، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾.

٥ ـ يُستجوب المشركون عدّة مرات ويعترفون بعجز ما كانوا يعبدون ويُعلنون ذلك، ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾.

٦ ـ من العذاب الروحيّ في يوم القيامة إظهار الندم عند الجواب، ﴿ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾

إشارات

□ المحيص هو المفرّ أو محلّ الفرار. وذكر بعضهم أنّ كلمتي (يأس) و(قنوط) مترادفتان، ولكنّ الفخر الرازي ذكر أنّ (يؤوس) من (يئس) بمعنى اليأس في

---

(١) السورة نفسها: الآية ٥٠.

(٢) سورة القصص: الآية ٦٢.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٤.

القلب، أما (قنوط) فتعني إظهار اليأس على الوجه وفي العمل.

❑ لعلّ المراد من الخير في الآية هو الثروة في الدنيا، كما نقرأ في آيةٍ أخرى قوله تعالى: ﴿...إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ...﴾[1].

التعاليم

١ ـ يظهر الحق جلياً في يوم القيامة بنحو يظهر بطلان كلِّ معبودٍ سوى الله، وتختفي تلك المعبودات بنحو يظهر بوضوح للمشركين بطلان ما كانوا يعبدون، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾.

٢ ـ يرى المشرك في يوم القيامة أنَّ ما كان عليه كان باطلاً، وأنّ مستقبله مسدود، ﴿وَضَلَّ... مِن قَبْلُ... مِن مَّحِيصٍ﴾.

٣ ـ لا يسأم الإنسان ولا يملّ من طلب الخير، وبسبب حرصه وطلبه الزيادة الذي هو جزء من طبيعته يطلب كلَّ الخير له، ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾.

٤ ـ الإنسان المنحرف لا يملك القدرة على التحمّل ولذا يصل إلى حالة اليأس عند أوّل شرٍّ يُلاقيه، ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات

❑ التعلّق بالدنيا سببٌ للغفلة ولإنكار المعاد أحياناً. ففي سورة الكهف تعرّض القرآن الكريم في الآية ٣٥ قصّة ذلك الرجل الذي دخل جنّته فقال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ فأنكر المعاد، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾. ولو قامت الساعة: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾. وفي هذه الآية نقرأ أيضاً أنّ بعض الناس

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

إذا أصابته رحمةٌ من الله ﷻ ينكر القيامة، ويقول: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾.

التعاليم

١ ـ الإنسان المنحرف لا يملك الكثير من المؤهّلات وهو مصاب بالغرور، ومتى ناله رحمة من الله ينسب ذلك إلى نفسه، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً... لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾، (كما أنّه عندما يصاب بأوّل شرّ يناله اليأس، ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾، ويُصاب بالجزع، ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾[1]).

٢ ـ ليس للإنسان على الله ﷻ شيء، وكلُّ ما يصل إليه فهو من رحمة الله، ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾.

٣ ـ المنبع هو رحمة الله ﷻ ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾، لكن كلَّ شرٍّ يُصاب به الإنسان هو نتيجة عمله وصفاته الخاصّة به ﴿ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾، (ولم يقل ضراء منا).

٤ ـ نعم، هذه الدنيا وشرورها محدودة جدّاً، فهي لا تصل إلّا إلى حدِّ الذوق والمسّ، ﴿أَذَقْنَٰهُ... مَسَّتْهُ﴾.

٥ ـ الإنسان الكافر أنانيّ ومحبٌّ لذاته ويظن أنّ الرزق حقٌّ حتميّ له ﴿هَٰذَا لِي﴾، (كما أنّ قارون كان يقول، ﴿...إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ...﴾[2]).

٦ ـ النعم والرفاه الذي يعيشه الإنسان لا يدلّ على استحقاقه لذلك كما لا يدلّ على أن عاقبته تكون خيراً؛ (ينتقد القرآن في هذه الآية من يرى نفسه مستحقّاً لذلك)، ﴿هَٰذَا لِي﴾.

٧ ـ إذا أُعجب الإنسان بنفسه غفل عن المبدإ والمعاد، ﴿هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾.

٨ ـ أقلّ النِّعم قد تدفع الإنسان نحو الباطل إلى حدِّ يرى النعمة حقّاً له (هذا لي)، ويُنكر المعاد ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، ويعتقد بأنّ القيامة لو فرض أنّها كانت فإنّ له الحسنى فيها، ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾.

---

(١) سورة المعارج: الآية ٢٠. (٢) سورة القصص: الآية ٧٨.

٩ ـ ليس للكفّار منطق ودليل واعتقادهم يعتمد على الظنّ، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾.

١٠ ـ من علائم الكفر الشك والترديد في البعث والقيامة، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً... ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

١١ ـ تنكشف للإنسان في يوم القيامة حقائق وباطن أعماله، ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾.

١٢ ـ يبيّن للإنسان ما ارتكبه من مخالفة أولاً في يوم القيامة ثم يعذَّب عليه، ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ... وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾.

١٣ ـ من يتعامل مع ظنّه الخاطئ على أنّه أمر محكم لا يقبل الشك، يجب أن يُجاب بردٍّ محكم وحاسم. فالجواب على قوله: ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ هو قوله: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، و﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾

إشارات

□ كلمة (نأى) بمعنى ابتعد؛ وكلّما وردت مع كلمة (بجانبه) كانت كناية عن التكبّر والغرور ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾؛ لأنَّ المتكبِّر والمغرور وبسبب ما لديه من نعمة يُعرض. وكلمة (عريض) بمعنى مقابل للطويل والمراد من ذلك الكناية عن الدّعاء الزائد.

□ **سؤال**: ورد في الآية ٣٩ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾، ولكن في هذه الآية قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾، والسؤال كيف يدعو الإنسان المصاب باليأس؟

الجواب: اختلف المفسّرون في الإجابة عن هذا السؤال:

ففي تفسير روح البيان ورد أنّ بعض الناس يُصاب باليأس وبعضهم يَلجأ إلى الدعاء.

وأجاب بعضهم عن ذلك: إنّ اليأس يكون من تأمّل الخير أو دفع الشرّ عن طريق الأسباب المادّيّة العادية، وهذا لا ينافي أن يَلجأ الإنسان إلى الله بالدعاء. ولكن لسان الآية التوبيخ مع أنّ اليأس من الأسباب المادّيّة العادية واللّجوء إلى الله ﷻ فعل حسن وليس مورداً للتوبيخ.

وورد في تفسير الأمثل: أنّ الآيتين تعبّران عن حالتين، إذ إنّ هؤلاء الأفراد يقومون أولاً بالدعاء وطلب الخير من النبيّ ﷺ وهم فزعون جزعون، ثمّ لا تمرّ فترة قصيرة إلّا ويُصابون باليأس الذي يستوعب وجودهم كلّه.

ولعلّ بالإمكان القول إنَّ المراد من الدعاء ليس هو الاستمداد من الله ﷻ، بل إظهار هذا اليأس بنحو الجزع والصراخ، فالآيتان تتحدَّثان عن أمرٍ واحد ولكن في موضع تتحدّث عن حالة اليأس وفي آخر تبيّن أنّه وبسبب اليأس يُصاب بالجزع ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾.

التعاليم

١ ـ النِّعم أو الابتلاءات التي يُصاب بها الإنسان في حياته الغرض منها كشف خصاله وآفاته الروحيّة، ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا... إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾.

٢ ـ النِّعم سببٌ من أسباب الغفلة، ﴿أَنْعَمْنَا... أَعْرَضَ﴾.

٣ ـ النِّعم من الله ﷻ، ﴿أَنْعَمْنَا﴾، وأمّا المصائب والشرور فهي نتاج عمل الإنسان أو صفاته وخصاله السيئة، ﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، (لم ينسب الله ﷻ الشرّ إليه).

٤ ـ الإنسان الذي لم يربِّ نفسه قليل الصبر والتحمّل، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾.

٥ ـ المصائب والشرور التي يُبتلى بها الإنسان في حياته قليلة جدّاً قياساً للنِّعم التي أعطاها الله ﷻ له. (ففي الآية عند الحديث عن النعم ورد قوله: ﴿أَنْعَمْنَا﴾، وعند الحديث عن الشرّ ورد قوله: ﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾

التعاليم

١ ـ يعلّم الله ﷻ رسوله كيف يحاور أهل العناد والإصرار، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم...﴾.

٢ ـ الإنسان العاقل هو الذي يبتعد حتّى عن الخطر المحتمل (فإذا كان القرآن من عند الله فماذا سيفعل الكفّار)؟ ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ... مَنْ أَضَلُّ...﴾.

٣ ـ جذور الكفر تتمثّل بالعناد والإصرار على مخالفة الحقّ، ﴿كَفَرْتُم... شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾

إشارات

□ لمعرفة الله ﷻ مراحل: تارة من الأثر إلى المؤثّر: ﴿ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، وأخرى بالمباشرة ودون واسطة: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾. وثالثةً بشهادته على نفسه بالوحدانيّة: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾[١].

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «**متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدل عليك... عميت عين لا تراك**»[٢].

□ لماذا نشكّ في المعاد؟ ألا يدري ما فعلنا حتّى يُعاقبنا أو يُثيبنا؟ ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، ألا يمكنه أن يخلقنا مرّةً أخرى؟ ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨. (٢) بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ١٤٢.

نعم، الهدف من هذه التشكيكات ليس سوى الفسق والفجور، ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[1].

التعاليم

١ ـ لا نهاية لمظاهر القدرة والحكمة الإلٰهيّة، ﴿سَنُرِيهِمْ﴾، (مضافاً للآيات الموجودة، سوف نريهم في المستقبل آيات أخرى).

٢ ـ تطوّر العلوم خطوة في سبيل معرفة الله ﷻ، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

٣ ـ عالم الوجود كلّه درس في معرفة الله ﷻ، ﴿فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

٤ ـ معرفة الله تبدأ من أقرب موجود (نفس الإنسان) إلى أبعد نقطةٍ ممكنةٍ في عالم الوجود، ﴿فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

٥ ـ أتمّ الله ﷻ الحجّة على الخلق كافّة، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ... حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

٦ ـ معرفة الله لا بدّ من أن تكون عن تصديقٍ ويقين، ﴿يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

٧ ـ المعبود الحقّ هو الله ﷻ، ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

٨ ـ أيقظ الفطرة من خلال توجيه الأسئلة، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ...﴾.

٩ ـ الذات الإلٰهيّة المقدّسة تشهد على نفسها، ﴿أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، كما قال أولياء الله ﷻ: **«يا من دلّ على ذاته بذاته»**[2].

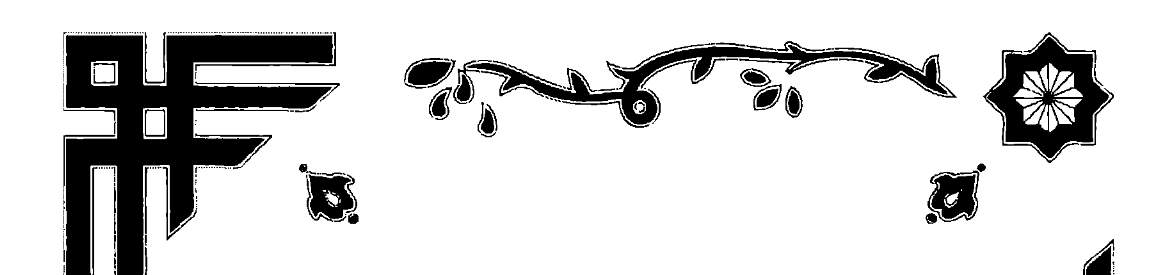
١٠ ـ إذا كان الإيمان بالله ﷻ يقينيًا، ثبت الإيمان بالمعاد الذي هو مظهر من مظاهر صفتي القدرة والحكمة والعدالة في الله ﷻ، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ...﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

---

(١) سورة القيامة: الآيتان ٥ و٦.

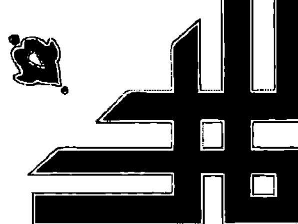
(٢) بحار الأنوار، ج ٨٤، ص ٣٣٩.



سُورَةُ الشُّورَىٰ

السورة: ٤٢ الجزء: ٢٥

عدد الآيات: ٥٣

ملامح سورة الشورى

هذه السورة مكية وعدد آياتها ٥٣ آية. وسمِّيت هذه السورة بسورة الشورى لورود هذه الكلمة في الآية ٣٨ منها.

تتعرّض هذه السورة لمباحث أصول الدين من التوحيد، والمعاد، والنبوّة وكذلك تتعرّض هذه السورة لبعض المسائل الاجتماعيّة والأخلاقيّة.

أطول الحروف المقطَّعة من بين ٢٩ سورة وردت فيها الحروف المقطعة هي في هذه السورة، واللافت للنظر هنا أنّ هذه الآية تضمّنت حلًّ مشكلة الحروف المقطّعة؛ لأنّه بعد ورود هذه الحروف ورد قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ﴾ أي الوحي هو من نفس هذه الحروف العربيّة التي هي تحت تصرّف جميع الناس، فأتوا بمثله إن أمكنكم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾

إشارات

- ورد في مواطن متعدِّدة من القرآن الكريم خطاب النبيّ ﷺ بقوله: (قبلك)، أي من قبلك أرسل الله ﷻ أنبياء، ولكن لم يرد في القرآن الكريم إطلاقاً كلمة (بعدك)، وهذا دليل على ختم النبوة بمحمد ﷺ.
- على الرغم من كون النبيّ محمّد ﷺ خاتم النبيين، فإن اسمه سبق اسم غيره من الأنبياء، وهذا دليل على ما له من المكانة العظيمة.
- تجلّت العزة، القدرة، الحكمة والعظمة الإلٰهيّة في الوحي الإلٰهيّ، ولذا لا ينبغي النظر إلى الوحي والكلام الإلٰهيّ على أنّه بسيط.
- يتّصل أنبياء الله ﷻ بالعزّة والقدرة والعظمة الإلٰهيّة، ولذا كان الفناء مصيرَ كلٍّ من يواجههم.
- من أدلّة إعجاز القرآن الكريم أنّ أحداً لا يُمكنه الإتيان بمثله على الرغم من كون جمله وعباراته مؤلَّفة من الحروف العربيّة والكلمات المعروفة.

التعاليم

١ ـ عندما تريد أن تجعل مضموناً ما عنواناً، فإنّ عليك أن توجد لدى السامعين انشداداً وجاذبيّة له، ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾.

٢ ـ مضمون الوحي وأسلوبه المنزل على الأنبياء متشابه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾.

٣ ـ الوحي سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ...﴾.

٤ ـ يتّصل كافّة الأنبياء بمنبعٍ واحد، ويتلقّون الوحي من مصدرٍ واحد، ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ﴾.

٥ ـ الوحي مصدر للعزّة، فلا تواجه الوحي لئلّا يُصيبك الفناء، ﴿يُوحِىٓ... ٱلْعَزِيزُ﴾.

٦ ـ الوحي منزل من الله العزيز الحكيم، وطاعة الوحي سببٌ لنيل العزّة والاستقامة، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٧ ـ نزول الوحي مطابقٌ للحكمة، ولذا لا يَنزل الوحي على أيِّ أحد، ﴿يُوحِىٓ... ٱلْحَكِيمُ﴾.

٩ ـ العزّة الإلٰهيّة ممتزجة بالحكمة وحسن التدبير، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

١٠ ـ نظام التشريع (الوحي والهدى) حقٌّ لمن كان بيده نظام التكوين (السموات والأرض)، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ و...﴾.

١٢ ـ المالك الحقيقيّ هو الله ﷻ، وليس لغيره سوى الملكيّة المتخيّلة والموهومة، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ و...﴾.

١٣ ـ الملكيّة المطلقة لله ﷻ على عالم الوجود وهي تقوم على عزّته وحكمته، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾

إشارات

❑ عظمة الوحي تصل حدًّا تنشقّ لها السماء، فالسماء التي بُنيت سبع طبقات ﴿...سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا...﴾[1]، وقد أُحكمت: ﴿...سَبْعًا شِدَادًا﴾[2]، وهي في إحكامها يُضرب بها المثل: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾[3]، هذه السماء التي تحتوي على عشرات المجرّات وفي كلِّ مجرّة منظومات مختلفة وفي كلِّ

(١) سورة الملك: الآية ٣.

(٢) سورة النبأ: الآية ١٢.

(٣) سورة النازعات: الآية ٢٧.

منظومة كرات تصل بعضها إلى ملايين مضاعفة من حجم الأرض ولم يصل العلم البشريّ إلى أدنى إحاطة بها، تصاب بالتفطر من عظمة الوحي.

- ورد في سورة مريم: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾[1].

- مضافاً إلى قيام الملائكة بتدبير نظام الوجود، فهي أيضاً تتكفّل بالدعاء لهذا الإنسان، فالملائكة الذين لا يرتكبون المعاصي، ﴿...لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ...﴾[2]، يستغفرون للمذنبين من العباد. فعلى المطهَّرين من الذنوب أن يكون في بالهم الدعاء للآخرين. نعم، استغفار الملائكة هو مظهر من مظاهر الرحمة الإلٰهيّة على عباده؛ لأنَّ الملائكة لا تقوم بعملٍ إلّا بأمر من الله ﷻ.

- طبقاً لهذه الآية فإنّ الملائكة تدعو لأهل الأرض كافّة ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وطبقاً للآية ٧ من سورة غافر فإنّ الملائكة تستغفر للمؤمنين ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. والملفت أنّ هذا الاستغفار مشروط بشرط وهو أن يقوم المؤمنون بالاستغفار أيضاً: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾.

- لا شكّ في عفو الله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ ففي الآية أكثر من نوعٍ من أنواع التأكيد. (ألا، إنّ، هو، الجملة الاسميّة، الغفور بدل غافر والألف واللام في الغفور).

- لقد أتمّ الله ﷻ الحجّة على العباد، فجعل من الوحي سنّة إلهيّة، ومن النبيّ واسطة الوحي وليًّا للناس، ولكنّ الناس يذهبون في اتّجاهات أُخرى، ﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ﴾.

- جرت العادة في الآيات والروايات أن يذكر الحمد إلى جانب التسبيح، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، «سبحان ربي الأعلى وبحمده».

---

(١) سورة مريم: الآيتان ٩٠ و٩١.
(٢) سورة التحريم: الآية ٦.

التعاليم

١ ـ إذا كانت السموات تتأثّر بالوحي، فلماذا لا يتأثّر بعض الناس بالوحي؟ ﴿يُوحِيٓ... تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾.

٢ ـ من آداب الدعاء والاستغفار أن يبدأ الإنسان بالحمد والثناء والتسبيح ﴿يُسَبِّحُونَ... يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾.

٣ ـ دعاء الملائكة مستجاب، ﴿يَسۡتَغۡفِرُونَ... إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، (نعم فالدعاء في حقّ الآخرين مستجاب).

٤ ـ لا ينبغي لأيّ مسؤوليّة (حتّى تدبير شؤون عالم الوجود) أن تحول دون الدعاء والاستغفار. (فالملائكة مع أنّ أمر تدبير عالم الوجود بيدهم، ولكنّهم مشغولون على الدّوام بالتسبيح لله ﷻ والدعاء والاستغفار للإنسان)، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ... يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾.

٥ ـ يترتّب على الاستغفار لطفان حتميّان: المغفرة والرحمة ﴿يَسۡتَغۡفِرُونَ... ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٦ ـ لأنّ الوحي ينزل من السماء، وفي السماء يكون مسيره: ﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾[1]؛ فعند عبوره من كلّ سماء تكاد تلك السماء تتفطّر، ﴿يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾.

٧ ـ الشرك مرفوض بكافّة أشكاله وأبعاده، ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾.

٨ ـ على المشركين أن يعلموا أنّ ما يَعتقدون به وما يَعملونه قد حفظه الله ﷻ لهم ليحاسبهم به، ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾.

٩ ـ رفض الناس لا ينبغي أن يكون سبباً لتثبيط العزيمة، بل لا بدّ للنبيّ من أن يقوم بما كُلّف به، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾.

١٠ ـ وظيفة النبيّ بيان الوحي، فإن ذهب الناس في اتّجاهات أخرى فلا شيء على النبيّ، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٧.

١١ ـ كان النبيّ مهتمّاً ومتشوّقاً لهداية الناس، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾.

١٢ ـ مسؤوليّة النبي إرشاد الناس، وليس إجبارهم على قبول الحقّ، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾

إشارات

❑ المراد من أمّ القرى بحسب ما ورد في الروايات مكّة المكرّمة. وورد في بعض الروايات أنّ منطقة الكعبة كانت أوّل منطقة ظهرت من تحت الماء، ولذا تسمّى أم القرى.

❑ من أسماء القيامة (يوم الجمع)، فهو الذي يُجمع فيه الناس جميعاً، وتجمع فيه الروح إلى الجسم، ويجمع فيه العمل مع الإنسان، والظالم مع المظلوم، والثواب والعقاب مع مستحقّهما.

❑ **سؤال**: مع أنّ القرآن الكريم يكرّر نقل شكّ الكفار وتعجّبهم من المعاد، فكيف يقول إنّه لا ريب فيه؟

الجواب: تكرَّر قوله تعالى: «لا ريب فيه» في وصف المعاد إحدى عشرة مرّة في القرآن الكريم، وأربع مرّات في وصف القرآن الكريم، ومرّة في وصف الأجل الآتي؛ وهذا يعنى أن التأمل في مظاهر البعث في الطبيعة، ومجيء الربيع والخريف، وخلق الإنسان لا يبقي للشك والترديد في البعث أي معنى، وليس مراد الآية أنَّ أحداً لا يشك في ذلك، بل المراد أنّه لا ينبغي الشك في ذلك.

التعاليم

١ ـ كما كانت بعثة الرسل السابقين بلغة قومهم فكذلك كان نزول القرآن بلغة العرب، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ... قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾.

٢ ـ ألفاظ القرآن أُنزلت إلى النبيّ ﷺ كما هي عليه، ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾.

٣ ـ القرآن أنزل عربياً، وترجمته إلى أيِّ لغةٍ مهما كانت دقيقة ليست كالقرآن،

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، (لأنّ فهم البشر لا يمكنه أن يحيط بتمام حقائق العبارات والألفاظ التي في القرآن، فإنَّ ترجمته سوف تكون على أساس فهم المترجم).

٤ ـ الغرض الأساس من الوحي الإلٰهيّ إنذار الناس، ﴿أَوْحَيْنَآ... لِّتُنذِرَ﴾.

٥ ـ الذي يتكفّل بمهمة إنذار الناس لا بدّ من أن يتمتّع بالعلم والمعرفة بما يلزم، ﴿أَوْحَيْنَآ... لِّتُنذِرَ﴾.

٦ ـ لا بدّ في أسلوب التبليغ من معرفة المخاطبين وحاجاتهم (أوّل حاجة لدى المجتمع الجاهليّ كانت هي الإنذار)، ﴿لِّتُنذِرَ﴾.

٧ ـ لا بدّ في العمل التبليغيّ من ملاحظة الأولويّات بحسب المناطق، الأماكن والإستراتيجيّات. (الأولويّة للمناطق المحوريّة والمركزيّة)، ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

٨ ـ على الداعية أن يبدأ بنفسه وبمن حوله، ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾.

٩ ـ دعوة نبيّ الإسلام ﷺ كانت تدريجيَّة وعلى مراحل متعدِّدة، ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

١٠ ـ لمسألة المعاد من بين محاور الإنذار دور أساس، ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾.

١١ ـ لفصاحة القرآن دور مهمّ في إنذار الناس، ﴿عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ﴾؛ (بناء على أنّ المراد من كونه عربيًّا كونه فصيحاً).

١٢ ـ يوم القيامة مع كونه يوم الجمع هو يوم الفصل والتفريق، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾

إشارات

□ الله ﷻ حكيم، وكلُّ فعلٍ يصدر منه يصدر عن حكمة، وإن لم يتمكّن الإنسان من معرفة وجه الحكمة فيه. وعليه، فمتى ورد في القرآن الكريم: يُعِزُّ من يشاء

ويُذِلُّ من يشاء، فالمراد أنّ الله ﷻ يُعِزُّ قوماً عن طريق الإيمان والعمل الصالح، حيث يجعلهم في مسير رحمته وهدايته، ومتى أراد أن يُذِلَّ قوماً أبعدهم عن طريق السعادة بسبب كفرهم وضلالهم وعنادهم ونفاقهم.

فلو أنّك دخلت بيتاً فوجدت فيه لصّاً فإنّك سوف تبادر فوراً إلى إغلاق الباب حتّى تخبر الشرطة بذلك. فأنت وإن سددت باب الفرار على السارق، ولكنّ السارق هو الذي أوقع نفسه في ذلك. فالله ﷻ يذلُّ قوماً ولكن ذلك بسبب ما لديهم من سوء العقيدة والعمل.

- كلمة وليّ مفرد وكلمة أولياء جمع، وذلك لأنّ من يعبد الله ﷻ لا يرى ولاية إلّا لله ﷻ، ومن يعبد غير الله فله في كلِّ لحظةٍ وليّ.

التعاليم

١ ـ جرت سنّة الله ﷻ على أن يكون الإنسان حرّاً لكي يختار بنفسه السبيل الذي يريده، وإلّا فإنّ الله ﷻ قادر على إجبار الناس على الهدى والحق، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

٢ ـ المنحرفون عن طريق الحقّ، يَظلمون أنفسهم في الحقيقة، ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٣ ـ يُحرم الظالم من أيِّ نوعٍ من العون في يوم القيامة، ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، فلا عون له لا من مقام أعلى ﴿مِّن وَلِيٍّ﴾، ولا عون له من الأصدقاء ومن كان تحت يده، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾.

٤ ـ لا بدّ من الردِّ على الشبهات والأفكار المنحرفة، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ... فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ...﴾.

٥ ـ الإيمان بغير الله ﷻ أمر يوبَّخ عليه الإنسان ويؤنَّب، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾.

٦ ـ لا بدّ من أن تكون الدعوى مقرونة بالدليل، ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٧ ـ كلُّ ولاية لا تكون في ظلِّ ولاية الله ﷻ فهي باطلة وغير مشروعة، ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾.

٨ ـ ولاية الله ﷻ مطلقة واسعة وأبديّة، ﴿هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾.

٩ ـ الولاية حقٌّ لمن يملك القدرة المطلقة، ﴿هُوَ ٱلْوَلِيُّ... وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

إشارات

- حيثما وجد الإنسان فلا بدّ من الاختلاف، وما دام الاختلاف موجوداً فلا بدّ من الاحتكام للقانون الإلٰهيّ وللدّين. إذاً لا يمكن أن ندّعي الاستغناء عن الدّين.
- وردت كلمة ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ في هذه الآية بصيغة الماضي، وكلمة ﴿أُنِيبُ﴾ بصيغة المضارع، ولعلّ بالإمكان القول إنّ التوكّل يقوم على الإيمان الثابت، ولكن الإنابة لازمة في كلّ يوم وفي كلّ لحظة.
- كلمة ﴿عَلَيْهِ﴾ و﴿إِلَيْهِ﴾ تقدّمتا على ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ و﴿أُنِيبُ﴾، أي لا تتوكّل على غيره ولا ترجع إلى غيره.

التعاليم

١ ـ لا يجيب الدّين عن الأسئلة الأخلاقيّة والعقائديّة فحسب، بل يُجيب عن كافّة الأسئلة من سياسيّة، واقتصاديّة، وغير ذلك، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾.

٢ ـ لا وجود في الإسلام لطرق مسدودة، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ... فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ حلّ الاختلاف شأن من شؤون الربوبيّة، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى﴾.

٤ ـ ارجعوا إلى الله ﷻ عند الاختلاف وعليه توكّلوا وإليه أنيبوا، ولا تترددوا في تنفيذ أيّ حكم صدر عنه، ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ... عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

٥ ـ التوكّل والإنابة من نتائج الإيمان بربوبيّة الله ﷻ، ﴿ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾

إشارات

- «الفَطْر» تعني خلق الشيء لا عن سابق. نعم، فَطَرَ في اللغة بمعنى شقَّ وفصل، وهذا التعبير لعلَّه إشارة إلى أنّ السماء والأرض كانتا مادّةً واحدةً متراكمة وبسبب الانفجار انفصلت وتفكّكت إلى كرات، والله العالم.

- لا يمكن تشبيه الله ﷻ بأيِّ شيء. فهو حيٌّ ولكن حياته لا تشبه حياة شيء من الموجودات، ولذا نقرأ في الفقرة ٧١ من دعاء الجوشن:

«يا حيّاً قبل كلِّ حيّ، يا حيّاً بعد كلِّ حيّ، يا حيُّ الذي ليس كمثله حيّ، يا حيُّ الذي لا يُشاركه حيّ، يا حيّ الذي لا يحتاج إلى حيّ، يا حيّ الذي يُميت كلَّ حيّ، يا حيّ الذي يرزق كلَّ حيّ، يا حيّاً لم يرث الحياة من حيّ، يا حيُّ الذي يُحيي الموتى، يا حي يا قيّوم لا تأخذه سِنَة ولا نوم».

التعاليم

١ ـ خلق السموات والأرض كان إبداعاً وابتكاراً بتمامه، ﴿فَاطِرُ﴾.

٢ ـ الهدف من الزوجيّة بقاء النسل؛ (يذرؤكم بمعنى التكثير وقد ورد بعد كلمة أزواج).

٣ ـ الله ﷻ منزّه عن أن تكون له زوجة. (فالزوجيّة في الإنسان والحيوان، ولا تتصوَّر في حقِّ الله ﷻ)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾.

٤ ـ مع أنّه ليس كمثله شيء، ولكنّه مرتبط بالكلّ، فهو سميع وبصير بكلِّ الخلق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

٥ ـ سمع الله ﷻ وبصره يَختلف عن سمع وبصر سائر المخلوقات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

إشارات

□ مقاليد جمع مقليد وهو المفتاح. وهو الوسيلة التي تُستخدم للفتح أو للغلق، ومن له مقاليد السموات والأرض هو الذي يُمكنه أن يفتح باب الرزق للعباد أو يغلقه عليهم.

□ مفاتيح الوجود تارة تكون أسباباً مادّيّةً هي واسطة في الفيض، كالمطر الذي يكون وسيلةً لإحياء الأرض: ﴿...فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ...﴾[(١)]؛ وأخرى تكون أسماء إلهيَّة، ونجد نموذج ذلك في دعاء السِّمات: «أسألك باسمك الذي إذا دُعيت به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت...».

□ سَعَة أو ضيق الرزق لا تدلّ على الرحمة أو العذاب الإلٰهيّين؛ لأنّ القرآن الكريم يقول: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا﴾[(٢)].

□ إنّ سِعَة الرزق أو ضيقه وإن كان بيد الله ﷻ، ولكن على الإنسان أن لا يكفت عن السعي في سبيل الرزق. قال تعالى: ﴿...وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ...﴾[(٣)].

□ الرزق ليس مادّيّاً على الدوام، لأنّنا نقرأ في الدعاء: «أللهم ارزقني توفيق الطاعة وبُعد المعصية».

□ يعلمنا القرآن الكريم أبواب سعة الرزق وهي على ما يأتي:

- ﴿...لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾[(٤)].
- ﴿...ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[(٥)].
- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[(٦)].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٤.
(٢) سورة التوبة: الآية ٥٥.
(٣) سورة الجمعة: الآية ١٠.
(٤) سورة إبراهيم: الآية ٧.
(٥) سورة هود: الآية ٥٢.
(٦) سورة الطلاق: الآيتان ٢ و٣.

التعاليم

١ ـ الأسباب المؤثّرة في عالم الوجود هي بيد الله ﷻ فقط، ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ﴾.

٢ ـ سعَة أو ضيق الرزق ليسا من الأمور التي تتحقّق بالصدفة، بل هما بيد الله الحكيم، ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ... وَيَقْدِرُۚ﴾.

٣ ـ سعَة الرزق لا ترتبط بقدرة الإنسان بل بيد الله ﷻ، ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾.

٤ ـ تقسيم الرزق بيد الله يكون عن علم، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

إشارات

- تعرّضت هذه الآية لأسماء الأنبياء أولي العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، والنبيّ محمّد، صلوات الله عليهم أجمعين.
- محور دعوة الأنبياء كافّة كان واحداً، فقد دعَوا جميعاً إلى التوحيد والمعاد، التقوى والعدالة، الصلاة والصوم، الإحسان إلى الوالدين ومساعدة المحتاج.
- شرع من شريعة بمعنى الطريق الذي يوصل الناس إلى السواحل وشطوط الأنهار الكبرى، كشريعة العلقمي للوصول إلى ماء الفرات. وحيث كانت أحكام الدّين طريقاً للوصول إلى الكمالات أُطلق عليه تسمية الشريعة.
- لم يرد في القرآن الكريم التعبير بـ (أديان)؛ لأنّ الدين الإلٰهيّ واحد لا غير.

التعاليم

١ ـ جعل الله ﷻ شريعته للناس على أساس علمه اللامتناهي، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ شَرَعَ لَكُم﴾.

٢ ـ الدّين والشريعة في سبيل مصلحة الإنسان، ﴿شَرَعَ لَكُم﴾.

٣ ـ النبيّ نوح عليه السلام هو أوّل الأنبياء من أصحاب الشريعة الجامعة، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾.

٤ ـ الإسلام دين جامع ويحوي على تعاليم الأنبياء كافّة، ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا... وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾.

٥ ـ الوحدة الحقيقيّة إنّما تكون في ظلّ دين الله عز وجل، ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾.

٦ ـ المانع من إقامة الدّين وتطبيق أحكامه هو الاختلافات الدينيّة، ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾.

٧ ـ يصعب على المشركين رؤية المؤمنين موحّدين، ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟... كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

٩ ـ النبوّة منصب إلهي، والله عز وجل يختار ويصطفي من يراه مؤهَّلاً لذلك، ﴿يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾.

١٠ ـ قبل أن يجعل الله عز وجل الأنبياء قادةً للناس يختارهم ليكونوا عبادا له، ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾.

١١ ـ الإنسان بعمله يتمكّن من توفير أرضيّة تلقّي الألطاف الإلٰهيّ، ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾

إشارات

- ورد في هذه الآية تارة ﴿جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾، وأخرى ﴿أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي إنّهم مع علمهم بالحقّ ووراثتهم الكتاب السماويّ، ولكنّهم تفرّقوا مع ذلك.
- الشك إذا كان معبراً وطريقاً كان جيداً، ولكنّه لا يصلح محطّة وموقفاً. فالشك الذي يحصل لدى الإنسان بشكل طبيعيّ ويكون دافعاً للبحث والتعلّم أمر إيجابيّ ومهم، ولكن إذا كان الشكّ عن عناد وسوء ظنّ كان سبباً للركود واللامبالاة وهو أمر سلبيّ ومذموم.

التعاليم

١ ـ على الرغم من وصية الأنبياء للناس بالتوحّد، تجد الناس مختلفين، ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ... وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ...﴾.

٢ ـ التفرقة في الدّين تأتي في الغالب من العلماء، ﴿تَفَرَّقُوٓاْ... مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾.

٣ ـ سبب أكثر ما يقع بين الناس من التفرقة هو الحسد والظلم والطمع، ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا... بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾.

٤ ـ الربوبيّة الإلٰهيّة هي سبب الإمهال للعباد، لكي يكون لهم الحريّة والمجال لإظهار جوهرهم وحقيقتهم، ﴿سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾.

٥ ـ الإمهال سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾.

٦ ـ الإمهال له زمان محدّد وأجل معيّن، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾.

٧ ـ الشكّ الذي يقترن بسوء الظن يكون شكّاً مدمّراً، ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

إشارات

- تتحقّق العدالة من خلال توافر مجموعة من التصديقات والاعتقادات: معرفة طريق الحق، ووصايا أنبياء الله، ترك الهوى، الإيمان بالبعث والنشور في محكمة العدل الإلٰهيّ وتلقّي الجزاء المتناسب مع العمل. فقد ورد الأمر بالعدل في هذه الآية إلى جانب التعرّض لهذه المعتقدات.

التعاليم

١ ـ لا بدّ في مقابل التفرقة التي تقوم على أساس الطمع من الثبات على خطّ الدّين، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ﴾.

٢ ـ تبليغ الدين يترافق مع بعض المشاكل التي لا بدّ من تحمّلها، ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ﴾.

٣ ـ الاستقامة المطلوبة هي التي تكون على أساس الحقّ والتكليف وإلا فلن يَنتج عنها إلّا العناد والإصرار، ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾.

٤ ـ اتّباع هوى الناس مخالف لأوامر الله ﷻ، ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

٥ ـ آفة الدعوة إلى طريق الحقّ اتّباع أهواء الناس، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

٦ ـ لا بدّ للقادة الربّانيين من الثبات على أصول دعوتهم، وأن لا يسلّموا للناس في ما يطلبونه من أمورٍ غير المشروعة، ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ...﴾.

٧ ـ الإسلام يعترف بالكتب السماويّة كافة، ﴿ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾.

٨ ـ العدالة أنشودة كافّة الأديان الإلٰهيّة، ﴿لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾.

٩ ـ لا بدّ من أن يكون الأنبياء حكّاماً وبيدهم السلطة حتّى يتمكّنوا من تطبيق العدالة في المجتمع، ﴿لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾.

١٠ ـ الإشارة إلى المشتركات في المعتقدات أفضل بابٍ للدعوة، ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾

إشارات

❑ المحاجّة من الحجّ وهو بمعنى القصد، وتُطلق على الحوار الذي يدور ويكون مراد المتكلّم فيه إثبات صحّة شيءٍ أو بطلانه.

❑ إذا كان الطريق واضحاً وثابتاً فلا ينبغي التخلّي عنه بسبب الشك والوسوسة، ولا تتخلّى عن إيمانك بشخص لمجرّد استماعك لبعض الشائعات. ومتى كانت هناك سنّة أو عرف أو عادة حسنةٌ ومنطقيّة في المجتمع فلا تجادل فيها.

التعاليم

١ ـ بعد معرفة الله ﷻ عن طريق الفطرة والعقل لا داعي للمحاجّة والمجادلة، ﴿يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾.

٢ ـ ليس للشرك أيُّ اعتبار وليس للمشركين منطق، ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾.

٣ ـ السعي لإثارة الشكّ في نفوس المؤمنين موجبٌ للغضب والعذاب من الله ﷻ، ﴿يُحَآجُّونَ... وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾﴾

إشارات

□ (الساعة) هو أحد اسماء يوم القيامة؛ لأنّها تقع فجأة وبشكل غير متوقّع.

التعاليم

١ ـ لا طريق للباطل إلى القرآن الكريم، ﴿أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾.

٢ ـ القرآن الكريم حقيقة أُنزلت من العالم العلويّ لسعادة البشر، ﴿أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

٣ ـ القرآن ميزان ووسيلة للتمييز بين الحقّ والباطل، ﴿ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾.

٤ ـ لا علم للنبيّ ﷺ أيضاً بزمان وساعة القيامة، ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾.

٥ ـ لا ينبغي أن يقع الإنسان في الآمال الموهومة والموجبة لتأخير التوبة والعمل الصالح؛ لأنّ الساعة قد تكون قريبة، ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾.

﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

إشارات

□ إذا كان الضّالون في مكانٍ قريب أمكن تعلّق الأمل بنجاتهم وإنقاذهم؛ ولكن

عندما يكونون في مكانٍ بعيد، فإنَّ ذلك يكون صعباً ولربَّما يكون مستحيلاً: ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾.

❑ سنّة الكفّار والمشركين في مواجهة تحذير الأنبياء إيَّاهم من يوم القيامة هو استعجال ذلك اليوم، فكانوا يقولون: (متى هذا الوعد؟)، أي لِمَ لا يتحقّق؟

❑ الاستعجال وإن كان مذموماً في الكثير من الأعمال، ولكنّه موصى به في بعض الموارد كإقامة الصلاة، ودفن الميت، والزواج المبكّر، وأداء الديون، والتوبة، وإطعام الضيف.

❑ يُمارون بمعنى الإصرار على الترديد والشك. والمشفق من الشفقة وهي الخوف مع الإشراف والمراقبة.

❑ الحقّ صفة أطلقها القرآن الكريم على أمور مختلفة:

ـ الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾[1].

ـ النبيّ: ﴿...أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ...﴾[2].

ـ القرآن: ﴿...أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ...﴾[3].

ـ الدعوة: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ...﴾[4].

ـ المعاد: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾.

ـ الميزان: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ...﴾[5].

التعاليم

١ ـ لا دور للاستعجال من قِبَلنا في التدبير الإلٰهيّ، ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾.

٢ ـ بيان الرأيين والمقارنة بينهما سبب للرشد واختيار الأفضل، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

---

(١) سورة لقمان: الآية ٣٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ١١٩.
(٣) سورة الشورى: الآية ١٧.
(٤) سورة الرعد: الآية ١٤.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٨.

٣ ـ لا بدّ من أن يكون الإيمان على أساس العلم، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا... وَيَعْلَمُونَ﴾.

٤ ـ الإيمان بالمعاد سبب لإيجاد الخوف لدى المؤمنين؛ (لأنّ القيامة هي محلّ ظهور الحوادث المهولة)، ﴿ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ﴾.

٥ ـ العلم والإيمان والخوف إذا كانوا معاً كانوا مثمرين، ولو انفرد أحد هذه الثلاثة لا يكون نافعاً. (فإبليس وبلعم بن باعورا وفرعون كان لديهم علم ولكنّه لم يكن لديهم إيمان ولا خوف)، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾.

٦ ـ أصل الشكّ في المعاد ضلال، وإثارة الشك في المعاد لدى الآخرين والإصرار عليهم في ذلك هو ضلال بعيد، ﴿ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ﴾.

٧ ـ الاستمرار في المراء والجدال أمر مذموم، ﴿يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

- السهولة والدقّة معنيان متضمّنان في كلمة (اللطف). والله ﷻ لطيف لأنّه محيطٌ بدقائق الأمور، ويمكنه القيام بأيِّ عملٍ بسهولة[1].
- إرادة الآخرة دليل على: سعة النظر، وعدم التعلّق بالدنيا، والإيمان بالوعد الإلٰهيّ؛ وبعبارةٍ مختصرة، إرادة الآخرة علامة على حسن العقل واختيار الأحسن.
- ورد في الآية العشرين تشبيه الإنسان بالفلاح الذي يكون عمله الزرع، فنيّته هي البذر، والدنيا هي مزرعة للآخرة.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن.

□ الآخرة أهمّ من الدنيا وذلك لأنّ:

١ ـ طالب الآخر يُزاد له ويوسَّع عليه: ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾.

٢ ـ طالب الآخر يَنال من الدنيا الشيء القليل، ولكن طالب الدنيا لا يَنال من الآخرة شيئاً نافعاً: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

٣ ـ طالب الآخرة يصل إلى كافّة مقاصده وأهدافه: ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾؛ ولكن طالب الدنيا لا يصل إلّا إلى بعض أهدافه: ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾.

التعاليم

١ ـ خلافاً لما في المخلوقات حيث تجد اللطيف منها ليس قويّاً، والقوي منها ليس لطيفاً، فإنّ الله ﷻ لطيف وقوي، ﴿لَطِيفٌۢ... ٱلْقَوِىُّ﴾.

٢ ـ القدرة الإلٰهيّة لا تُغلب أبداً، ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾.

٣ ـ الرزق الإلٰهيّ يكون على أساس اللطف، ﴿لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ﴾.

٤ ـ القدرة واللطف من الله ﷻ هو ضمانة وصول الرزق للإنسان، ﴿لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ... وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾.

٥ ـ الإنسان حرٌّ في اختيار الطريق، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ... وَمَن كَانَ يُرِيدُ...﴾.

٦ ـ قيمة عمل الإنسان ترتبط بأهدافه المنشودة القريبة أو البعيدة وبنيته، ﴿يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ... يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾.

٧ ـ كلُّ العطاء من الله ﷻ: ﴿نَزِدْ لَهُۥ... نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾، والعطاء الإلٰهيّ يَتناسب ونيّة الإنسان وحسن اختياره، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ... وَمَن كَانَ يُرِيدُ﴾.

٨ ـ دور الإنسان هو الاختيار والتصميم، وأمّا مقدار ما يأتيه من الرزق فهو تابع للإرادة الإلٰهيّة، ﴿نَزِدْ لَهُۥ... نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾.

٩ ـ جعل الدنيا هدفاً سببٌ للحرمان الكامل من الآخرة، ﴿يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ... وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

إشارات

- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لولده: «لو كان لربك شريك لأتتك رسله»[١]. وهذه الآية تتضمّن نفس هذا المعنى، فلو كان لله عزّ وجلّ شركاء لبعثوا أنبياء ليشرعوا للناس شرائع وأدياناً.
- ورد عن الإمام زين العابدين في ما يتعلّق بالإمهال الإلٰهيّ: «كان جزائي منك في أول ما عصيتك النار»[٢].

التعاليم

١ ـ الإنسان بحاجة إلى شريعة وقانون، وهذا ما يوفّره الله عزّ وجلّ للإنسان لا غير الله، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم﴾.

٢ ـ الشريعة الحقّ هي ما كانت بإذن من الله عزّ وجلّ فقط، وبدون الإذن الإلٰهيّ لا يكون الشيء شرعيًّا ولا إلهيًّا، ﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾.

٣ ـ البدعة في الدّين وتشريع قوانين دون إذن من الله عزّ وجلّ شركٌ بالله، ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾.

٤ ـ إمهال الناس لكي تبرز حقيقتهم ويستبين جوهرهم سنّة إلهيّة حتميّة، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾.

٥ ـ إمهال المنحرفين لطف إلهيّ لعلّ الإنسان يفكّر بالتوبة والإيمان، ولولا هذا اللطف بالإنسان فإنّ الله عزّ وجلّ يعذّبه على أوّل معصية وذنبٍ يَقع به، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ﴾.

٦ ـ الشرك ظلم والمشرك ظالم، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ... إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٣١.
(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء السادس عشر.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات

- الروضة تُطلق على المحلّ الذي يكون فيه شجر وماء.

التعاليم

١ ـ العمل السيّئ الصادر من الإنسان لا يناله منه إلّا نار جهنّم، ﴿مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾.

٢ ـ لا فائدة ولا نفع في الخوف من العذاب في يوم القيامة، ﴿مُشۡفِقِينَ... وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾.

٣ ـ اللذائذ الماديّة والمعنويّة متقارنة في الجنّة، ﴿رَوۡضَاتِ... عِندَ رَبِّهِمۡ﴾.

٤ ـ الحرمان في الدنيا واجتناب المحرّمات سوف يعوَّض عنه في الآخرة، ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾؛ (كلّ ما يرغب فيه المؤمنون من نعم ماديّة ومعنويّة سوف يصل إليهم في الجنّة).

٥ ـ على الرغم من أنّ أهل الجنّة هم أهل الإيمان والعمل الصالح؛ ولكنّ النّعم الإلٰهيّة كلّها هي من فضل الله ﷻ وليست بإزاء عملهم، ﴿ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

٦ ـ لا ينتظر من الله الكبير إلّا الفضل الكبير، ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات

- ورد في الآية السابقة أنّ جزاء المؤمنين والمحسنين هو الجنّة التي لهم فيها ما يشاؤون، وفضلٌ من الله أكبر. وتتعرّض هذه الآية لثواب من كان سبباً لهداية ملايين من الناس إلى الجنّة، أي نبيّ الإسلام ﷺ.

إذا كانت هديّة بقدر باقة ورد تستلزم الشكر والثواب، فأيّ ثواب تستلزمه هداية البشريّة؟ إذا راجعنا آيات القرآن الكريم في هذا المجال فسنجد أنّ شعار الأنبياء جميعاً هو أنّهم لا يطلبون أجراً على ذلك، إنْ أجرهم إلّا على الله ﷻ. ففي سورة الشعراء من الآية ١٠٩ إلى الآية ١٢٧ لاحظ كلام النبيّ نوح، هود، صالح، لوط وشعيب ﵈، وفي سورة سبأ الآية ٤٧ لاحظ كلام رسول الله ﷺ حيث يقول: ﴿...إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾.

نعم، لا شك في أنّ الأنبياء لا يريدون جزاء ماديًّا، ولكنّهم يطلبون من الناس الطاعة والاهتداء بهديهم؛ لأنّهم ﵈ وكما ورد في سورة الشعراء وبعد نفيهم طلب الأجر، كان قولهم: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾. إذاً لا يطلب الأنبياء أجراً ماديًّا، ولكن الأجر المعنويّ أي هداية الناس أمر يطلبونه وهذا الأجر يعود نفعه في الحقيقة إلى الناس أنفسهم، كالأستاذ الذي يخاطب تلميذه بقوله: أنا لا أطلب منك أجراً بل ما أريده فقط أن تدرس، فإنّ ذلك هو أجري، فهذا الأجر يعود نفعه للتلميذ نفسه.

- ما هو أجر رسالة نبيّ الإسلام ﷺ؟ لم يطلب النبيّ ﷺ أجراً على الرسالة ولكن ورد الأمر الإلٰهيّ له بكلمة (قل) بأن يطلب من الناس الأجر المعنويّ على الرسالة، هذا الأجر الذي يرجع نفعه إلى الناس أنفسهم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ...﴾[1].

وهذا الأجر المعنويّ ورد التعبير عنه بنحوين: فتارة ورد التعبير عنه بالتالي: ﴿...إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[2]، وأخرى ورد التعبير عنه بقوله: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾. إذا أجر الرسالة يتمثّل بأمرين: أحدهما اختيار السبيل الإلٰهيّ، والآخر مودّة ذوي القربى. والملفت أنّ كلمة (إلّا) وردت في كلا الآيتين أي ليس أجري سوى هذا ولا شيء غيره.

وبشيء من التأمّل نصل إلى أنّ طريق الله ﷻ ومودّة أهل البيت ﵈ شيء واحد، لأنّهما لو كانا اثنين لوقع التناقض، فلا يمكنك أن تقول: أنا لا أدرس

(١) سورة سبأ: الآية ٤٧. (٢) سورة الفرقان: الآية ٥٧.

إلّا في الصيف، وتقول أيضاً: أنا لا أدرس إلّا في الشتاء، لأنّ الحصر لا بدّ من أن يكون بشيء واحد.

ونبيّ الإسلام مأمورٌ من قِبَل الله ﷻ بأن يقول للناس، أنا لا أطلب منكم أجراً إلّا أن تتّخذوا سبيل الله ﷻ سبيلاً وإلّا المودّة للقربى. فهذا طلب واحد وهما شيء واحد، فسبيل الله هو مودّة ذوي القربى.

والمودّة من جهة أخرى تتوقّف على أمرين: أحدهما المعرفة؛ لأنّ الإنسان ما لم يتعرّف لا يمكنه أن يبرز المودّة. والثاني الطاعة؛ لأنّ المودّة مع عدم الطاعة هي رياء وتملّق وكذب. إذاً من سلك طريقاً غير طريق طاعة أهل البيت عليهم السلام فلم يسلك سبيل الله ﷻ. هذا هو مضمون القرآن.

وأمّا بنظر العقل، فالعقل يرى أنّ الجزاء لا بدّ من أن يكون بمقدار العمل، ولا يوزن الرسالة إلّا الإمامة التي هي استمرار للرسالة، فأجر الرسالة استمرار الهداية، وأجر المعصوم أن يوكل الأمر إلى معصوم آخر، وأجر العادل أن يسلّم ما بذله لعادل آخر.

والعقل يقول: ما دام اللطف قائماً فالشكر لا بدّ من أن يكون دائماً، وما دام لطف رسول الله ﷺ يشملنا اليوم وقد هدينا إلى الإسلام، فلا بدّ من أن نؤدّي أجر الرسالة، وإذا كان أجر الرسالة هو المودّة في القربى، فلا بدّ من أن نضحّي لكي نتمكّن من مودّتهم وإطاعتهم. نعم، لا بدّ من أن نظهر المودّة اليوم للإمام المهدي (عجّل الله فرجه)، وأن نكون مطيعين له. فهل يمكن أن ندّعي بأنَّ مسلمي صدر الإسلام كانوا مأمورين بأداء أجر الرسالة لنبيّ الإسلام ﷺ، وأن يودّوا ذوي القربى، ولكن المسلمين اليوم لا يجب عليهم ذلك وليست هي وظيفتهم؟! نعم، مودّة الإمام المهديّ (عجّل الله فرجه) في زمان الغيبة تتمثّل بالعمل بأوامره واتّباع من أوكل الأمر إليهم أي الفقهاء العدول المخالفين لهواهم.

ويدرك عقل الإنسان أن مودّة ذوي القربى والتي هي أجر الرسالة للنبي ﷺ

الذي تحقّقت على يديه هداية ملايين الناس ووصولهم إلى سعادتهم وإلى فضل الله الكبير، هذه المودّة تستلزم أن يكون هؤلاء الذين تجب مودّتهم من المعصومين وأن يكونوا أفضل الناس؛ لأنّ مودّة المذنب لا يمكن أن تكون أجراً للنبيّ المعصوم. ولا يمكننا تصديق أنّ مودّة المذنبين والعصاة واجب على المسلمين على مرّ التاريخ. وأيُّ فرقة من المسلمين (عدا الشيعة) لا ترى العصمة لقادتها وأئمّتها كما لم يتمكّن أحد أن ينقل عن الأئمة المعصومين أنّهم ارتكبوا ذنباً، كما لم ينقل لنا التاريخ أنّه كان لهم أساتذة ومعلّمون.

العقل يقول: إيكال أمر البشر إلى غير المعصوم ظلمٌ للإنسان بل ظلمٌ لكافّة عالم الوجود؛ لأنّ عالم الوجود خُلِقَ كلّه لأجل هذا الإنسان، (ورد في الآيات: خلق لكم، سخر لكم، متاعاً لكم)، والإنسان خُلِقَ لكي يتكامل ويقترب من الكمال اللامتناهي، أفلا يكون من الظلم إيكال أمر هذا الإنسان مع هذه الأهداف العليا التي وجد لأجلها هو من الظلم له ومن الظلم لعالم الوجود؟

والروايات وردت بأنّ ولاية المعصوم هي أساس هذا الدين، «بُني الإسلام على خمس... الولاية»[1]، وأنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو: «قسيم الجنّة والنار»[2]، وأنّ الصلاة لا تقبل دون ولاية[3]، وأنّ مودّة أهل البيت حسنة[4]، كما ورد الأمر بزيارتهم والتوسّل بهم. إنّ هذه المضامين كلّها لأجل هذا الجوهر الكيميائيّ المسمّى بالمودّة.

- أورد الزمخشريّ والفخر الرازيّ وهم من كِبَار مفسّري أهل السنّة في تفسيريهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«من مات على حبِّ آل محمد مات شهيداً». «من مات على حبِّ آل محمّد مات تائباً». «من مات على حبِّ آل محمّد مات مستكمل الإيمان». «من مات على حبِّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة».**

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢٧، ص ١٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤٣، ص ٣٦٢.

والآن نسأل: هل تكون المودّة بدون طاعة وزان الشهادة، المغفرة، والإيمان الكامل؟

وفي تفسيريهما ذكرا في ذيل هذه الآية هذه الرواية عن رسول الله ﷺ: «**أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ كَافِراً أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَشَمَّ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**»[١].

□ ذكر الفخر الرازيّ في تفسيره أنّ هذه الآية عندما نزلت على النبيّ ﷺ سئل عن ذوي القربى الذين تجب مودّتهم فقال: «**علي وفاطمة وأبناءهما**»، ثمّ قال: «لا شك أنّ النبيّ ﷺ كان يحبّ فاطمة عليها السلام قال ﷺ: «**فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها**»، وعقوبة من آذى رسول الله ﷺ وردت في القرآن الكريم وهي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٢].

□ ورد في الرواية عن الإمام الحسن عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾، «**اقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت**»[٣].

التعاليم

١ ـ بشارة الله ﷻ عظيمة وكبيرة، ﴿رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ... مَّا يَشَآءُونَ... ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ... ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾.

٢ ـ علامة العبوديّة لله ﷻ الإيمان والعمل الصالح، ﴿عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٣ ـ سرّ نزول كافّة النّعم والبشارة العبوديّة لله ﷻ، الإيمان والعمل الصالح، ﴿عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟...﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٣٣.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.
(٣) تفسير نمونه؛ والتفسير الصافي.

٤ ـ مودّة ذوي القربى مصداق واضح للإيمان والعمل الصالح، ﴿يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ... إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾.

٥ ـ لأنّ طلب الأجر من قبل الإنسان وبلسانه صعب، توجّه الأمر للنبيّ ﷺ من الله ﷻ بإعلان ذلك للناس، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ...﴾.

٦ ـ لا تمكن المودّة مع عدم المعرفة؛ (فأجر الرسالة هو معرفة أهل بيت النبيّ ﷺ ومودّتهم)، ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾.

٧ ـ المودّة دون طاعة تكون رياءً وتملّقاً. (فالمودّة لذوي القربى تكون بالطاعة لهم)، ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾.

٨ ـ ذوو القربى معصومون؛ لأنّ مودّة العصاة والمذنبين لا يمكن أن تكون أجرا على الرسالة، ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾.

٩ ـ المودّة التي تكون قرينة المعرفة والطاعة لا تستقرّ إلا في أهل البيت عليهم السلام (كلمة في تدلّ على أنّ المودّة هي فقط لأهل البيت عليهم السلام)، ﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾.

١٠ ـ المودّة في القربى هي طريق لاكتساب الحسنات، ﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾.

١٢ ـ مودّة ذوي القربى حسنة، ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾.

١٣ ـ مودّة ذوي القربى سببٌ لتلقّي المزيد من الثواب والجزاء، ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ﴾.

١٤ ـ محبّة أهل بيت عليهم السلام باب لنيل المغفرة من الله ﷻ، ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ... إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾.

١٥ ـ إنّ الله ﷻ شكور لمن أدّى واجبه بمودّة أهل البيت عليهم السلام، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

- كان منكرو النبوّة يقولون في الرسالة وبعثة النبيّ ﷺ: ﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، وكذلك فعلوا في مسألة الإمامة.
- تذكر هذه الآية أنّ غضب الله ﷻ ينزل على النبيّ ويختم على قلبه لو كان هذا القرآن افتراءً على الله ﷻ، وهو شبيه بما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[1].
- ذات الصدور الأفكار التي تكون في داخل الصدور.

التعاليم

١ ـ بعض من أنكر أن تكون مودّة أهل البيت عليهم السلام من الرسالة، اتّهموا النبيّ ﷺ بأنّه افترى ذلك على الله كذباً في قوله إنّ أجر الرسالة هو مودّة ذوي القربى، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ﴾.

٢ ـ لا بدّ لتوضيح الأمور من طرح الشبهة والإجابة عنها، ﴿أَمْ يَقُولُونَ... فَإِن يَشَإِ اللَّهُ﴾.

٣ ـ لا يُقبل ما كان افتراءً من أيّ شخص كان، ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. (لو أنّ النبيّ افترى أدنى افتراء فإنّ الله ﷻ سوف يحرمه من الوحي ويفضح ذلك الكذب).

٤ ـ الختم على القلب هو من أعظم أنواع العذاب الإلٰهيّ؛ لأنّه عقاب على أعظم الذنوب، ﴿افْتَرَىٰ... يَخْتِمْ﴾.

٥ ـ القلب محل تلقّي الوحي الإلٰهيّ، ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. كما ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾[2].

---

(١) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ ـ ٤٦.
(٢) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣، ١٩٤.

٦ ـ محق الباطل وإحقاق الحقّ سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾.

٧ ـ يسلّي الله ﷻ نبيّه ﷺ بوعده إياه بمحو الباطل وانتصار الحقّ وإحقاقه، ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ... وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾.

٨ ـ لم يفتر النبيّ ﷺ على الله ﷻ، كما لم يفكّر بذلك إطلاقاً؛ لأنّ الله ﷻ محيط وعليم بما في الصدور، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ قبول توبة العاصين والعفو عنهم بيد الله ﷻ فقط، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾.

٢ ـ لا طرق مسدودة في الإسلام وطريق العودة والإنابة مفتوح على الدوام، ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾.

٣ ـ يعفو الله ﷻ عن الذنوب جميعاً، ﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ (كلمة سيئات جمع وقد ورد مع الألف واللام وهذا يعني كافّة الذنوب).

٤ ـ يرغّب الله ﷻ عباده بالتوبة من خلال الوعد بالمغفرة، ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ... وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

٥ ـ لا بدّ من أن تكون التوبة مع العمل على التغيير في القول والفعل، وإلّا كانت نفاقاً ورياء، والله يعلم بذلك، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات

□ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في هذه الآية قوله عليه السلام: **«هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب فيقول له الملك: آمين ويقول الله العزيز الجبار: ولك مثلاً ما سألت وقد أُعطيت ما سألت بحبّك إيّاه»**(١).

(١) تفسير نور الثقلين.

□ ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال في قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممّن صنع إليه معروفاً في الدنيا(١).

التعاليم

١ ـ يستجيب الله عزّ وجلّ دعاء المؤمنين الذين عملوا الصالحات، ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾.

٢ ـ شرط استجابة الدعاء الإيمان والعمل الصالح، ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٣ ـ الزيادة سوف تكون من نصيب المؤمنين وهي نموذج للفضل الإلٰهيّ، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾.

٤ ـ لا بدّ من أن يقترن الترغيب بالترهيب، ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ... وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ... يَسْتَجِيبُ... وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ... وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات

□ ورد في الآية السابقة أنّ الله عزّ وجلّ وعد باستجابة دعاء المؤمنين، وهنا يأتي السؤال عن بعض أدعية المؤمنين في طلب الرزق لماذا لا تُستجاب؟

والجواب عن ذلك أنّ استجابة الدعاء تابعة للحكمة الإلٰهيّة، فقد تكون سعة الرزق باباً من أبواب الغفلة عن الله عزّ وجلّ وسبباً في الطغيان والتعدّي، فكم من الناس كانت الثروة سبباً في هلاكهم.

□ **سؤال**: إذا كانت سعة الرزق سبباً للطغيان، فلماذا وسّع الله عزّ وجلّ الرزق على بعض الناس فأدّى إلى طغيانهم؟

الجواب: السنن الإلٰهيّة متعدّدة وعلى مراحل. فكما أنّ الحدّ من الرزق لأجل

(١) تفسير مجمع البيان؛ تفسير نور الثقلين.

المنع من الفساد والطغيان هو من السنن العامّة، فكذلك التوسعة في الرزق وإمهال المترفين إنّما هو سنّة إلهيّة لاختبارهم وامتحانهم. فالقانون العام تحديد الرزق؛ ولكن قد تحصل التوسعة في الرزق أحياناً لأجل اختبار الناس وامتحانهم(١).

❑ قد يكون الحدّ من الرزق أحياناً لأجل تربية هذا الإنسان.

التعاليم

١ ـ كما أنّ العطاء الإلٰهيّ لطف فكذلك الحرمان الإلٰهيّ هو أيضاً لطف، ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟﴾.

٢ ـ توزيع الفضل الإلٰهيّ يكون طبقاً للمصلحة والحكمة وليس طبقاً لميول الإنسان ورغباته، ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ العلاقة الاجتماعيّة السليمة تتحقّق في ظلّ الحياة المعتدلة وبقدر الحاجة، ﴿وَلَوْ بَسَطَ... لَبَغَوْا۟﴾.

٤ ـ لا ينبغي للمؤمن أن يسيء الظنّ بالله ﷻ بسبب ضيق العيش، ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ﴾.

٥ ـ الرفاهيّة الزائدة طغيان، ﴿وَلَوْ بَسَطَ... لَبَغَوْا۟﴾.

٦ ـ المشيئة الإلٰهيّة تابعة للحكمة الإلٰهيّة، ﴿مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

٧ ـ رزق الناس ينزل بقدَر، ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات

❑ تطلق كلمة «غوث» على المطر النافع. وأمّا المطر فهي أعم لأنّه يُطلق على ما

---

(١) تفسير الميزان.

كان مفيداً ونافعاً وعلى ما كان مضرًّا. كما قال تعالى: ﴿...أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ...﴾[1].

❑ القنوط هو اليأس، والبثّ هو التوزيع والنشر.

التعاليم

١ ـ بعد اليأس يأتي الأمل. وبعد الليل يشرق فجر الصباح، ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾.

٢ ـ الملجأ الوحيد للإنسان في مصائبه هو الله ﷻ، ﴿وَهُوَ الَّذِي... مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾.

٣ ـ الغيث مظهر من مظاهر الرحمة الإلٰهيّة، ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ... وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾.

٤ ـ قلّة الغيث في بعض الأحيان للحدّ من طغيان الإنسان، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا... يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾.

٥ ـ الولاية الممدوحة والدائمة هي لله ﷻ خاصّة، ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

٦ ـ خلق السموات والأرض وما بينهما نموذج من الآيات الإلٰهيّة، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾.

٧ ـ قدرة الله ﷻ على الخلق الأوّل دليل قدرته على البعث والحشر، ﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ... قَدِيرٌ﴾.

٨ ـ في السماء موجودات حيّة أيضاً، ﴿بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

٩ ـ من النِّعم الإلٰهيّة ما بثّ في مناطق مختلفة من الأرض من دوابّ. (لو أنّ كافّة الأغنام كانت في منطقة وكافّة الأبقار في منطقة أخرى لكانت حياة الإنسان غاية في الصعوبة)، ﴿بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

١٠ ـ تعيين زمان القيامة بيد الله ﷻ فقط، ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٠.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾﴾

إشارات

□ **سؤال**: إذا كانت المصائب بما كسبت أيدينا فما هو سرّ المصائب التي ابتلي بها أولياء الله ﷻ؟

الجواب: السنن الإلٰهيّة متعدِّدة، ومن هذه السنن الإلٰهيّة أنّ الله ﷻ يُذيق الإنسان المصيبة على عمله السيّئ وهو ما ورد في هذه الآية، ومن السنن الإلٰهيّة أيضاً فتح باب التكامل أمام الإنسان من خلال ما يعترضه في حياته من ابتلاءات ومصائب. فالمصائب والابتلاءات التي يُبتلى بها المعصوم هي لتكامله ولعلوّ درجته وليكون أسوةً للآخرين. وقد ورد في الحديث: «البلاء للظالم أدب وللمؤمن ابتلاء وللأولياء درجة»[1].

□ يشبه هذه الآية ما ورد في الآية ٤١ من سورة الروم حيث يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

التعاليم

١ ـ بين سلوك الإنسان وما يصيبه من خيرٍ أو شرّ ثمّة علاقة وارتباط، ﴿مَآ أَصَٰبَكُم... فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾.

٢ ـ الشرور والمصائب التي يُبتلى بها الإنسان هي بعضٌ من آثار ما كسبت يداه والله ﷻ يعفو عن الكثير، ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾.

٣ ـ للمصائب جنبة تحذير وإنذار ولو كانت انتقاماً لم يكن معنىً للعفو، ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٨٠، ص ١٨٩.

٤ ـ نتائج جنايات البشر ترجع إليهم ولا تأثير لها على ربّ العزة والجلال، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

٥ ـ لا يمكن للإنسان أن يجعل كافّة الأسباب تحت سيطرته وأن ينجو من آثار معاصيه، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

٦ ـ السبب في كثيرٍ من المخالفات هو السعي للوصول إلى الحامي والنصير، مع أنّ النصير الوحيد هو الله ﷻ، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٣٢ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣٣﴾

إشارات

- الجواري جمع جارية وهي السفينة عند جريانها وحركتها، والمراد من قوله ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ السفن الكبرى أو الجبال الجليديّة حال سيرها.
- لا ينبغي أن نُغفِلَ دور الرياح في الطبيعة. فتنفس الموجودات الحيّة، حركة السفن، انتقال الغيم، نموُّ النبات، وتعديل الهواء كلّه ببركة حركة الرياح، بل تشكّل حركة الرياح اليوم مصدراً من مصادر الطاقة.
- وردت كلمة صبَّار في القرآن الكريم أربع مرّات، وبعدها في هذه الموارد وردت كلمة ﴿شَكُورٍ﴾، وهذا يدل على أنّ الصبر والشكر معاً لهما دور أساس. وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**الإيمان نصفان: فنصف في الصبر، ونصف في الشكر**»[1].

التعاليم

١ ـ التناسب بين ماء البحار وبين السفن من حيث الوزن والحجم هو من علامات

(١) تفسير الصافي.

القدرة الإلٰهيّة، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ﴾. فعدم غرق السفن في أعماق البحار بسبب هذا الاختلاف الذي جعله الله ﷻ بين الأجسام والأجرام.

٢ ـ إنّما يعرف الناس قدر النعمة بعد زوالها، ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾.

٣ ـ ما نراه آيةً يراه أهل الصبر والثبات أكثر من آية، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾.

٤ ـ الطبيعة ومظاهرها من الماء والريح، هي آية وعلامة لمن كان صابراً على مكاره الدنيا وشاكراً على نعمها، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات

- يوبقهنّ من الإيباق وهو الإهلاك، وههنا كناية عن الإغراق. المحيص من الحيص وهو طريق الفرار والنجاة.
- بدل التفكير في آيات الله ﷻ يتّجه المنحرفون ناحية الجدال فيها، ففي الآيات السابقة قال تعالى: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، وفي هذه الآية قال تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن يرى الإنسان نفسه في أمان أبداً. فالله ﷻ يقدر من أن يُهلِكَ هذا الإنسان في البرّ أو في البحر بسبب سوء عمله، ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾.

٢ ـ تكفي بعض الذنوب لكي يُكتب علينا الهلاك، ﴿يُوبِقْهُنَّ... وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾.

٣ ـ اللطف الإلٰهيّ يغلب على الغضب، ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾.

٤ ـ العقوبة والعفو بيد الله ﷻ، ﴿يُوبِقْهُنَّ... وَيَعْفُ﴾.

٥ ـ من يستبدل الإيمان بالقدرة الإلٰهيّة بتفسير ظواهر الطبيعة بالتحليل المادّيّ سوف لن يجد أنّ له من مفرٍّ عند نزول العذاب الإلٰهيّ، ﴿يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا... مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾.

٦ ـ يُحرم الكفّار المعاندون من العفو الإلهيّ، ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ... مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات

- كان الحديث في الآية السابقة عن الجدال، وكأنّ هذه الآية أرادت أن تبيّنَ أنّ سبب الجدال هو التعلّق بالدنيا التي هي متاع قليل.

التعاليم

١ ـ إنّ ما عندنا ليس من عندنا؛ بل هو من لطف الله ﷻ بنا، ﴿أُوتِيتُم﴾.

٢ ـ إنّ ما عندنا ليس بشيء حتّى تتعلّق به قلوبنا؛ بل إنّ كلَّ عالم الوجود ليس بشيء، ﴿فَمَآ أُوتِيتُم... فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ﴾.

٣ ـ مع أنّ الله ﷻ هو الواهب للدنيا وللآخرة؛ ولكنّه يصف الآخرة فقط بأنّها من عنده، ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ إنّ ما يضحّي به الإنسان المؤمن في هذه الدنيا، يُبدِله الله ﷻ خيراً منه في الآخرة، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

٥ ـ الدنيا تُعطى للجميع، ﴿أُوتِيتُم﴾.

٦ ـ الآخرة تختصّ بالمؤمنين المتوكّلين، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

٧ ـ الدنيا تفنى بسرعة وما عند الله أبقى، ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ... وَأَبْقَىٰ﴾.

٨ ـ التوكّل صفة دائمة في المؤمن، ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

- تعرّضت الآية السابقة للحديث عن الإيمان والتوكّل وهما فعلان من أفعال القلب. وفي هذه الآية الحديث عن أفعال الجوارح.

❑ ما هي الذنوب الكبيرة؟

❑ يذكر الإمام الخمينيّ (قدس سره) في تحرير الوسيلة عند بيانه لشروط إمام الجماعة التالي: «وأمّا الكبائر فهي كلّ معصية ورد التوعيد عليها بالنار أو بالعقاب، أو شدّد عليها تشديداً عظيماً، أو دلّ دليل على كونها أكبر من بعض الكبائر أو مثله، أو حكم العقل على أنّها كبيرة، أو كان في ارتكاز المتشرّعة كذلك، أو ورد النصّ بكونها كبيرة، وهي كثيرة: منها اليأس من روح الله، والأمن من مكره والكذب عليه أو على رسوله وأوصيائه عليهم السلام، وقتل النفس التي حرّمها الله إلّا بالحقّ، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وقطيعة الرحم، والسحر، والزنا، واللواط، والسرقة، واليمين الغموس، وكتمان الشهادة، وشهادة الزور، ونقض العهد، والحيف في الوصية، وشرب الخمر، وأكل الربا، وأكل السحت، والقمار، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله من غير ضرورة، والبخس في المكيال والميزان، والتعرب بعد الهجرة، ومعونة الظالمين، والركون إليهم، وحبس الحقوق من غير عذر، والكذب، والكبر، والإسراف، والتبذير، والخيانة، والغيبة، والنميمة، والاشتغال بالملاهي».

التعاليم

١ ـ شرط نزول النِّعم الإلٰهيّة العظيمة وذات الأهميّة مضافاً إلى الإيمان والتوكّل، الابتعاد عن الذنوب والتحكّم بالشهوات وبالغضب، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ... وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ﴾.

٢ ـ تطهير الذات أوّل خطوة في الإصلاح، ثمّ بعد ذلك يبدأ بناء الذات وبناء المجتمع، ﴿يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾.

٣ ـ الشهوة والغضب هما منشأ الكثير من الذنوب؛ لذا لا بدّ أولا من الابتعاد عن الشهوات ثمّ الحذر عند الغضب، ﴿يَجۡتَنِبُونَ... وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾.

٤ ـ بتقوى الله عز وجل والاجتناب عن الذنوب يمكن تقوية العلاقة بالله، ومن خلال العفو عند الغضب يمكن تقوية العلاقة بالناس، ﴿يَجۡتَنِبُونَ... يَغۡفِرُونَ﴾.

٥ ـ الكمالات تكون ذات قيمة إذا أصبحت سيرة وأسلوبا في حياة الإنسان، ﴿يَجۡتَنِبُونَ... يَغۡفِرُونَ﴾ (مجيء الكلمات بصيغة المضارع).

٦ ـ المؤمن يسيطر على نفسه، ﴿يَجۡتَنِبُونَ... يَغۡفِرُونَ﴾.

٧ ـ الغضب غريزة ولكن التحكّم بها ضروريّ، ﴿غَضِبُواْ﴾.

٨ ـ المؤمن إذا غضب عفا من ذاته، لا بسبب تدخّل الآخرين، ﴿هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات

- اشترط طلحة والزبير على الإمام علي عليه السلام أن يبايعاه على: «أن لا تقتضي الأمور ولا تقطعها دوننا وأن تستشيرنا في كلِّ أمرٍ ولا تستبدّ بذلك علينا ولنا من الفضل على غيرنا على ما قد علمت». فأجابهما الإمام عليه السلام: **«نظرت في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلاني عليه واتّبعته ولم أحتج إلى رأيكما فيه، ولا رأي غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه، ولا في السنّة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه»**[١].

- تؤكّد الآية ٣٨ على الشورى في إدارة أمور المجتمع، ولذا أُطلق على هذه السورة (سورة الشورى). ونتعرّض هنا لبعض الروايات الواردة في مسألة الشورى[٢].

ـ «شاور العلماء الصالحين».

ـ «واجعل مشورتك من يخاف الله».

ـ «شاور المتّقين الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا».

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٤١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٠٥.

ـ «خير من شاورت ذوي النهى والعلم وأولو التجارب والحزم».
ـ «لا تدخّلنّ في مشورتك بخيلاً ولا جباناً ولا حريصاً».
ـ «رأي الرجل على قدر تجربته».
ـ «أن يكون حرّاً متديّناً صدّيقاً وأن تطلعه على سرّك».
ـ «مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله».
ـ «شاور في أمورك من فيه خمس خصال: عقل، وعلم، وتجربة، ونصح، وتقوى».

❑ **سؤال**: لماذا ورد النهي في الكتاب ٣١ من نهج البلاغة النهي عن مشورة النساء؟

الجواب: المشورة لا ترتبط بجنس المستشار، بل تتبع ملاكاً ومعياراً عاماً. فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**فإنّ رأيهنّ إلى أفن**»[١]، فإنّ المرأة ونظراً لكون العاطفة والأحاسيس تغلب عندها على العقل والرأي المستدلّ. ولذا ورد في حديث آخر: «إيّاك ومشاورة النساء، إلّا من جرِّبت بكمال عقل»[٢]؛ لذا فإنّ سبب النهي عن مشورة النساء هو ضعف رأيهنّ، وإذا كان الرجل كذلك فهو أيضاً ممَّن لا يُستشار.

❑ **سؤال**: ورد في القرآن الكريم ذمّ أكثر الناس فقال تعالى: ﴿...أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٣]، ﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤]، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٥]، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٦]، فكيف يُوصي بمشورة الناس؟

الجواب: إنَّ الأكثريّة التي يصفها القرآن بهذا هي أكثر الناس الذين يقعون في الشرك والفساد واتّباع الهوى وليس مراد (أكثر المتّقين) ولا (أكثر المؤمنين).

❑ **فوائد المشورة**:

ـ قليل احتمال الخطأ.

---

(١) نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، ص٤٠٥.
(٢) بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٥٣.
(٣) سورة المائدة: الآية ١٠٣.
(٤) سورة الانعام: الآية ٣٧.
(٥) سورة التوبة: الآية ٨.
(٦) سورة المؤمنون: الآية ٧٠.

ـ تنمية الاستعدادات.

ـ مانع من الاستبداد.

ـ مانع من حسد الآخرين. فإذا شاورنا الآخرين فإنَّهم يعتقدون بأنّ ما نصل إليه هو بسبب ما اقترحوه من رأي ولذا لا يقعون في الحسد. فالابن الذي ينمو لا يحسده الأب لأنّه يرى ذلك منه.

ـ المدد الإلٰهيّ يأتي مع المشورة، ولذا اشتهر في ثقافتنا الدينيّة «يد الله مع الجماعة».

ـ الاستفادة ممّا يقدمه الآخرون من رأي لأنّ من شاور الرجال شاركهم في عقولهم.

ـ في المشورة نوع من الاحترام للناس، فالمشورة وإن لم تقدّم شيئاً جديداً للإنسان ولكنّها تدلّ على احترام الناس.

ـ المشورة وسيلة لمعرفة الآخرين، فلا يُعرف الرجل حتّى يتحدّث لأنّ المرء مخبوء تحت لسانه.

ـ من خلال المشورة يمكن معرفة مدى العلم الذي يملكه الناس ومدى التزامهم وإبداعهم.

❑ **سؤال**: هل مشورة النبيّ ﷺ أمر شكليّ فقط؟

الجواب: لا، لأنّه لو استشار الناس وعمل بخلاف ذلك فإنّ في هذا مضافاً إلى عدم الاحترام جرحاً لمشاعر الناس.

والنبيّ ﷺ شاور الناس في معارك بدر، أحد، الخندق، الحديبيّة، غزوة بني قريظة وبني النضير وفتح مكّة وغزوة تبوك.

❑ المشورة لا تكون إلّا في المسائل التي تتعلّق بالناس، فلا تصحّ المشورة في الأمور التي تتعلّق بالله ﷻ كالبعثة، الإمامة والعبادة. فالصلاة عهد من الله ﷻ «الصلاة عهد الله»، ولا مشورة في عهد الله بل لا بدّ من الوفاء بهذا العهد. وكذلك الإمامة والنبوة فإنّها عهدٌ إلهيّ؛ ولذا عندما طلب إبراهيم من ربّه أن

يجعل الإمامة في ذرّيته، جاءه الجواب: لا ينال عهدي الظالمين، إذاً لا بدّ من التسليم لقائد الأمة ولذا قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فالإمامة اختيار إلهيّ.

□ الإسلام دين جامع وكامل وقد اشتمل على كافّة الأمور:

- في المسائل العقائديّة: ﴿ءَامَنُوا... يَتَوَكَّلُونَ﴾.
- في المسائل الأخلاقيّة: ﴿يَجْتَنِبُونَ... يَغْفِرُونَ﴾.
- في المسائل الاجتماعيّة: ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.
- في المسائل العباديّة: ﴿أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾.
- في المسائل الاقتصاديّة: ﴿يُنفِقُونَ﴾.
- في المسائل السياسيّة والعسكريّة: ﴿يَنتَصِرُونَ﴾.
- والملفت هنا أنّها جميعا وردت بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار.

التعاليم

١ ـ كُتِبَ لأهل الصلاة والإنفاق نِعَمٌ خير وأبقى في يوم القيامة، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ... وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا...﴾.

٢ ـ تذكّر الربوبيّة الإلٰهيّة سببٌ لإقدام الناس على امتثال الأوامر الإلٰهيّة، ﴿اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾.

٣ ـ إجابة دعوة الله ﷻ تكون بالعمل لا بالادّعاء، ﴿اسْتَجَابُوا... وَأَقَامُوا﴾.

٤ ـ سلوك سبيل الله يتوقّف على التحكّم بالغرائز ورفع الموانع، ﴿يَجْتَنِبُونَ... يَغْفِرُونَ... اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾.

٥ ـ المؤمن غير مستبدّ، وليس انعزاليّاً، بل يتعامل باحترام مع رأي الآخرين، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

٦ ـ ما أُوصي به إقامة الصلاة لا مجرّد أداء الصلاة (أي الإتيان بالصلاة مع تمام شروطها)، ﴿أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾.

٧ ـ للصلاة أهميّتها الخاصّة من بين سائر العبادات. (فعلى الرغم من أنّ الصلاة هي أحد الأمور الموجبة للاستجابة لربِّ العزّة، ولكنّه خصَّها بالذكر)، ﴿اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

٨ ـ الشورى والمشورة ترتبط بالأمور الاجتماعيّة للناس ولا ترتبط بالأحكام والتكاليف الدينيّة، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

٩ ـ لا تشاور الغرباء، ﴿بَيْنَهُمْ﴾.

١٠ ـ الإنفاق لا يكون بالمال فقط، بل لا بدّ من تقديم العون للآخرين بالعلم والجاه والسلطة، ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾.

١١ ـ على المنفِق أن يعلم بأنَّ ما يُنفقه هو من عند الله ﷻ لا من عند نفسه، ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾.

١٢ ـ الصلاة باب لمحو التكبّر، والمشاورة لمحو الاستبداد، والإنفاق لمحو البخل، ﴿الصَّلَاةَ، شُورَىٰ، يُنفِقُونَ﴾.

١٣ ـ الدّفاع واجب، ولو بالاستعانة بالمؤمنين، والسكوت والرضا بالظلم ممنوع، ﴿يَنتَصِرُونَ﴾.

١٤ ـ لا بدّ من العفو والصفح في ما يتعلّق بأمور الذّات، ولا بدّ من الانتصار والدّفاع في مقابل الظلَمة، ﴿يَغْفِرُونَ... يَنتَصِرُونَ﴾

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

إشارات

❑ وردت عبارة ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ مرّتين، مرّة في سورة النساء الآية ١٠٠، في شأن المهاجرين المخلصين، والمرّة الثانية في هذه الآية في شأن العفو عن إساءات الناس، وبهذا يُعلم بأنّ العفو والإصلاح موازٍ لأجر الهجرة في سبيل الله.

❑ مبدأ المماثلة في الإسلام: لمَّا كانت قوانين الإسلام موافقةً للعقل والفطرة والعدل، فقد ورد التصريح وفي موارد مختلفة بالمساواة والمقابلة بالمثل ونعرض هنا بعضاً من نماذج ذلك.

* ﴿...فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ...﴾[1].
* ﴿...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾[2].
* ﴿...وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ...﴾[3].
* ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم﴾[4].

نماذج المماثلة في السنن الإلهيّة:

* ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾[5].
* ﴿...يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...﴾[6].
* ﴿...إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ...﴾[7].
* ﴿...نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ...﴾[8].
* ﴿...فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ...﴾[9].
* ﴿...وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا...﴾[10].
* ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ...﴾[11].
* ﴿...رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾[12].
* الذين قالوا في الحياة الدنيا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٩.
(٢) السورة نفسها: الآية ٢٢٨.
(٣) سورة المائدة: الآية ٩٥.
(٤) سورة النحل: الآية ١٢٦.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٥٤.
(٦) سورة النساء: الآية ١٤٢.
(٧) سورة البقرة: الآيتان ١٤ ـ ١٥.
(٨) سورة الحشر: الآية ١٩.
(٩) سورة الصف: الآية ٥.
(١٠) سورة الإسراء: الآية ٨.
(١١) سورة يونس: الآية ٢٦.
(١٢) سورة المائدة: الآية ١١٩.

﴿ٱلْوَٰعِظِينَ﴾[١] يقولون في يوم القيامة: ﴿...سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا...﴾[٢].

* ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ...﴾[٣].
* ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ...﴾[٤].
* إذا كان الأمر الإلٰهيّ: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[٥] ففي المقابل يأمر النبي ﷺ بقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[٦].

التعاليم

١ ـ الانتقام العادل مقابل العنف أمرٌ جائز، ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

٢ ـ العفو والإصلاح ممّن يملك القدرة على الانتقام يترتّب عليه ثواب جزيل، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ القصاص والمجازاة لا بدّ من أن يكونا مساويان للجناية. (حذراً من الإفراط أو التفريط)، ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

٤ ـ المقدّم هو إصلاح ما مضى، وعند الانتقام والمجازاة لا مجال للإصلاح، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾.

٥ ـ لا يكفي العفو عن الآخرين لا بدّ من الإصلاح، ﴿عَفَا وَأَصْلَحَ﴾.

٦ ـ لا يكفي التّعامل بالقانون فقط، بل لا بدّ من الاخلاق والعاطفة أيضاً، ﴿سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ وهذا قانون عام، ﴿عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ وهذا عاطفة وأخلاق.

٧ ـ تلقّي الأجر الإلٰهيّ يتوقّف على العفو والإصلاح لا الانتقام، ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ لا ثواب على الانتقام، ولكن في العفو ثواب، ﴿فَمَنْ عَفَا... فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٣٦.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢١.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٢.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٢.
(٥) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.
(٦) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

٩ ـ الترغيب في العفو والإصلاح ليس من باب الدِّفاع عن الظالم، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

١٠ ـ لا يحب الله ﷻ الظالم، سواء ظلم ابتداءً أو تجاوز الحدّ في الانتقام، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

١١ ـ الانتقام هو ممّن يملك القدرة على ذلك، ومن لا يملك القدرة فله أن يستمد العون من غيره، ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾.

١٢ ـ ليس من العدل القصاص قبل الجناية، ﴿﴿بَعْدَ ظُلْمِهِۦ...﴾.

١٣ ـ الانتقام من الظالم حقٌّ إنسانيّ مشروع فلا عقاب عليه في الدنيا ولا في الآخرة، ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات

- ورد في الآية ٩١ من سورة التوبة قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾. وفي الآية السابقة ورد أنّه ليس على المظلوم من سبيل، والآن تتحدّث الآية عن أن السبيل على الظالم.
- يبدو أنّ كلمة الظلم ترتبط بالأشرار سواء أكانوا عاديين أو كانوا فقراء، وأمّا كلمة البغي فتتعلّق بالمتآمرين والمستعمرين.

التعاليم

١ ـ التعدّي على حقوق الناس منهيٌّ عنه (حتّى غير المسلمين وبأيِّ نحو كان)، وفاعله محاسبٌ وعليه عقاب، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾.

٢ ـ يجب التشهير بالظلم الذي يترتّب عليه الفتنة والفساد الاجتماعيّ، ﴿يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ إنّ وظيفة الناس في هذه الدنيا وإن كانت التشهير بالظلم والانتصار عليه ولكن الله ﷻ أيضاً سيجازي الظالمين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٤ ـ العفو عن الظالم ليس أمراً سهلاً ويسيراً، بل لا بدّ فيه من العزم والتصميم وقوّة الإرادة، ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

٥ ـ يوصي القرآن الكريم بالعفو والصفح لا بالانتقام، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

٦ ـ أهل العفو هم أهل الصبر. (كلمة صبر وردت قبل كلمة مغفرة)، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾.

٧ ـ الصبر والعفو هو من الصفات الحسنة في الإنسان، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

٨ ـ الإسلام دين جامع فهو يقرّ حقّ المظلوم، ويفتح طريق العفو والصفح أيضاً، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ... وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾.

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

□ نسبت بعض الآيات الإضلال إلى الله ﷻ ولكن ورد في آياتٍ أُخرى ما يفسّر ذلك:

- ﴿...يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[١].
- ﴿...وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[٢].
- ﴿...وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾[٣].
- ﴿...يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾[٤].

(١) سورة غافر: الآية ٣٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.
(٤) سورة غافر: الآية ٧٤.

وبعبارة أخرى، لا وجود للإضلال الابتدائي، ولكن ههنا إضلال العقوبة، فالله ﷻ يضلّ من يكون مسرفاً، كافراً، وفاسقاً.

التعاليم

١ ـ التعدّي على حقوق الناس سببٌ للحرمان من الهداية وموجب للسقوط في وادي الضلال والخسران والحسرة، ﴿يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ... وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ... هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾.

٢ ـ على الظالمين والمنحرفين أن يعلموا بأنّه ليس لأي أحد ولا لأي قدرة أن تنقذهم من العذاب، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ﴾.

٣ ـ الاطّلاع على أخبار القيامة غير ممكن إلا عن طريق الوحي، ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٤ ـ على خلاف أهل الجنّة الذين ينالون كل ما تشتهيه أنفسهم: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾[1]؛ فإن أهل جهنم لا ينالون آمالهم، ﴿هَل إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات

□ تعرّضت الآيتان السابقتان لإضلال الله ﷻ للظالمين، وفي هذه الآية مزيد من التهديد والوعيد، من ذلك أنّ الله ﷻ بعد أن قال: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ﴾، يقول في هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾، فلا جماعة له ينصرونه.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢١.

التعاليم

١ ـ مستكبرو اليوم هم أذلاء الغد، ﴿تَرَىٰهُمْ... خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾.

٢ ـ وحشة القيامة تسلب من المذنبين القدرة على الرؤية، ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾.

٣ ـ قد يكون الإنسان من العصاة والمذنبين، ولكن بالنظر إلى أنّ ولده نال الكمالات، قد يكون ذلك سبباً لنجاته. والخاسر الحقيقي هو الذي لم ينجُ بنفسه ولا ولد صالح له، ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾.

٤ ـ الخاسر الحقيقيّ هو الذي خسر نفسه وعمره، ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾؛ ولا يمكنه العودة ولا جبران ذلك، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

٥ ـ أهل الإيمان في يوم القيامة أعزاء وذوو شأن بنحو يوجّهون ذمَّهم للظالمين، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ...﴾؛ (لعلّ هؤلاء المؤمنين الذين يقولون هذا للظالم هم أولئك الذين مارس عليهم ظلمه).

٦ ـ سرد أحداث يوم القيامة ينبّه الناس من غفلتهم، ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ (كلمة ألا للتنبيه والتحذير).

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات

□ في المراد من قوله: ﴿يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ احتمالان:

أ ـ لا عودة للظالمين إلى هذه الدنيا.

ب ـ ذلك اليوم حتميّ لا تراجع فيه.

التعاليم

١ ـ ما يحفظ الإنسان من الخسران هو اتّباع الأنبياء. (في الآيات السابقة كان

الحديث عن الخاسرين، وفي هذه الآية يذكر أنّ علاج ذلك في طاعة الله)، ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾.

٢ ـ الاستجابة للأوامر الإلٰهيّة سببٌ لتربية نفوسنا فلا بدّ من أن نستمع لكلام المربّي، ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾.

٣ ـ ربوبيّة الله ﷻ لهذا الإنسان هي الدّاعي للاستجابة لدعوته، ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾.

٤ ـ لا بدّ من علاج المشكلة قبل وقوعها؛ (لا تضيّع الفرصة)، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

إشارات

- إعراض الناس لا يكون دائماً بسبب طريقة عمل القادة والمسؤولين، فحتّى لو كان المبلّغ هو المعصوم فإنّ بعض الناس يُعرِضون.

التعاليم

١ ـ ينبغي لمن يقود المجتمع أن يتوقّع إعراض الناس عن الدّين، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾.

٢ ـ مسؤوليّة النبيّ ﷺ إبلاغ الرسالة لا إجبار الناس على الإيمان بها، ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾.

٣ ـ النِّعم كلّها من الله ﷻ فلا ينبغي لنا الغفلة عن الله ﷻ، ﴿أَذَقْنَا... مِنَّا رَحْمَةً﴾.

٤ ـ إبلاغ الدّين واجب على النبيّ ﷺ وإن لم يؤمن به بعض الناس، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾.

٥ ـ ملذّات هذه الدنيا هي بحدّ التذوّق فقط، ﴿أَذَقْنَا... رَحْمَةً﴾.

٦ ـ الرحمة مهما كانت فهي من عند الله ﷻ، ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾.

٧ ـ الإنسان موجود محدود القابليّات، ﴿أَذَقْنَا... رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾.

٨ ـ الرحمة من الله ﷻ وأمّا المصائب فهي نتاج عمل الإنسان، ﴿مِنَّا رَحْمَةً... سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

٩ ـ لا بدّ من أن نذكر الله ﷻ عند المصائب وإلّا لكنّا مستحقّين للوم والذمّ، ﴿تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ﴾.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات

- حيث كان العرب يفضّلون الذكر على الأنثى، وردت الآية بكلمة يهب في خلقة كلٍّ من الذكر والأنثى وذلك لكي يُعلمهم بأنّ الذكر والأنثى هبة من الله ﷻ، ومجيء كلمة ذكور معرَّفةً بالألف واللام للإشارة إلى أنّ هؤلاء الذكور هم أيضاً هبة من الله ﷻ.
- المراد من قوله تعالى: ﴿...يُزَوِّجُهُمْ﴾ أنّ الله ﷻ أحياناً يُعطي توأماً من ذكر وأنثى[1].

التعاليم

١ ـ لا تأثير لكفر الناس وعدم توجّههم بالشكر لله ﷻ على الحاكميّة الإلٰهيّة، ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ...﴾.

٢ ـ الولد، هبة من الله ﷻ، ﴿يَهَبُ﴾.

٣ ـ أوكل أمر كون المولود ذكراً أو أنثى إلى الله ﷻ فهو العليم، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا... عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

٤ ـ مثال السلطة الإلٰهيّة المطلَقة يظهر في أنّ الله ﷻ يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ... يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

٥ ـ إظهار التذمّر ممّا يهبك الله من ولدٍ ذكراً كان أم أنثى دليل على الكفر بنعمة الله ﷻ، ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ... يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ...﴾.

٦ ـ الله ﷻ دائماً في حالة خلق مستمرّ، ﴿يَهَبُ... يَخْلُقُ... يَشَآءُ﴾؛ (الفعل المضارع فيه دلالة على الاستمرار).

٧ ـ كون الإنسان عقيماً أو كونه ذا ولد مثال للعلم والقدرة الإلٰهيّة، ﴿يَهَبُ... إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

٨ ـ ليس العقم بدليلٍ على عدم القدرة الإلٰهيّة، ﴿عَقِيمًاۚ... قَدِيرٌ﴾.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

إشارات

□ نزول الوحي على الأنبياء يتمّ عبر أنحاء ثلاثة:

أ ـ الإلقاء المباشر على قلب النبيّ.

ب ـ الاستماع من وراء حجاب (كالشجرة مثلاً).

ج ـ عن طريق ملك الوحي (جبرائيل).

التعاليم

١ ـ الوحي يأتي من عند الله ﷻ وليس بطلبٍ من البشر، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ...﴾.

٢ ـ يمكن للبشر أن يكلّمه الله ﷻ، ﴿يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ مضمون الوحي ومقداره بيد الله ﷻ، ﴿مَا يَشَآءُ﴾.

٤ ـ الوحي من عند الله ﷻ ووفقاً للحكمة، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

إشارات

- تبدأ هذه السورة بآيةٍ تتحدَّث عن الوحي، ﴿حمٓ، عٓسٓقٓ، كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾؛ كما تنتهي بالحديث عن الوحي: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾.
- المراد من الروح في هذه الآية هو «الروح الأمين» بناء على قولٍ. وقال آخرون: إنّه ملك أعلى من سائر الملائكة مرافق لها، كقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾[١]. وذهب بعضهم إلى أنّه القرآن وهو الأولى بلحاظ المعنى.
- الروح هي أساس حياة الإنسان، والقرآن هو رمز الحياة المعنويّة للإنسان. فكما أنّ الجسم يتعفّن بدون الروح ويفنى فكذلك حال المجتمع بدون الكتاب والقرآن فإنّه يكون في معرَض الزوال والاضمحلال. وكما أنّ حقيقة الروح لا يُمكن إدراكها، فكذلك حقيقة القرآن لا يُمكن إدراكها، وكما أنّ الروح لا توصف بأنّها قديمة وجديدة فكذلك القرآن لا يوصف بأنَّه قديم.
- ورد عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: **«لقد قرن الله به ﷺ من لدن كان فطيما أعظمَ ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن الأخلاق ليله ونهاره»**[٢].
  وبناء عليه فليس المراد من جملة ولا الإيمان أنّ النبيّ ﷺ كان ضالاً أو أنّه لم يكن مؤمناً قبل البعثة، بل المراد من ذلك علم النبي بجزئيّات وتفاصيل التعاليم الدينيّة.
- تتوقّف الحركة المعنويّة للإنسان على مجموعة من الأمور منها: الطريق، ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، الدليل، ﴿...وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾، النور، ﴿جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾، الخطة، ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾، والهدف والمقصد، ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.

---

(١) سورة القدر: الآية ٤.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

التعاليم

١ ـ الوحي المنزَل على النبيّ ﷺ هو استمرار للوحي المنزَل على الأنبياء السابقين، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾.

٢ ـ أنحاء الوحي الثلاثة المتقدِّمة كانت للنبيّ ﷺ، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾.

٣ ـ نبيُّ الإسلام أميّ لم يدرس على أحد، ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾.

٤ ـ حتّى الأنبياء لا يمكنهم التقدّم في الكمال بدون الهداية الإلٰهيّة، ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي...﴾.

٥ ـ الصفاء والصدق علامة النبوّة. فالقادة العاديّون لا يمكنهم أن يحدِّثوا الناس عن تاريخهم بهذه الصراحة، ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي...﴾.

٦ ـ الهداية وإن كانت بيد الله: ﴿مَن نَّشَآءُ﴾، ولكن قابليّة الهداية تتوقّف على روح العبوديّة والابتعاد عن التكبّر، ﴿عِبَادِنَا﴾.

٧ ـ من يرغب في العمل على هداية الآخرين لا بدّ من أن يكون مسلَّطاً على طريق الحق: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

٨ ـ القرآن والرسول وسيلتان لهداية الناس، ﴿نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ... وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾.

٩ ـ المعيار هو اللياقة الفعلية لدى الأفراد، وإن كانوا سابقاً لا يملكون شيئاً من ذلك، ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي... وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾.

١٠ ـ التكامل موجود حتّى لدى الأنبياء ﷺ، ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي... وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾.

١١ ـ إذا كان اللطف الإلٰهيّ شاملاً لحال الإنسان، فالجاهل بالأمس يكون معلِّماً اليوم، ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي... وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾.

١٢ ـ القرآن لا يكفي وحده، فعلى الرغم من كون القرآن نوراً وهدًى، ﴿نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ...﴾؛ ولكنّ الحاجة إلى الرسول فعليّة، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾.

---

(١) سورة يس: الآيتان ٣ ـ ٤.

١٣ ـ الصراط المستقيم هو صراط الله ﷻ. (الطرق غير الإلٰهيّة عاجزة عن تحديد الصراط المستقيم للبشر)، ﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ، صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾.

١٤ ـ صراط الذي له ملك السموات والأرض، ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

١٥ ـ أهل الإيمان فرحون وأمّا أهل الكفر والعناد فإنّهم حذرون من مصيرهم الذي هو بيد الله ﷻ، ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

١٦ ـ حركة عالم الوجود حركة هادفة وتكامليّة، ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

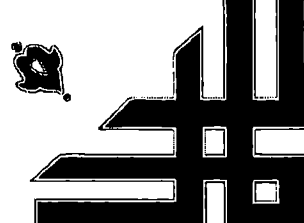
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الزُّخْرُفِ

السورة: ٤٣ الجزء: ٢٥

عدد الآيات: ٨٩

ملامح السورة الزخرف

تحتوي هذه السورة على تسع وثمانين آية وآياتها مكيّة عدا الآية ٤٥، اسم هذه السورة مأخوذ من الآية ٣٥ والتي وردت فيها كلمة (زخرف)، وهي بمعنى الذهب والفضة التي تُستخدم للزينة.

تتحدّث آيات هذه السورة عن القرآن والنبوّة، وردّة فعل منكري النبوّة، وأدلّة التوحيد ومواجهة الشرك وبيان شيء من تاريخ الأنبياء ومشاهد يوم القيامة.

والملفت هنا أنّ سبع سور متتالية تبدأ بالحروف المقطعة (حم). وهي السور الآتية: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية والأحقاف. وهي التي يُطلق عليها الحواميم السبعة أو سور آل حم.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾

إشارات

❑ خصائص القرآن الكريم بما هو كتاب سماويّ تتمثّل بالتالي:

- «مبين».
- «في أمّ الكتاب».
- «لدينا».
- «عليّ».
- «حكيم».

❑ كلمة قرآن هي من قرأ وتعني بالعربيّة «الكتاب المقروء».

❑ كلمة عربيّ من العرب بمعنى الواضح البيّن. والمراد من لسان عربيّ أي لسان واضح بيّن لا إبهام فيه.

التعاليم

١ ـ بين الحروف المقطّعة ونزول القرآن علاقة. فهذا الكتاب مؤلّف من هذه الحروف العربيّة المعروفة، ﴿حمٓ، وَٱلْكِتَٰبِ﴾.

٢ ـ القرآن الكريم مقدّس ويصحّ الحلف به، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾.

٣ ـ يجوز الحلف بغير الله ﷻ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾.

٤ ـ وإن كانت بعض آيات القرآن الكريم من المتشابه ولكن غالب آياته هي من الواضح البيّن القابل للفهم، ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

٥ ـ يؤكّد القرآن الكريم على كونه أُنزل بلسانٍ عربيّ، ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾.

٦ ـ اختيار سبيل الله ﷻ لا بد من أن يكون من خلال التعقّل لا التعبّد، ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٧ ـ وظيفتنا الدعوة وتبليغ الدّين وإن كنّا في حالة شك وترديد في إيمان الناس به، ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٨ ـ كافّة الكتب السماويّة ترجع إلى كتابٍ واحد هو بمثابة أمّ الكتاب، ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٩ ـ حقيقة القرآن هي في اللوح المحفوظ عند الله ﷻ، ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا﴾.

١٠ ـ كلُّ من كان من أهل التعقّل فإنّه سوف ينتفع من القرآن الكريم، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

١١ ـ لن تصل يد البشر إلى كافّة المعارف القرآنيّة العليا، ﴿لَعَلِىٌّ﴾.

١٢ ـ مرور الأيام وتطوّر العلوم البشريّة لا يُنقص من إحكام القرآن شيئاً، ﴿حَكِيمٌ﴾.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾

إشارات

- الصفح بمعنى الإعراض بالوجه، والبطش هو بمعنى الأخذ بقوّة وشدّة.
- يُطلق الإسراف في الاستخدام القرآنيّ على كلّ فعلٍ يؤدّي إلى إهدار النّعمة الإلٰهيّة؛ لذا أُطلق على هؤلاء الذين لم يبالوا بهذا الكتاب السماويّ تسمية المسرفين.

التعاليم

١ ـ وجود بعض المعوّقات لا ينبغي أن يكون مانعاً من بثّ ما هو خير، ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ...﴾.

٢ ـ القرآن وسيلة للتنبيه من الغفلة، ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾.

٣ ـ اللامبالاة من التذكير الإلٰهيّ مصداق من مصاديق الإسراف، ﴿كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾.

٤ ـ بعثة الأنبياء سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا... فِي ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

٥ ـ كافّة الأنبياء عانوا من استهزاء المنكرين، ولا بدّ لكلّ نبيّ من أن يكون مطّلعاً على ما جرى على الأنبياء السابقين، لكي لا يتوقّف عن الدعوة بسبب قيام جماعة من الناس بمواجهة دعوته بالاستهزاء، ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

٦ ـ الأنبياء كانوا يبادرون نحو الناس، ﴿يَأۡتِيهِم﴾.

٧ ـ الاطّلاع على ما واجهه الآخرون من مشاكل سبب لتسلية القلب ونوع من الدعم المعنويّ، ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن... يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

٨ ـ الاستهزاء أسلوب دائم يعتمده منكرو النبوّات، ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

٩ ـ لا بدّ أولا من إتمام الحجّة، وبعد ذلك تكون معاقبة المعاندين، ﴿يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ... أَهۡلَكۡنَا﴾.

١٠ ـ الاستهزاء بأولياء الله ﷻ سبب للهلاك والفناء، ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ... أَهۡلَكۡنَا﴾.

١١ ـ لا بدّ من تقديم الحماية للأفراد الذين يملكون مؤهّلات القيام بالعمل التبليغيّ، ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ... أَهۡلَكۡنَا﴾.

١٢ ـ حطّموا هيبة أصحاب القوّة، ﴿فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾.

١٣ ـ كون الناس من ذوي القوّة لا يمنع من نزول البطش الإلٰهيّ، ﴿فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾.

١٤ ـ التاريخ وحوادث التاريخ تجري بشكل قانونيّ ولها سننها وقواعدها الخاصّة بها، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

إشارات

- يقرّ المشركون بأنّ الله ﷻ هو خالقهم، ولكنّهم يعبدون الأصنام من دونه.
- لو أنّ قطع هذه الأرض انفصلت عن قِمَم الجبال وأعماق المحيطات فإنّ الحياة الإنسانيّة تتعطّل. ولذا كانت إحدى النعم الإلٰهيّة تمكين الإنسان من جعل طرق وسبل للتواصل في هذه الأرض.

التعاليم

١ ـ مواجهة الكفّار للدعوة إلى الدّين بالاستهزاء لا يمنع من دعوتهم إلى الحقّ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ... وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾.

٢ ـ الغرور والجهل وتقليد الآباء وإن كانت تلقي بظلّها على فكر الإنسان، ولكن الفطرة بتمام وجودها تدرك سعَة العلم والقدرة الإلٰهيّة، ﴿لَيَقُولُنَّ... الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

٣ ـ استجلاء فطرة معرفة الله تتمّ من خلال التذكير بنِعَم الله ﷻ، ﴿لَيَقُولُنَّ... الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾.

٤ ـ لم تكن الأرض بنفسها قابلة للسكنى، وقد جعلها الله ﷻ بقدرته قابلة لذلك بعد أن مهدها، ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾.

٥ ـ الهدف من الخلق منفعة الإنسان، ﴿جَعَلَ لَكُمُ... جَعَلَ لَكُمْ﴾.

٦ ـ وجود السبيل نعمة من النّعم الإلٰهيّة الكبرى، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾.

٧ ـ لو أنّ السياحة في الأرض كانت عن غفلةٍ لا للعبرة فإنّها لن تستتبع رقياً معنوياً، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

٨ ـ السياحة في الأرض والتأمّل في ما قدّره الله ﷻ في هذه الأرض وسيلة من وسائل الهداية، ﴿سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾

إشارات

❑ تعرّضت الآية السابقة لموضوع التوحيد وأمّا هذه الآية ففيها إشارة للمعاد.

❑ كلمة قدّر بمعنى المقدار، أو بمعنى التقدير والتنظيم، أي إنَّ المطر ينزل بمقدار محدّد أو طبقاً لنظام محدّد[١].

❑ الظاهر أنّ المراد من كلمة «أزواج» النباتات؛ لأنّ هذه الكلمة وردت بعد الحديث عن نزول المطر وإحياء الأرض، وطبقاً للآيات الأخرى من القرآن الكريم فإنّ قانون الزوجية يشمل حتّى النباتات: ﴿...أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾[٢].

❑ تعرّضت الآيات السابقة للحديث عن جعل السبل في هذه الأرض، وتتحدّث هذه الآية عن آلة السفر في البر والبحر، أي الأنعام من الإبل والفرس أو السفن الصغيرة والكبيرة.

التعاليم

١ ـ كلُّ قطرات السماء تنزل بحساب خاص، ﴿نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾.

٢ ـ مع أنّ الماء ينزل من السماء بقدَر ولكنّ ذلك نعمة إلهيّة كبرى، ﴿بِقَدَرٍ﴾.

٣ ـ الفعل الإلٰهيّ يتمُّ وفقاً للأسباب التي جعلها الله ﷻ؛ (فالمطر هو سبب لحياة هذه الأرض)، ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾.

٤ ـ الماء مصدر الحياة، ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾.

٥ ـ فصل الربيع وحياة النبات مثال للبعث بعد الموت، ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

٦ ـ نظام الزوجيّة لا يختصّ بالإنسان ولا بالحيوان، ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

٨ ـ ما تصنعه يد الإنسان هو بإلهام من الله ﷻ ومن خلال استخدام القوانين التي أودعها في خلقه، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ﴾.

---

(١) تفسير راهنما.

(٢) سورة طه: الآية ٥٣.

٩ ـ كلُّ شيءٍ من نِعَم الله ﷻ سواء أكان ذلك من المراكب الطبيعيّة كالحيوانات أو من وسائل النقل الصناعيّة، كالسفن مثلاً، ﴿جَعَلَ لَكُم... مَا تَرْكَبُونَ﴾.

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

التعاليم

١ ـ التنعّم بالنِّعم الإلٰهيّة ينبغي أن يكون سبباً لذكر الله ﷻ والتوجّه بالشكر إليه، لا أن تكون سبباً للغرور والغفلة، ﴿لِتَسْتَوُوا... ثُمَّ تَذْكُرُوا﴾.

٢ ـ تناسب النِّعم مع الحاجات مظهر من مظاهر الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾.

٣ ـ طريق الشكر نتعلّمه من الله ﷻ، ﴿تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ... وَتَقُولُوا...﴾.

٤ ـ تسبيح الله ﷻ نموذج لحمد الله وذكره، ﴿تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ... سُبْحَٰنَ الَّذِى﴾.

٥ ـ تسخير الأرض والأنعام التي جعلها الله ﷻ ليركب عليها الإنسان هي من النِّعم الإلٰهيّة الكبرى، ﴿سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾.

٦ ـ لو أنّ الله ﷻ لم يسخّر الحيوانات لهذا الإنسان لكان الإنسان عاجزاً عن الاستفادة منها، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾.

٧ ـ الاعتراف بالعجز هو بنفسه نموذج للشكر، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾.

٨ ـ لا بدّ عند ركوب آلة السفر بقصد السفر من أن نشكر الله ﷻ وأن نتذكّر السفر الأخير، ﴿تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا... وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

إشارات

□ المراد من ﴿عِبَادِهِۦ﴾ هو الملائكة الذين كان المشركون يعدّونهم من الإناث. والمراد من ﴿جُزْءًا﴾ هو اعتقاد المشركين بأنّ الملائكة كالأبناء جزءٌ من الله ﷻ.

التعاليم

١ ـ لا مانع من نقل بعض الاعتقادات الخرافيّة إذا كان ذلك مع الردّ عليها، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ﴾.

٢ ـ جعل المخلوق شريكاً في فعل الخالق هو كفر مبين، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ... لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾.

٣ ـ من الممكن أن يجادل الناس خلال الحوار معهم على أساس ما يعتقدون به، ﴿أَمِ اتَّخَذَ...﴾.

٤ ـ ظنُّ الملائكة إناثاً يُلاحظ أيضاً في الرسوم والتصاوير، وهذا نوع من الخرافات والشرك، ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾.

٥ ـ كم هو قبيح أن يرفض الإنسان كون البنت له؛ ولكنّه ينسبها إلى الله ﷻ، ﴿ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾.

٦ ـ من خرافات أهل الشرك أنّهم كانوا يظنّون الذكر أفضل من الأنثى؛ ولذلك كانت تسودّ وجوههم عندما يبشّرون بالأنثى، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم... وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

٧ ـ الحالات النفسيّة لها تأثيرها على جسم الإنسان، ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

إشارات

□ ورد في الآية التاسعة أنّ المشركين كانوا يرون أنّ خالق العالم هو الله العزيز العليم، وهنا تسأل الآية إذا كان الله عزيزاً عليماً فلماذا تنسبون إليه البنات أولاداً، وهنّ يتربّين في الزينة مع ما في حديثهنّ من غلبة للأحاسيس والعواطف؟ مع أنّ لازم كونه عزيزاً أن يكون صلباً حاسماً، ولازم كونه عليماً أن يكون صاحب منطق واستدلال لا عاطفة وإحساس.

التعاليم

١ ـ الحلية والزينة للنساء والفتيات أمر طبيعيّ، ﴿يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾.

٢ ـ المرأة أقوى من الرجل من ناحية العواطف والأحاسيس، ولهذا تكون أضعف في الخصام والمجادلة، ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾.

٣ ـ الملائكة من مخلوقات الله ﷻ وهي من عباده وليست أولاداً له، ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾.

٤ ـ خلافاً لما في الإنسان ليس في الملائكة ذكر وأنثى، ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ... إِنَاثًا﴾.

٥ ـ ما لم نشهده لا ينبغي أن نشهد عليه، ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾.

٦ ـ يكتب الله ﷻ على الإنسان كلَّ شهادةٍ وكلَّ قول، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾.

٧ ـ الإنسان مسؤول عمَّا يعتقد به، ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾.

٨ ـ لا بدّ من محاربة العقائد الخرافيّة بشدّة، ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ... أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

- «يخرصون» من الخرص، وهو الكلام المعتمد على الحدس والظن.
- يَنقل القرآن الكريم في الآية ٣٥ من سورة النحل وفي الآية ١٤٨ من سورة الأنعام قول المشركين هذا حيث كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا... مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ يسعى المشركون لتبرير شركهم ويجعلون ذلك منهم معلولاً لإرادة الله ﷻ، ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾.

٢ ـ إمهال الله ﷻ لا ينبغي تفسيره بالرضا، ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾.

٣ ـ المشركون كانوا يعبدون الملائكة، ﴿عَبَدْنَٰهُم﴾.

٤ ـ القول بلا علم (لا سيما في المسائل العقائديّة) مدان، ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾.

٥ ـ كلُّ فردٍ وكلُّ مجتمع يتيه عن العلم يذهب اتّجاه الموهومات والحدسيّات، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ ليس للشرك أساس من العقل، ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾. كما لا أساس له من النقل أي من الكتب السماويّة، ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾.

٢ ـ جذور الشرك والخرافات تكمن في التقليد الأعمى، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾.

٣ ـ اتّباع الآداب والرسوم وعقائد الآباء إذا لم يكن مستنداً إلى العقل والكتاب السماويّ فهو مدانٌ ومذمومٌ، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾.

٤ ـ الماضون والآباء الذين وضعوا وشرّعوا هذه السنَن الباطلة هم المسؤولون عن الأجيال القادمة أيضاً، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

٥ ـ انتشار الآداب والرسوم الموروثة يجعل للإنسان الذي لا منطق له منطق إنسان صاحب هداية، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

٦ ـ التعصّب القوميّ موجب لانتشار التقليد الأعمى والتعصّب الجاهليّ، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات

- المترف من الترف، أي صاحب النِّعمة الوافرة وتُطلق على من اغترّ وغرق في النِّعم.
- تقدّم في الآية السابقة أنّ عوّام الناس يظنّون بأنّ طريق الآباء حقٌّ موصل إلى الهداية ولذلك يتّبعون آباءهم: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾؛ ولكن هذه الآية تقول إنّ ما يهمّ المترفين هو الوصول إلى المال والثروة لا الوصول إلى الهداية؛ لذا لم يكن اتِّباع تقاليد الآباء وعاداتهم لأجل الهداية: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾.
- لم يرد في القرآن إطلاقاً بعد ذكر النبيّ ﷺ قول: بعدك، بل ما ورد هو (قبلك) فقط، وهذا شاهد على أنّ النبيّ ﷺ هو خاتم رسل الله.

التعاليم

١ ـ الاعتماد على تقاليد الآباء سنّة من سنن المنحرفين في التاريخ، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾.

٢ ـ من رافضي دعوة الأنبياء طبقة المترفين وكانوا يتَّخذون موقفاً متشابهاً دائماً، ﴿مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ... إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾.

٣ ـ ملاحظة ما وقع للسابقين من مشاكل سبب باعث للاطمئنان في نفس الإنسان، ﴿مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ...﴾.

٤ ـ الإنذار هو من أهمّ وظائف الأنبياء، ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾.

٥ ـ الغرق في الثروة والرفاه سبب للطغيان وسبب للتعصّب للباطل والتقليد الأعمى، ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا... عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾.

٦ ـ أفكار ومعتقدات السابقين قابلة للتمحيص والبحث والاتِّباع المطلق لها لا معنى له، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾.

﴿۞قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا بدّ في النهي عن المنكر من بيان المعروف أولاً ثمّ النهي عن المنكر، ﴿جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ﴾.

٢ ـ من أساليب وطرق التعريف بالدّين المقارنة بينه وبين سائر المعتقدات، ﴿جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ﴾؛ (دعوة الأنبياء تعتمد على العقل، وقد خالف الأنبياء التقليد والتعصب القومي).

٣ ـ معيار الاختيار ما يكون أهدى لا شيء غير ذلك، ﴿جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ﴾.

٤ ـ على الرغم من أنّ عبادة الأصنام ليست هدىً على الإطلاق حتّى تكون الدعوة إلى التوحيد أهدى، ولكن لأنّ الجدال بالتي هي أحسن يَفرض مجاراة أصحاب تلك العقيدة لأجل دعوتهم إلى الحقّ، ﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ﴾.

٥ ـ العناد يمنع من تحديد ما هو الأفضل والأهدى، ﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ... كَٰفِرُونَ﴾.

٦ ـ التحجّر والتعصّب سبب للغفلة عن الحقائق، ﴿بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

٧ ـ خاتمة الكفر والعناد هو الإفناء والزوال، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

٨ ـ العقاب الإلٰهيّ لا يكون إلّا بعد إتمام الحجّة، ﴿جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ... إِنَّا... كَٰفِرُونَ... فَٱنتَقَمْنَا﴾.

٩ ـ الانتقام والعذاب في موضعهما لا يَتنافيان مع الرحمة والرأفة الإلٰهيّة، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

١٠ ـ لا بدّ من أخذ العبرة من التاريخ، ﴿فَٱنظُرْ... عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

١١ ـ الأعمال بخواتيمها، لا بمظاهرها العابرة، ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات

- تحدّثت الآيات السابقة عن منطق عبدة الأصنام الذي يقوم على اتّباع الآباء، وأمّا هذه الآيات فتبيّن كيف أنّ إبراهيم كان يرفض بشدّة تقليد الآباء.
- في تحديد الفاعل في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ احتمالان: الله ﷻ أو إبراهيم عليه السلام. فيمكن القول إنّ الله ﷻ جزاءً لإيمان إبراهيم عليه السلام جعل التوحيد حيّاً في نسله. ويمكن القول إنّ إبراهيم عليه السلام أحيا عقيدة التوحيد والبراءة من الشرك في نسله.
- ورد عن الإمام علي عليه السلام: **«كان رسول الله عقب إبراهيم، ونحن أهل البيت عقب إبراهيم، وعقب محمد ﷺ»**[1].

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن ننسى ذكر العظماء وكلماتهم ومواقفهم الحاسمة وما قاموا به، ﴿وَإِذْ قَالَ﴾.

٢ ـ لا ينبغي للارتباط بقوم أو قبيلة أو حزب أن يكون له تأثيره السلبي على ما نملكه من عقيدة وفكر، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾.

٣ ـ تقع على الإنسان مسؤوليّة خاصة اتّجاه أقاربه، وهدايتهم أولويّة بالنسبة إليه، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾.

٤ ـ البراءة من الشرك شعار توحيدي، ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

٥ ـ الخالق هو الهادي، ﴿فَطَرَنِي... سَيَهْدِينِ﴾.

٦ ـ كافّة الناس حتّى الأنبياء محتاجون لهداية الله ﷻ، ﴿سَيَهْدِينِ﴾.

---

(١) تفسير البرهان.

٧ ـ الإيمان ابتداء فقط لا يكفي بل لا بدّ من أن يكون مستمرًا ومستداماً، ﴿سَيَهْدِينِ﴾.

٨ ـ نداء التوحيد يبقى مدى التاريخ، وإن كان المخاطب به لم يستمع إليه، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾.

٩ ـ الله ﷻ هو الحافظ لتعاليم التوحيد على مرّ التاريخ، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾.

١٠ ـ أبناء النبيّ إبراهيم عليه السلام هم حَمَلَة راية التوحيد على مرّ التاريخ، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾.

١١ ـ عمل الآباء له تأثيره على مصير الأبناء، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

إشارات

- للكافرين توقّعات لا أساس لها، ويقولون: لأنّ فلاناً صاحب مال وثروة، إذاً لا بدّ من أن ينزل الوحي عليه، مع أنّ الأفضليّة المادّية لا تلازم الأفضليّة المعنويّة.
- مكّة والطائف كانتا أهم مدينتين لدى عرب الحجاز في عصر البعثة.

التعاليم

١ ـ السنّة الإلٰهيّة هي الإنعام على المؤمن والكافر وإمهال الناس كافّة، ﴿مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾.

٢ ـ لا بدّ لإتمام الحجّة من كتاب ومن قائد، ﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾.

٣ ـ كلام القرآن كلام كلّه حقّ وحقيقة، ﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾.

٤ ـ لا بدّ من أن تكون الدعوة إلى الدّين والرسالة غاية في الوضوح والبيان، ﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾.

٥ ـ تأثير القرآن الكريم على قلوب الكفّار وصل حدّاً اتّهموه بأنّه سحر؛ لكي يبرروا بذلك كفرهم ﴿هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

٦ ـ الإنسان بطبيعته ينزع إلى التبرير. فهؤلاء الكفّار يتّهمون القرآن بالسحر ليبرّروا بذلك كفرهم، ﴿هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

٧ ـ أصحاب منطق التبرير يتمسّكون في كلّ لحظةٍ بحجّة، فتارةً يقولون: القرآن سحر، وأخرى يقولون: لماذا أُنزل القرآن على فلان؟ ﴿هَٰذَا سِحْرٌ... لَوْلَا نُزِّلَ﴾.

٨ ـ العظمة لدى بعض الناس تتمثّل في امتلاك المال والجاه، ﴿رَجُلٍ... عَظِيمٍ﴾.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات

❑ أفضليّة بعض الناس على بعض على نحوين:

أ ـ الأفضليّة في البنية الجسديّة، الفكريّة والطاقات، وهذا الأمر هو السبب في الإحساس بالحاجة وخدمة بعضهم الآخر، وبهذا يتكوّن المجتمع. وليس للإنسان من دورٍ في هذه الأفضليّة: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

ب ـ الأفضليّة التي يهبها الله ﷻ على أساس سعي الإنسان وجهده كقوله تعالى: ﴿...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1].

❑ متى كانت معيشة الإنسان بيد الله ﷻ، فكيف يتوقّع بعضهم أن يكون مقام النبوّة من نصيبهم، ويحدّدون الأصلح لتلقي الوحي؟

❑ الاختلاف الموجود بين الناس ينبغي أن يكون سبباً للارتباط والتعاون

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١١.

واستخدام بعضهم بعضهم الآخر، ولا ينبغي أن يكون سبباً للاستغلال، والتفاخر، واحتقار الآخرين. «سخريّاً» تعني أن يكون بعضهم في خدمة بعض بنحو متبادل.

التعاليم

١ ـ لا بدّ للإنسان من أن يعرف قدرَه وحدَّه، ولا يمدّ قدميه إلّا بقدر بساطه (اختيار النبي تابع لإرادة الله، ولا يخضع لما يتوقّعه الناس)، ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾.
٢ ـ النبوّة رحمة إلهيّة خاصة، ﴿رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾.
٣ ـ ليس لأحدٍ من حقٍّ على الله ﷻ فكلُّ ما يهبه الله هو من لطفه ورحمته ﴿رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾.
٤ ـ الرزق بيد الله فقط، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾.
٥ ـ لا ينبغي أن تكون الأفضليّة الجسميّة والفكريّة سبباً للغرور؛ لأنّ ذلك كلّه من الله ﷻ، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا... وَرَفَعْنَا﴾.
٦ ـ المجتمع اللاطبقيّ خيال ليس إلّا. (فالله الحكيم هو الذي جعل هذا الاختلاف بين الناس حتّى يشعر الناس بحاجة بعضهم إلى بعض، وينمو المجتمع في ظلّ معونة بعضهم البعض)، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾.
٧ ـ إيجار النفس واستئجار الآخر واستخدام الناس بعضهم بعضاً أمر مجاز ومشروع، ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.
٨ ـ المجتمع النهضويّ والاقتصاد السليم يتوقّف على التعاون والاستفادة من مختلف الطاقات الإنسانيّة، ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.
٩ ـ الرحمة من شؤون الربوبيّة، ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾.
١٠ ـ لا ينبغي قياس الوحي والرسالة على النِّعم المادّيّة، ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.
١١ ـ الأفضليّة المادّيّة هي السبب في غفلة الناس عن الرحمة الإلٰهيّة، ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات

- زخارف الدنيا وزينتها لا قيمة لها أساساً؛ لذا يقول تعالى في هذه الآية إنّ الله ﷻ يقدر على أن يُعطي الكفّار هذه الدنيا بشكلٍ وافر؛ ولكن لا يفعل ذلك لأنّ عيون الناس ترى ذلك فتميل إلى الكفر.
- كما لم تتعلّق الإرادة الإلٰهيّة بجعل الناس جميعاً على مستوىً واحد في المعيشة والنِّعم المادّيّة، لم تتعلّق إرادته بأن يكون الناس كافّة في المسائل العقائديّة على اتجاه واحد؛ لأنّ ذلك يسلب من الناس حقّ الاختيار، ولا نظنّ أنّنا إذا جعلنا الناس في الكون كله على عقيدةٍ واحدة فقد وصلنا إلى المطلوب.

التعاليم

١ ـ لا بدّ في عطاء النِّعم والحرمان منها من ملاحظة طاقات المجتمع، ﴿وَلَوْلَآ... لَّجَعَلْنَا...﴾.

٢ ـ الأمّة الواحدة إنّما تكون أمرا ممدوحاً متى اجتمعت على الإيمان لا على الكفر، ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

٣ ـ الثروة لا تدلّ على أنّ لصاحبها مقام العزّة عند الله ﷻ، ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

التعاليم

١ ـ القيمة والاعتبار عند الكفّار تنشأ من الزينة والمال وأمّا عند المؤمنين فإنّ

الاعتبار هو بالسعادة الأخرويّة، ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا... وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

٢ ـ المتّقون هم الذين وبدلا من التفكير بزينة الحياة الدنيا وبيوتها يجعلون من التفكير بالآخرة همَّهم والله ﷻ جعلها لهم، ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ... وَزُخْرُفًا... وَٱلْآخِرَةُ... لِلْمُتَّقِينَ﴾.

٣ ـ جوار الله ﷻ ونيل فضل الحضور لديه لا يُقاس بشيء، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

- بيّنت الآيات السابقة حال الكفّار وغرقهم في زينة الحياة الدنيا، وتبيّن هذه الآية آثار غرقهم هذا.

- يعش من العشو وهو آفة في العين توجب ضعف الرؤية. وهذه الكلمة متى وردت متعدِّيةً بـ (عن) فالمراد بها الإعراض.

- سياسة الشيطان تعتمد السير بخطوات: ﴿...خُطُوَٰتِ...﴾[1].

ففي المرحلة الأولى يُلقي وسوسته: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾[2].

وفي مرحلة ثانية يَبدأ المس: ﴿...مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ...﴾[3].

وفي مرحلةٍ ثالثةٍ ينفذ إلى صدورهم: ﴿...فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[4].

وفي مرحلة رابعةٍ يستقرّ في الروح: ﴿...فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[5].

وفي مرحلة خامسةٍ يجعل الإنسان من حزبه: ﴿...حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[6].

---

(١) سور البقرة: الآية ١٦٨.
(٢) سورة طه: الآية ١٢٠.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.
(٤) سورة الناس: الآية ٥.
(٥) سورة الزخرف: الآية ٣٦.
(٦) سرة المجادلة: الآية ١٩.

وفي مرحلة سادسةٍ يُصبح الشيطان وليّاً له: ﴿...وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا...﴾[1].

وفي مرحلة سابعةٍ يُصبح الإنسان شيطاناً: ﴿...شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ...﴾[2].

ويصف الإمام علي عليه السلام ذلك في نهج البلاغة فيقول: «**فباض وفرَّخ في صدورهم**»[3].

□ آثار الإعراض عن ذكر الله عزّ وجلّ

١ ـ الصدّ عن سبيل الله: ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

٢ ـ الانحراف العقائديّ مع ظنّ الهداية: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

٣ ـ عدم الاتّعاظ عند الموعظة: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ﴾[4].

٤ ـ عدم الإقدام على التوبة لأنّه لا يرى انحرافه.

٥ ـ العيش في عذاب: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا...﴾[5].

٦ ـ العمى عن معرفة الحقّ (يعش) ويُحشر في القيامة أعمى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ...﴾[6].

□ الشيطان القرين قد يكون صديق السوء أو الزوجة أو الولد أو الشريك السيّئ؛ لذا وردت كلمة الشيطان نكرةً لتشمل كافّة أنواع الشياطين.

□ الصلاة ذكر الرحمن: ﴿...وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[7]؛ والقرآن ذكر الرحمن: ﴿...إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ...﴾[8]. فكلُّ من يُعرِض عن الصلاة وعن القرآن فقد وقع تحت سلطة الشيطان: ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾.

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٩.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٢.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة، ٧.
(٤) سورة الصافات: الآية ١٣.
(٥) سورة طه: الآية ١٢٤.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٧٢.
(٧) سورة طه: الآية ١٤.
(٨) سورة الحجر: الآية ٩.

التعاليم

١ ـ تسلّط الشيطان على الإنسان هو بسبب عمل الإنسان، ﴿وَمَن يَعْشُ... نُقَيِّضْ﴾.

٢ ـ القلب إمّا أن يكون محلًّا للرحمن أو محلًّا للشيطان، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾.

٣ ـ عقوبة الإعراض عن رحمة الله ﷻ الوقوع في عبوديّة الشيطان، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

٤ ـ يسعى الشيطان بجدّ لكي يصدّ الإنسان عن طريق الحقّ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ﴾.

٥ ـ الأسوأ من الانحراف العمليّ الانحراف الفكريّ، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات

□ يتمنّى المجرمون يوم القيامة أن لا يحشروا ـ بالحدّ الأدنى ـ مع الشياطين؛ ولكن القرآن الكريم يذكر أنّهم في العذاب مشتركون.

التعاليم

١ ـ الندم في الدنيا قد يكون مؤثّراً ومثمراً، وأمّا الندم في الآخرة فلا يترتّب عليه سوى الحسرة، ﴿يَٰلَيْتَ...﴾.

٢ ـ في يوم القيامة وبعد أن تزول الحجب فإنَّ الكثير ممّا كان محبوباً في هذه الدنيا يُصبح أمراً باطلاً ينفر منه الناس، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾.

٣ ـ يُحشر الشياطين يوم القيامة مع البشر، ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾.

٤ ـ قرناء الدنيا هم قرناء في الآخرة، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ... فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾.

٥ ـ كون الشيطان هو القرين في يوم القيامة هو أيضاً نوع من العذاب، ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾.

٦ ـ الإعراض عن ذكر الله ﷻ باب لسيطرة الشيطان، وهو ظلم للنفس وللأنبياء، ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾.

٧ ـ خلافاً للسجن في هذا الدنيا حيث يكون السجن الانفراديّ أصعب من السجن العام، في الآخرة لا يكون لعموم العذاب أيُّ نفعٍ وفائدة، ﴿لَن يَنفَعَكُمُ... أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات

□ قول الحق إنّما يكون مؤثّراً في إحياء القلوب التي تخاف الله ﷻ لا غير؛ لذا نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا...﴾[1]، و﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ...﴾[2].

التعاليم

١ ـ إذا لم تتوافر المؤهّلات فإنّ كلام رسول الله لن يكون مؤثراً في النفوس، ﴿أَفَأَنتَ﴾.

٢ ـ النبيّ كان يتحرّق لهداية الناس، ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ... أَوْ تَهْدِى﴾.

٣ ـ السبب في كون الإنسان قريناً للشيطان هو الصمم والعمى الباطنيّ، ﴿ٱلصُّمَّ... ٱلْعُمْىَ﴾.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

إشارات

□ المراد من الانتقام الإلٰهيّ هو هذا العقاب العادل، لا الحقد والتشفّي الذي يكون غالباً في الانتقام البشريّ.

---

(١) سورة يس: الآية ٧٠.

(٢) السورة نفسها: الآية ١١.

التعاليم

١ ـ موت وحياة أيّ إنسان ومنهم الأنبياء هو بيد الله ﷻ، ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ﴾.

٢ ـ عقوبة الكفّار سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ﴾.

٣ ـ يظنُّ الكفّار أنّ النبيّ ما دام بينهم فلا يَنزل عليهم العذاب أو أنّه متى مات النبيّ فلا من عذاب يأتي، ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ... أَوۡ نُرِيَنَّكَ﴾.

٤ ـ زمان نزول العذاب بيد الله ﷻ ولا يكون إلّا عن حكمة، سواء أكان ذلك في زمان النبي أو بعد وفاته، ﴿نَذۡهَبَنَّ... أَوۡ نُرِيَنَّكَ... فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ﴾.

﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات

□ ذكروا للمراد من كلمة (ذكر) معنيين: أحدهما التذكير والآخر ذكر العظمة والصيت الحسن؛ أي إنّ هذا القرآن سبب للتذكّر والانتباه من الغفلة أو سبب لذكرك في التاريخ، فهو سبب عظمتك وعظمة أمّتك.

التعاليم

١ ـ لا ينبغي أن يكون لعُمْي القلوب تأثير على النبيّ ﷺ، ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ﴾.

٢ ـ من كان في الصراط المستقيم ومتّصلاً بالوحي، فإنّ عليه أن يكون جديّاً ونشيطاً في سعيه وعمله، ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ﴾.

٣ ـ لا ينبغي لنا الشكّ في حقّانيّة الطريق بسبب عدم إيمان الناس به، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

٤ ـ النبيّ معصوم، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات

□ ورد في الآيات السابقة استخدام كلمة الرحمن، ولعلّ ذلك للإشارة إلى أنّ ترك باب الرحمة والتفرّق إلى السبل الأخرى خلاف الإنصاف.

التعاليم

١ ـ الجميع محتاج إلى التذكّر، ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.
٢ ـ تذكّر النفس أولاً ثمّ بعد ذلك ابدأ بتذكير الآخرين، ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.
٣ ـ كلنّا مسؤولون عن القرآن الكريم، ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾.
٤ ـ التوحيد أصل مشترك بين الأديان كافّة، ودعوة النبيّ ﷺ استمرار لدعوة الأنبياء ﷺ، ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾.
٥ ـ للنبيّ ﷺ معرفة بالأنبياء كافة، ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات

□ تكرّر في القرآن الكريم ذكر قصّة النبيّ موسى ﷺ وفرعون وبني إسرائيل، وذلك لمدى الشبه بين مصير النبيّ موسى ﷺ وقومه مع مصير نبيّ الإسلام ﷺ وأهل مكّة، ففرعون احتجّ على موسى ﷺ بأنّه رجل فقير وأنّ فرعون هو الذي له ملك مصر، وكذلك احتجّ كفار مكة على النبي ﷺ بأنّه فقير ويتيم ولا يملك المال ولا المقام.

التعاليم

١ ـ لا بدّ للأنبياء مضافاً إلى ما يتمتّعون به من كمالات شخصيّة من معجزة، ﴿مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾.

٢ ـ في ظلّ النّظام القبليّ لا بدّ من الذهاب باتّجاه القوم: ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦ﴾، وأمّا في ظلّ النّظام الملكيّ لا بدّ من الذهاب باتّجاه الملك: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾. (في أسلوب التبليغ لا بدّ أولاً من إزالة الموانع وإصلاح العناصر التي يكون في صلاحها صلاح المجتمع).

٣ ـ لا يمتلك الطواغيت القوّة لو كانوا وحدهم، ولكن الملأ هم الذين يعطونهم القوّة، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾.

٤ ـ الضحك والاستهزاء يدل على الخواء، والاستهتار، وافتراء أهل الضلال، ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات

- ورد في الآية ١٣٥ من سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من تتابع المعجزات والأدلّة لهداية أصحاب العناد والإصرار، ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾.

٢ ـ المعجزات المتتالية دليل على العناية الإلٰهيّة بهداية الناس، ﴿ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾.

٣ ـ لا بدّ أولاً من إتمام الحجّة ثمّ تأتي بعد ذلك المجازاة، ﴿نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ... أَخَذْنَٰهُم﴾.

٤ ـ لا بدّ في أسلوب التبليغ من طيّ المراحل العادية أولاً ثمّ الترقّي إلى المراحل العليا، ﴿هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾.

٥ ـ العذاب الإلٰهيّ في هذه الدنيا لتنبيه الناس لعلّهم يتوبون، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

٦ ـ الأفراد الوضيعون يلجأون إلى إهانة الآخرين حتّى في حالات الشدّة والعذاب، ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾.

٧ ـ يرى المجرمون في أعماق داخلهم أنّ أولياء الله مستجابو الدعوة، ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾.

٨ ـ النبوّة عهد إلهيّ، ﴿عَهِدَ عِندَكَ﴾.

٩ ـ يُعطي الإنسان عند الشدائد عهده، ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾؛ ولكنّه متى ارتفعت عنه الشدائد ينكث عهده، ﴿يَنكُثُونَ﴾.

١٠ ـ عند الإحساس بالخطر تستيقظ فطرة الإنسان، ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾

إشارات

- جملة ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ وردت في القرآن الكريم مرّتين، مرّة على لسان إبليس وأخرى على لسان فرعون.
- يسعى العدو إلى تكبير نقاط الضعف. فإنّ موسى عليه السلام ونظراً إلى ثقل لسانه فإنّه قال: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى...﴾[1]. ولكنّ فرعون يسلّط الضوء على ذلك فيقول: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.
- تبيّن هذه الآيات صفات الطاغوت والتي تتمثّل بـ: الخوف، والتفاخر، والاستبداد، والعجب، والعقيدة الباطلة، والاعتماد على الثروة، واستخدام المال وما يتمتّع به من نِعَم الدنيا.

(١) سورة القصص: الآية ٣٤.

التعاليم

١ ـ عندما يشعر الطواغيت بالخطر يلجأون إلى الإعلام، ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾.

٢ ـ يسعى فرعون لاستغلال عواطف الناس وشعورهم، ﴿يَٰقَوْمِ﴾.

٣ ـ حيث لا يملك الطاغوت المنطق، فإنّه يَعتمد على ما لديه من مالٍ وقصور، ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾.

٤ ـ يسعى الطواغيت لجعل عقول الناس في عيونهم، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

٥ ـ محوريّة الذّات من خصائص الطواغيت، ﴿أَلَيْسَ لِى... أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾.

٦ ـ الاستخفاف بالآخرين هو من خصائص الطواغيت، ﴿هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

٧ ـ النظر بعين الضِعَة للآخرين بسبب شكلهم الظاهري كاللباس هو سلوك فرعونيّ، ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

إشارات

- أسورة جمع سوار وهو ما يوضع على اليد.
- يعتمد حكم الحكّام في السلطة غير الشرعيّة على أساس الاستخفاف بالناس واستحقارهم، ولكن طاعة الناس في النّظام الحقّ تكون على أساس اختيار الأفضل: ﴿...يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ...﴾[١]؛ وذلك مع المحبّة: ﴿...وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ...﴾[٢].

---

(١) سورة الزمر: الآية ١٨. (٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

❑ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله: ﴿ءَاسَفُونَا﴾: إنّ الله تبارك وتعالى لا يأسف كأسفنا؛ ولكنّه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون[١].

❑ يُطلق على الماضين (السلف) وعلى الآتين (الخلف)، ويُطلق على ما يكون مشابه (مثل). ويُطلق المثل على ما يضرب كنموذج وهو ما يجري على الألسن: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ من لا يملك منطقاً يتوسّل بالمال والثروة ومتاع الدنيا، ويرى أنّ امتلاك ذلك علامة كونه على حقّ وأنّ عدم امتلاك غيره لذلك علامة كونه على باطل، ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾.

٢ ـ تزيّن الرجال بالذهب من فعل فرعون، ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾.

٣ ـ إضعاف القادة الربّانيين وبثّ الشبهات هو من فعل الفراعنة، ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ...﴾.

٤ ـ الطاعة في النّظام الفاسد تقوم على أساس الاستخفاف بالناس، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾.

٥ ـ ضعف النفس وضياع الهويّة سببٌ للتسليم أمام الطواغيت، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾.

٦ ـ جذور الخضوع والطاعة العمياء تظهر في الفقر العقليّ، العمى الفكريّ والنزعة السطحيّة لدى الإنسان، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾.

٧ ـ المجتمع الذي يَخرج عن طاعة الله عزّ وجلّ لا يثق بنفسه ويستخفّ به غيره، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ... إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾؛ (الفسق هو بمعنى الخروج عن مدار الحقّ).

٨ ـ من افتخر بالأنهار التي تجري من تحته: ﴿...وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾، غرق في نفس تلك الأنهار، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾.

---

(١) تفسير راهنما.

٩ ـ قد تقع العقوبات في هذه الدنيا قبل عذاب الآخرة، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾.

١٠ ـ الآمر والمأمور يهلكان معاً في محور الفسق والطغيان، ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

١١ ـ الغضب والانتقام الإلٰهيّ هو بسبب فعل الإنسان، ﴿فَأَطَاعُوهُ... ءَاسَفُونَا... ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

١٢ ـ بشهادة التاريخ فإنّ تدمير القوى الجبارة هو سنّة إلهيّة حتميّة، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾.

١٣ ـ حوادث الأمم السالفة درس عبرة للأمم الآتية، ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ... فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا﴾.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾

إشارات

❑ عندما نزل قوله تعالى في الآية ٩٨ من سورة الأنبياء: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾. جلس رسول الله ﷺ مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتّى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش، فتكلّم رسول الله ﷺ، فعرض له النضر بن الحارث فكلّمه رسول الله ﷺ حتّى أفحمه وتلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾، ثمّ قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتّى جلس معهم، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً ولا قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعرى: أمّا والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمدا كلُّ ما يُعبد من دون الله في جهنّم مع من عبده، فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنّه قد احتج

وخاصم، فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: كلّ من أحبَّ أن يُعبَدَ من دون الله فهو مع من عَبَدَه إنّهم إنّما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته، وأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

❑ إصرار القرآن على أنّ عيسى هو ابن مريم عليه السلام لأجل المنع من الغلو وجعله ابناً لله عزّ وجلّ.

❑ لم يرد في القرآن الكريم اسم امرأة عدا مريم عليها السلام. وأمّا بقيّة النساء فلم ترد أسماؤهم كما في: ﴿...أُمِّ مُوسَىٰٓ...﴾[١]، أخت موسى ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾[٢]، ﴿...ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ...﴾[٣]، ﴿ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾[٤]، زوجة عزيز مصر ﴿...ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ...﴾[٥]، زوجة لوط ﴿وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾[٦]، زوجة أبي لهب ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[٧]، زوجات النبي ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾[٨]، و﴿...ٱمْرَأَتَ نُوحٍ...﴾[٩]، و﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾[١٠].

التعاليم

١ ـ الإفراط والتفريط في العقائديّات يصلان بالإنسان حدّاً يجعل من عيسى عليه السلام إلهاً لدى طائفةٍ ولدى طائفةٍ أخرى يجعله على حدّ الأصنام، ﴿ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾.

٢ ـ انصبّ سعي الكفّار لفعل كلّ ما يؤدّي إلى توجيه ضربة للنبيّ ﷺ، ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾؛ (فإنّ هذا الشخص الذي قال في الرواية السابقة إنّ عيسى في جهنم لأنّ الناس تعبده، هلل لقوله ذلك).

٣ ـ الجدال بالتي هي أحسن ممدوح، وأمّا الجدال من الجدال فهو المذموم، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.

---

(١) سورة القصص: الآية ٧.
(٢) السورة نفسها: الآية ١١.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٥.
(٤) سورة القصص: الآية ٩.
(٥) سورة يوسف: الآية ٣٠.
(٦) سورة التحريم: الآية ١٠
(٧) سورة تبت: الآية ٢.
(٨) سورة الأحزاب: الآية ٣٠.
(٩) سورة التحريم: الآية ١٠.
(١٠) سورة النحل: الآية ٩٩.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات

- لا بد من الدِّفاع عن شخصيّة المعصوم، ولا ينبغي السماح بأن يُقصد هؤلاء العظماء بسوء. فقد ضَرَبَ المشركون عيسى بن مريم عليه السلام مثلاً بكونه معبوداً لدى جماعة، وحيث إنّ القرآن الكريم يقول إنّ العابد والمعبود إذا كان لغير الله فهو في جهنّم، إذاً عيسى عليه السلام في جهنّم، ولكنّ القرآن الكريم ينزّه عيسى عن ذلك.

التعاليم

١ ـ عيسى عليه السلام ليس معبوداً بل عبد مخلص لله تعالى، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾.

٢ ـ العبوديّة سببٌ لتلقّي اللطف الإلهيّ، ﴿عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾.

٣ ـ عيسى عليه السلام وإن كان من أولي العزم وقد بُعث للناس كافّة في زمانه، ولكنّ مخاطبيه بالأساس هم بنو إسرائيل، ﴿مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

٤ ـ الله عزّ وجلّ في غنىً عن عبادة الناس له. ولو أراد لجعل بدل الناس ملائكة وهم في طاعة دائمة لله عزّ وجلّ، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

إشارات

- ردّاً على المشركين الذين جعلوا من عيسى عليه السلام مثلاً لمعبوداتهم من غير الله عزّ وجلّ، تتحدّث هذه الآية عن النبيّ عيسى عليه السلام كشاهدٍ على يوم القيامة. فولادته من غير أب، دليل على قدرة الله عزّ وجلّ على خلق الإنسان مجدَّداً في يوم القيامة، كما أنّه يتمكّن من إحياء الموتى في هذه الدنيا، ففي نهاية هذه الدنيا سوف ينزل من السماء مقدِّمة ليوم القيامة.

التعاليم

١ ـ وجود أولياء الله ﷻ علامة على القيامة وتذكير بها، ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾.

٢ ـ بعد مشاهدة مظاهر القدرة الإلٰهيّة لا يبقى للشكّ في إمكان إحياء الموتى أيُّ معنىً، ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ﴾.

٣ ـ القادة المعصومون على الصراط المستقيم، واتّباعُهم اتّباعٌ للصراط المستقيم، ﴿وَاتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٤ ـ الإنسان بشكل فطريّ يبحث عن طريق يُوصِله إلى الله ﷻ، ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٥ ـ التشكيك في غير موضعه سببٌ للوقوع بعيداً عن الصراط المستقيم، ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ... وَاتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٦ ـ الإنسان بحاجة إلى أسوة لاتّباع الصراط المستقيم، ﴿وَاتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٧ ـ الصراط المستقيم صراط واحد لا غير، ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٨ ـ يكمن الشيطان على الصراط المستقيم، ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ... وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾.

٩ ـ بملاحظة سابقة الشيطان في الوسوسة لآدم وحواء، فإنَّ عداوته لا تخفى على أحد، ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

١٠ ـ لا تتوقّف معرفة وساوس الشيطان على التأمّل والتعقّل؛ لأنّ فطرة الإنسان تعرف الانحراف بسهولة، ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾

إشارات

❑ من أسباب بعثة الأنبياء ومبرّراتها يُمكن ذكر التالي:

١ ـ تعليم الناس: ﴿الْحِكْمَةِ﴾.

٢ ـ بيان ما اختلفوا فيه: ﴿وَلِأُبَيِّنَ﴾.

٣ ـ الدعوة إلى تقوى الله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

٤ ـ التعريف بالأسوة الحقّ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾.

□ لا ضعف ولا تردّد في فعل الله ﷻ لأنّه حكيم فكتابه حكيم ومنطق نبيّه الحكمة.

□ في تقوى الله يكمن الإيمان بالله ﷻ، وفي فعل الواجبات وترك المحرّمات، وفي اتّباع النبيّ، والإيمان بأصل النبوة، وبسنّة النبيّ.

التعاليم

١ ـ جاء الأنبياء ومعهم أدلّة بيّنة ومقنِعة تتوافق مع العقل ولا تقبل النقض وبالمعجزات المتعدّدة، ﴿جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ... وَٱلْحِكْمَةَ...﴾.

٢ ـ حركة الأنبياء حركة فكريّة وعلميّة وليست انقلاباً عسكرياً، ﴿جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾.

٣ ـ من أهداف الأنبياء رفع الاختلاف في الدِّين، ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم... تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

٤ ـ التقوى وطاعة الأنبياء والقادة الربّانيين ضمان الوحدة الاجتماعيّة، ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

إشارات

□ وظيفة النبيّ عيسى عليه السلام كانت رفع الاختلاف بين الناس، ولكنّه ما أنْ بدأ دعوته حتّى حَدَثَ اختلاف جديد بين الناس، ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ... فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾.

التعاليم

١ ـ أساس دعوة النبيّ عيسى عليه السلام، دعوة الناس إلى عبادة الله الواحد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾.

٢ ـ تدبير الأمور والإشراف عليها بيد الله عز وجل وحده، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى﴾.

٣ ـ العبادة تختصّ بمن كانت الأمور بيده، ﴿رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾.

٤ ـ عبادة أيّ شيء وأيّ شخص غير الله عز وجل ضلال وضياع، ﴿فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٥ ـ العبوديَّة لله عز وجل واتّباع القادة السماويين حقيقة واحدة، ﴿...وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[1]؛ ﴿فَٱعْبُدُوهُ... هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٦ ـ الاختلاف سبب للابتعاد عن الصراط المستقيم، ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ... فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾.

٧ ـ إثارة الفرقة والاختلاف بعد بيان الأنبياء ظلم، ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ... فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

إشارات

❑ من اختار صديقاً لا على أساس التقوى فحاله في يوم القيامة كالتالي:

١ ـ الندم والحسرة من صداقته: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[2].

٢ ـ ليس لهذا الصديق من دور في تقديم العون له: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾[3].

٣ ـ الصداقة تتبدّل عداوة: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٦١.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٨.
(٣) سورة المعارج: الآية ١٠.

٤ ـ يلعن بعضهم بعضاً: ﴿...كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا...﴾[1].

٥ ـ يفرّ بعضهم من بعض: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[2].

٦ ـ ينسب الذنب إلى غيره: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[3].

٧ ـ يتبرّأ بعضهم من بعض: ﴿...يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ...﴾[4].

التعاليم

١ ـ القيامة تحدث فجأة، ولا يعلم أحدٌ وقت حدوثها، ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٢ ـ كلُّ صداقةٍ لا تقوم على التقوى تتبدّل عداوة، ﴿الْأَخِلَّاءُ... عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾

إشارات

- تحبرون من الحبرة بمعنى حال السرور والتي تظهر بالبشر على الوجه. والصِّحَاف جمع صحفة وهي الإناء الكبير: والأكواب جمع كوب وهو الإناء الذي له يد.
- من ملذّات النظر، لقاء أولياء الله ﷺ الذين لم يُكتب للإنسان التوفيق بلقياهم في الدنيا.
- نِعَم الجنّة على أقسام ذات مزايا:

١ ـ إشباع كافّة الغرائز والطّباع: ﴿تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(٢) سورة عبس: الآيات ٣٤ ـ ٣٦.

(٣) سورة سبأ: الآية ٣١.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٣٨.

٢ ـ متنوّعة: ﴿بِصِحَافٍ... وَأَكْوَابٍ﴾.

٣ ـ جملية: ﴿...ذَهَبٍ﴾.

٤ ـ موافقة للميل والرغبة: ﴿تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾.

٥ ـ لا تمل الأعين من النظر إليها: ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾.

□ المستفاد من الأمر القرآني بقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ أنّهن الزوجات في هذه الدنيا لأنّ حور العين لسن خارج الجنّة حتّى يؤمرنَ بالدخول إليها.

التعاليم

١ ـ العبوديّة لله ﷻ سرّ الأمان في يوم القيامة من المخاوف والمخاطر، ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ...﴾.

٢ ـ الطمأنينة أولاً ثمّ تلقّي نِعَم الجنّة، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ... ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾.

٣ ـ لا يكفي الإيمان وحده، بل لا بدّ من التسليم التامّ، ﴿ءَامَنُوا۟... وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾.

٤ ـ الأزواج المؤمنون في هذه الدنيا هم معاً في الآخرة، ﴿ٱدْخُلُوا۟... أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾.

٥ ـ لذّة العين في يوم القيامة بنحو تتساوى مع سائر ما يريده أهل الجنّة، ﴿تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾.

٦ ـ الوصول إلى كلّ ما نريده غير ممكن إلّا في الجنّة، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾.

٧ ـ الغرائز والشهوات الباطنيّة ترافق الإنسان إلى يوم القيامة، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

إشارات

- ورد في الروايات أنّ الكافر يَرِثُ نار المؤمن، والمؤمن يَرِثُ جنّة الكافر[1].
- مسألة كون الجنّة موروثة وردت في آيات عدة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾.

التعاليم

١ ـ الجنّة ثابتة لمن عمل صالحاً، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٢ ـ تعدّد وتنوّع فاكهة الجنّة هي من النِّعم في الجنّة، ﴿فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾.

٣ ـ لذائذ الجنّة كالملذّات في هذه الدنيا تتوافق مع الطبيعة البشريّة، ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾

إشارات

- مبلِسون من الإبلاس وهو الهم والحزن مع اليأس. ولعلَّ كلمة إبليس أطلقت على الشيطان بسبب يأسه من رحمة الله.
- من خصائص جهنم الخلود، لا يخفف عنهم العذاب، ويعيش أهلها اليأس والهمّ والغمّ.

---

(١) تفسير المراغي ومجمع البيان.

التعاليم

١ ـ لا بدّ في التربية من ضمّ الترغيب إلى الترهيب، ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ... ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ﴾.

٢ ـ عمل الإنسان هو سبب دخوله إلى جهنّم، ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

٣ ـ العقاب الإلٰهيّ عدل، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾.

٤ ـ الظلم المستمرّ موجب للعذاب المستمرّ، ﴿خَٰلِدُونَ... كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾

إشارات

❑ يَستمدُ أهل جهنّم العون في يوم القيامة من أيّ أحد:

فتارةً يستمدّون العون من المؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾.

وأخرى يستمدّون العذاب من قادة الظلم: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾.

وثالثةً من خزنة جهنّم، كالآية أعلاه.

❑ يتمنّى أهل جهنّم أن يُقضى عليه ويُصيبهم الفناء، ولا تُستجاب أمنيتهم. ولذا ورد في آيةٍ أُخرى: ﴿...لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟...﴾[1].

التعاليم

١ ـ يصل عمل الإنسان به إلى حدٍّ يستمدّ العون من خزنة جهنّم، ﴿يَٰمَٰلِكُ﴾.

٢ ـ أمنية أهل جهنّم الموت والفناء، ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا﴾.

٣ ـ يبقى أهل جهنّم في العذاب، ﴿مَّٰكِثُونَ﴾.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٦.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

إشارات

- الإبرام هو بمعنى الحسم والإحكام، واستعمل هنا بمعنى التصميم الجديّ على التآمر ضدّ النبيّ ﷺ ورفض دينه.

التعاليم

١ ـ لا يكون العذاب الإلٰهيّ إلّا بعد إتمام الحجّة، ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ، لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ﴾.

٢ ـ قليلٌ من الناس يؤمن بالحقّ، ﴿جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ... أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

٣ ـ مبدأ الحقّ هو الله ﷻ، وملاك الثواب والعقاب هو قبول الحقّ أو رفضه، ﴿جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ... لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

٤ ـ لا يُعاقب الله ﷻ الإنسان على العمل ما لم يصل إلى مرحلة التصميم والبدء بالفعل، والعقاب الإلٰهيّ يَتناسب مع عمل الإنسان، ﴿أَبْرَمُوا... مُبْرِمُونَ﴾.

٥ ـ ينبغي أن يَعلم منكرو النبوّة أنّ خصمهم هو الله ﷻ، ﴿أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾.

٦ ـ لا يتحرّك الكفّار إلا على أساس الحدس والظنّ، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾.

٧ ـ لا يعلم الذين كفروا بربِّهم أنّ الله ﷻ يطّلع على سرِّهم، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾.

٨ ـ كلُّ كلام يُسجَّل ويُكتب بواسطة الملك، ﴿رُسُلُنَا... يَكْتُبُونَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾

التعاليم

١ ـ لا بدَّ من استخدام أسلوب المداراة والمماشاة عند محاورة الكفّار: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾، وردت هذه الجملة في الحوار بقصد الاختصار، والله ﷻ لا

يكون له ولد، ولولا مراعاة الاختصار لاستخدمت كلمة «لو» وما يناسبها.

٢ ـ عند كلّ كلام فيه احتمال الانتقاص من الله ﷻ فإنّ من المناسب تنزيه الله ﷻ بعده، ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ... سُبْحَٰنَ﴾.

٣ ـ ما حاجة ربّ السموات والأرض للولد، ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾

إشارات

- إذا لم ينفع الإنذار ولا الاستدلال، فلا بدّ من ترك من لم ينفعه ذلك على حاله، كما في الطبيب الذي يتحرّق لشفاء المريض؛ ولكنّه متى يئس من ذلك، تركه وحاله.

التعاليم

١ ـ إمهال من ليس أهلاً وتركه وحاله سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿فَذَرْهُمْ...﴾.

٢ ـ المعتقدات والأفكار والأعمال غير الصالحة هي ماء آسن يغرق فيه أهل ذلك، ﴿يَخُوضُوا۟﴾.

٣ ـ ليس كلّ بحثٍ وتحقيق يكون ممدوحاً، فبعض البحث قد يكون لعباً، ﴿يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾.

٤ ـ كلّ ما لا يكون في مدار الحقّ والمنطق هو نوع من اللعب، ﴿يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾.

٥ ـ للاعبين يومٌ مريرٌ سوف يلاقونه، ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

٦ ـ لا تأثير لكفر الناس على عظمة الله وعزّته، ﴿فَذَرْهُمْ... وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾.

٧ ـ التوحيد وعبادة الواحد الأحد هما أساس ما وقع فيه الاختلاف بين النبيّ وبين المشركين. (تكرار كلمة إله تدل على ذلك)، ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾.

٨ ـ الحكمة والعلم المطلقان مختصّان بالله ﷻ، ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

٩ ـ من يستحقّ العبادة هو من كان موصوفاً بالعلم والحكمة اللامتناهين، ﴿إِلَٰهٌۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

١٠ ـ الحكمة تختلف عن العلم. فكثيرٌ من العلماء ليسوا من أهل الحكمة، فلديهم العلم ويفتقدون للحكمة. أمّا الله ﷻ فهو عليم حكيم، ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٥﴾

إشارات

- تبارك من البركة بمعنى التعالي، أي إنّ لله ﷻ علوّ المرتبة.
- تكرّر في القرآن الكريم ولتسع مرّات وصف الله ﷻ بصفة ﴿تَبَارَكَ﴾.
- ذكرت هذه الآية والآية السابقة ثماني صفات كماليّة لله ﷻ لتنزيه الله ﷻ عن الاعتقاد بأنّ له ولداً وكلّ وصف يوصف به الله ﷻ بغير الحقّ.

التعاليم

١ ـ حاكميّة الإله الواحد على نظام الوجود ثابتة لا تقبل الزوال، ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٢ ـ الله ﷻ منزّه عن كلّ نقص وحاوٍ لكلّ كمال من الكمالات، ﴿سُبۡحَٰنَ... تَبَارَكَ...﴾.

٣ ـ لا بدّ في مقابل سوء فهم الآخرين من تعظيم المقدّسات، ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ﴾.

٤ ـ الله ﷻ هو المبدأ وهو المقصد، ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ... إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

٥ ـ لا أحد يعلم وقت الساعة إلّا الله ﷻ، ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

٦ ـ إحضار الناس يوم القيامة عام ودون اختيار، ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾

التعاليم

١ ـ أصل الشفاعة مقبولة ولكنَّ الشفاعة الموهومة مردودة، ﴿لَا يَمۡلِكُ... ٱلشَّفَٰعَةَ﴾.

٢ ـ لا بدّ من أن يبدأ الإصلاح من مصدر الفساد، وحيث كان رأس الشرك هو الأمل بشفاعة المعبود، فهو ما ينبغي أن ييأس منه الناس، ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ﴾.

٣ ـ من له حقّ الشفاعة هو من يشهد بالحقّ، ﴿شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾.

٤ ـ من له حقُّ الشفاعة لا يشفع لكلِّ أحد ولأيِّ أحد، بل هم يدركون متى ومن يستحقّ الشفاعة، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

٥ ـ للشهادة قيمتها متى كانت على أساس العلم، ﴿شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٨٧﴾

إشارات

❑ يؤفَكون من الإفك وهو الإعراض والانحراف عن المسير الطبيعي.

التعاليم

١ ـ يؤمن مشركو مكّة بأنّ الله ﷻ هو الخالق ولكنّهم أشركوا بالربوبيّة والتدبير والشفاعة، فكانوا يرون لغير الله ﷻ دوراً في ذلك، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾.

٢ ـ التوحيد أمر فطريّ والشرك انحراف عن الفطرة الإنسانيّة، ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨﴾

إشارات

□ القيل مصدر بمعنى القول.

التعاليم

١ ـ يلجأ النبيّون إلى الله ﷻ عند مواجهتهم أهل العناد، ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾.

٢ ـ على مبلّغي دين الله أن يتوقّعوا عدم استجابة الناس كافّة للحقّ، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٨٩﴾

إشارات

□ السلام في ثقافة العرب يكون في موردين، أحدهما عند التلاقي والآخر عن الخروج والوداع. كما أنّنا في ختام كلّ صلاة نقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والمراد من السلام في هذه الآية سلام الوداع والمغادرة، وكذلك الحال في الفارسيّة.

التعاليم

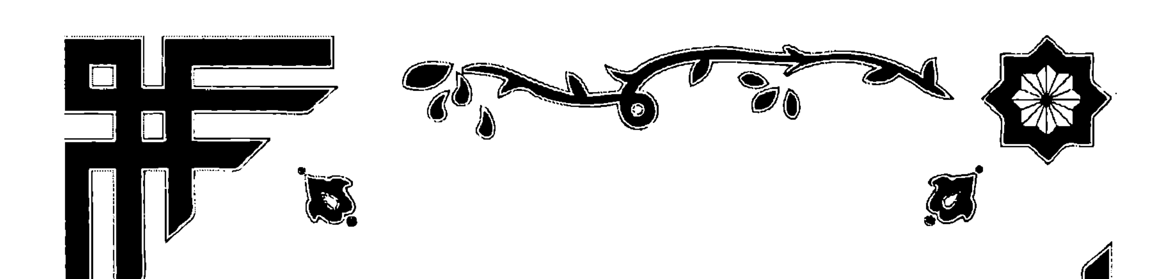
١ ـ دع المشركين المعاندين على حالهم، ولا تجادلهم، ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾.

٢ ـ الحياة بسلام ضروريّة حتّى مع المشركين، ﴿فَٱصۡفَحۡ... وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾.
(أقلّ ما يتوقعه البشر من الدّين العيش بسلام في المجتمع).

٣ ـ كلُّ فعلٍ يَصدر من نبيّ الإسلام ﷺ خاضع للأمر الإلٰهيّ، ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾.

٤ ـ ينذر الله ﷻ منكري الأنبياء بعذابٍ شديد، ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾.

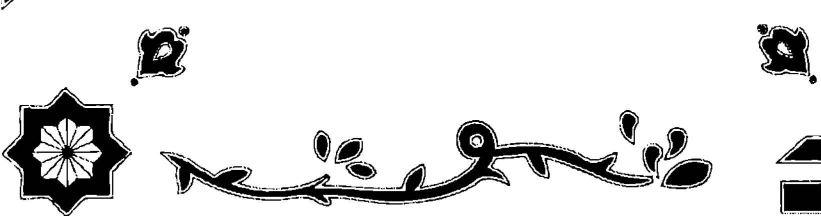
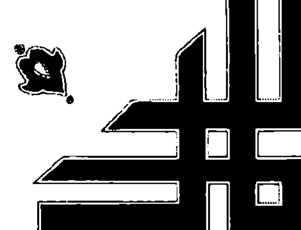
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الدُّخَانِ

السورة: ٤٤ الجزء: ٢٥

عدد الآيات: ٥٩

ملامح سورة الدخان

سورة الدخان مكيَّة وعدد آياتها تسع وخمسون آية، وهي خامسة السور التي تبدأ بالحروف المقطَّعة التالية: حم.

وردت كلمة دخان مرّتين في القرآن الكريم، إحدى هاتين المرّتين ترتبط ببدء العالم وقد وردت في صورة فصلت، والأخرى ترتبط بنهاية العالم وهي التي وردت في الآية العاشرة من هذه السورة.

أكثر مضامين آيات هذه السورة مرتبط ببيان عظمة القرآن ونزوله في ليلة القدر ومسائل التوحيد ومصير الكفّار وقصة موسى وبني إسرائيل وفرعون، وعدم العبث في خلق السموات والأرض.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾

إشارات

- كلمة مبارك من البركة وهي الخير الثابت وضدّه كلمة شؤم.
- المراد من الليلة المباركة هي ليلة القدر التي تقع في شهر رمضان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[1].
- ذكروا للحروف المقطّعة وجوهاً كثيرة، ولعلَّ أفضل هذه الوجوه هو أن القرآن وهو المعجزة الإلٰهيّة الكبرى نزل بهذه الحروف، كما قال تعالى في سورة الشورى بعد قوله: حم، عسق، ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي﴾، أي بهذه الحروف يتمّ الوحي. نعم، ورد في بعض الروايات أنَّ في الحروف المقطّعة سرّاً لا يعرفه إلّا الله ﷻ[2].
- كلمة مبين من الإبانة وهي الوضوح. إنَّ من الظلم الذي لحق بالقرآن الكريم أنَّ بعض الأكابر ذكر أنّ القرآن قطعيّ الصدور وظنيّ الدلالة. ولكنّ هذا الرأي غير صحيح، بل هو في مقابل صريح القرآن الكريم؛ لأنَّ الله ﷻ وصف القرآن بأنّه نور من الله، مبين، فاصلٌ بين الحقّ والباطل. كما ورد في هذه الآيات قوله: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

نعم في القرآن آيات متشابهات متعدِّدة المعنى المراد، ولكن هذه الآيات يَستبين المراد منها بالرجوع إلى سائر الآيات.

- القرآن مباركٌ من كلِّ جهة:

أ ـ بلحاظ من أنزل من عنده: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ...﴾[3].

ب ـ بلحاظ نفسه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٢) تفسير نور الثقلين. ج ١، ص ٣٠.
(٣) سورة الفرقان: الآية ١.
(٤) سورة ص: الآية ٢٩.

ج ـ بلحاظ زمان نزوله: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾.

سؤال: إذا كان القرآن قد أُنزل في ليلة القدر، فكيف نزل على النبي ﷺ تدريجاً في مدّة استمرّت لثلاث وعشرين سنة؟

الجواب: القرآن الكريم نزل في ليلةٍ واحدةٍ ودفعةٍ واحدة على قلب النبيّ ﷺ، ثمَّ أُنزل تدريجا طيلة ثلاث وعشرين سنة. كما لو أنّك أعطيت شخصاً صندوقا مليئاً بالثياب دفعةً واحدة، ثمَّ بعد ذلك فَتحتَ ذلك الصندوق وبدأت تعرض له تلك الثياب، أو كما لو أهداك شخص ديوان حافظ الشيرازي، ثمَّ في كلِّ مناسبةٍ يتلو عليك بعض أبيات ذلك الديوان.

□ ورد في هذه الآية وصف زمان نزول القرآن بأنَّه مبارك، وفي آيات أخرى ورد وصف زمان نزول العذاب بأنّه نحس: ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾[1]، فكون الأيام مباركة أو نحسة مرتبط بالأحداث الحلوة أو المرَّة التي تجري فيها، أو أنّ في ذلك الزمان خصوصيّة لا نعلمها، كما أثنى القرآن على المستغفرين بالأسحار، ومنها يُعلم أنَّ للزمان خصوصيَّة لا ندركها.

التعاليم

١ ـ المتداول في زمان النبيّ ﷺ أنّ القرآن كتاب مقدّس؛ (ولذا يُقسِم به الله ﷻ)، ﴿وَالْكِتَابِ﴾.

٢ ـ أُنزل القرآن من مكان عالٍ لأجل هداية الإنسان إلى النور، ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾.

٣ ـ الأزمنة مختلفة وبعضها أفضل من بعض وأكثر قداسة، ﴿لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾.

٤ ـ الليل أفضل وقت للاهتمام بالمسائل الروحيّة والمعنويّة، ﴿لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾.

٥ ـ الإنذار سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

٦ ـ الإنذار لأهل الغفلة مفيد أكثر من الترغيب والبشارة، ﴿مُنذِرِينَ﴾.

(١) سورة فصلت: الآية ١٦.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾

التعاليم

١ ـ ليلة القدر تتكرّر في كلّ سنة ﴿يُفْرَقُ﴾؛ (الفعل المضارع يدلّ على الاستمرار).

٢ ـ ما يقدّر في ليلة القدر يتعلّق بالأمور المصيريّة والأساسيّة، ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

٣ ـ ليلة القدر ليلة مصيريّة، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾

إشارات

❑ الله ﷻ هو مصدر الرحمة فهو (الرحمن الرحيم)، وكذلك النبيّ ﷺ مصدر للرحمة ﴿...رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. وكذلك القرآن هو كتاب رحمة، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

❑ يكفي في عظمة القرآن الكريم:

ـ أنّه أُنزل في ليلةٍ مباركةٍ: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ﴾.

ـ كتاب واضح الدلالة وبيّن المراد: ﴿ٱلْمُبِينِ﴾.

ـ رحمة من الله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ﴾.

التعاليم

١ ـ نزول القرآن الكريم مسألة في غاية الأهميّة عند الله ﷻ، ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ﴾.

٢ ـ ليس لأحدٍ من الناس من دور في نزول القرآن الكريم، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ... أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ﴾.

٣ ـ كلُّ ما يقدّر في ليلة القدر هو من عند الله، ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ﴾.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

٤ ـ إرسال الأنبياء وإنزال الكتب السماويّة سنّة من السنن الإلٰهيّة، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾.

٥ ـ لا يكفي نزول الكتاب فقط، بل لا بدّ له من مبيّن، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ... إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾.

٦ ـ الهدف من نزول الكتاب مع النبيّ النذير هو التربية والرحمة، ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾.

٧ ـ لا ينبغي أن نذهب باتّجاه شخصيات أخرى أو التمسّك بقوانين أخرى؛ لأنَّ الله ﷻ هو العليم بالحقيقة على الدوام، ونزول الكتاب، وإرسال الأنبياء وما يقدّر في ليلة القدر يستند إلى علمه بحاجات البشر، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾

التعاليم

١ ـ عالم الوجود كلّه تحت الربوبيّة والتدبير الإلٰهيّ، ﴿رَبِّكَۚ... رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن ننظر إلى القرآن نظرة البساطة، فإنَّ منزِل هذا القرآن هو ربّ السموات والأرض وكلّ الظواهر، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ... رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٣ ـ إنّ من يتمكّن من إدارة نظام الوجود هو من يملك العلم الكامل بحقائق الأشياء، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

٤ ـ الدقّة في الخلق وإدارة عالم الوجود وتكامله هو سبب الوصول إلى اليقين، ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ... إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨﴾

التعاليم

١ ـ لا بدَّ من أن يملك المعبود القدرة على الإماتة والإحياء، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾.

٢ ـ الإماتة والإحياء فعل دائم لله سبحانه وتعالى، (يحيي ويميت وردتا بصيغة الفعل المضارع، وهو يدلّ على الاستمرار).

٣ ـ ربوبيّة الله ﷻ لعالم الوجود دليل على أنّه لا معبود سواه. (فبلحاظ الجغرافيا تدبير أمر السموات والأرض بيد الله ﷻ)، ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾، وبلحاظ التاريخ فأنتم وآباؤكم خاضعون لربوبيته تعالى، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٤ ـ المجتمع البشريّ في حالة تكامل، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٥ ـ الموت والحياة في سبيل التكامل الإنسانيّ، (جملة ـ يحيي ويميت ـ وقعت بين كلمتي رب).

٦ ـ شرك الآباء مدانٌ أيضاً؛ لأنّ الله ﷻ هو ربّكم وربّ الآباء أيضاً، ﴿وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات

- وردت كلمة (فارتقب) مرَّتين في القرآن الكريم وهما معاً في هذه السورة. وهذا التعبير فيه تهديد للكفّار وتسلية للنبيّ ﷺ.
- وإن كان ظنُّ بعضهم أنَّ ظهور الدخان كناية عن القحط وسوء الحظّ في هذه الدنيا؛ ولكنّ الظاهر أنّ المراد من الدخان هو ما يحصل في بدايات القيامة أو في نفس القيامة.

التعاليم

١ ـ لا بدّ من أن يكون الشكّ مقدّمةً للبحث وتحصيل اليقين، لا دافعاً للغفلة والبطالة. والشكّ الدائم هو مورد ذمٍّ وتوبيخ، ﴿فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾.

٢ ـ لا إبهام ولا غموض في أدلَّة التوحيد، وجذور شكِّ الكفَّار ترجع إلى صفة العناد الموجود في نفوسهم، ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾.

٣ ـ منكرو منطق الوحي لا برهان لديهم، وسعيهم وحياتهم هي لعب، ﴿فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾.

٤ ـ بعد الاستدلال يأتي دور التهديد، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... فَارْتَقِبْ﴾.

٥ ـ السموات سوف تتحوّل في المستقبل إلى دخان، ﴿تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ...﴾.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

التعاليم

١ ـ هؤلاء الذين يتّخذون الدين لعبةً، سوف ينتبهون من غفلتهم وتردّدهم، فيبدأون بالدعاء والالتماس، ﴿يَلْعَبُونَ... رَبَّنَا اكْشِفْ﴾.

٢ ـ لا أثر للتوبة عند نزول العذاب، ﴿رَبَّنَا... أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾.

٣ ـ العذاب الإلٰهيّ لا يكون إلّا بعد إتمام الحجّة، ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ... وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ...﴾.

٤ ـ كتاب الله مبين، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[1]، والرسول كذلك، ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

إشارات

- الانتقام الإلٰهيّ من الظالمين ليس من باب التشفيّ بل لتطبيق العدل.
- كلمة بطش، بمعنى الأخذ بصولة وهيبة وشدّة، وذكر بعضهم أنّ المراد من الأخذ بشدّة هو هزيمة المشركين في معركة بدر.

(١) سورة الدخان: الآية ٢.

التعاليم

١ ـ يسعى الكفّار لتبرير فعلهم بأيِّ طريقٍ كان، ﴿تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا...﴾.

٢ ـ العناد سبب لانحراف الإنسان في عمله ﴿تَوَلَّوْا﴾، كما في قوله: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾.

٣ ـ يرى المشركون أنّ تعاليم الأنبياء متلقّاة من تعاليم الجنّ، ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾.

٤ ـ رفع الله ﷻ العذاب عن الناس لمرّات ومرّات واستجاب الدعاء، ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾.

٥ ـ متى رأى المذنب العذاب الإلهيّ أعلن إيمانه، ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾؛ ولكن إذا رُفِعَ عنه العذاب عاد إلى ما كان عليه، ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾.

٦ ـ الإنسان بطبعه نسّاء، فما إن تمرّ أيّام من رفع العذاب عنه يعود مرّة أخرى إلى ذنوبه ومعاصيه، ﴿قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾.

٧ ـ الله ﷻ مصدر الرحمة، ولكن في موارد يكون عذابه شديداً. فمن يجعل الوحي ألعوبة، سوف يناله العذاب الشديد، ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾.

٨ ـ الله ﷻ هو الذي يحمي رسله. وينتقم ممن يتّهم الأنبياء بأنّه يتلقّى تعليمه من الجنّ، ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾

إشارات

□ كلمة «فتنة» في الأصل تعني وضع الذهب في النار لتخليصه من الشوائب، ثمّ أُطلِقَت على كلّ امتحان واختبار يجري لمعرفة نسبة خلوص البشر.

التعاليم

١ ـ بعثة الأنبياء إلى الناس فيها نوع من الاختبار والامتحان لكي يُعرف من يؤمِن بالحقّ ممَّن يعاند في ذلك: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا... جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾، (لعلّ المراد من ترك قوم فرعون هو تركهم يستغلّون الناس لاختبارهم).

٢ ـ الاختبار الإلٰهيّ سنّة مستمرّة وحتميّة، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾.

٣ ـ عِبَر التاريخ تسلية للنبي ﷺ وتهديد للكفّار، ﴿قَبْلَهُمْ﴾.

٤ ـ لا بدَّ لمن يختاره الله ﷻ من أن يمتلك الأهليّة اللازمة قبل ذلك، ﴿كَرِيمٌ﴾.

٥ ـ من وظائف الأنبياء نجاة المؤمنين من يد الظالمين، ﴿أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾. (نعم، استخدام الطبقة المحرومة واستغلالها هو من أعظم المفاسد الاجتماعيّة التي يقع على رأس مهامّ الأنبياء مواجهتها).

٦ ـ أمر عباد الله لا بد من أن يكون بيد أولياء الله، ﴿أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

٧ ـ الناس عباد الله، فكيف يستعبدهم فرعون، ﴿أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ قيادة الأنبياء لأجل مصلحة البشر، ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

٩ ـ ينبغي على الإنسان في بعض الموارد أن يصرِّح بما يملك من كمالات، ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١٠ ـ سرّ النجاح في المجتمع نيل ثقة الناس وأن يكون محلّاً للاعتماد عندهم، ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١١ ـ الأمانة في تلقّي الوحي وإبلاغه للناس هو من الصفات الضروريّة في الأنبياء، ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١٢ ـ طلب النبيّ موسى عليه السلام من فرعون أن يترك بني إسرائيل هو من باب وظيفة النبوّة والرسالة؛ وليس لأجل حماية قومه وقبيلته، ﴿أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝١٩ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ۝٢١ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝٢٢﴾

التعاليم

١ ـ رفض دعوة الأنبياء والاستغلال الظالم للناس هو من الاستعلاء على الله ﷻ. (ولذا خاطب موسى قومه الذين كانوا يستغلّون الناس ظلماً بأن لا يستعلوا على الله ﷻ)، ﴿لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾.

٢ ـ عالم الوجود كلّه خاضع لله ﷻ: ﴿...كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[1]. والإنسان هو الذي ورد النهي عن علوّه على الله ﷻ، ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾.

٣ ـ لا بدَّ في التبليغ مضافاً إلى الكمالات المعنويّة، ﴿كَرِيمٌ... أَمِينٌ﴾، والتي تعرّض لها في الآية السابقة، من توافر المنطق والاستدلال أيضاً، ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، (من يمتلك المعجزة والبرهان الواضح هو الذي يتمكّن من مواجهة فرعون)، ﴿أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ... بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

٤ ـ إذا وُجِد العناد فإنّ روح الأنبياء وهيبتهم وهم أهل الكرم والأمانة وأهل المنطق والدليل تكون في خطر، ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾.

٥ ـ لا ينبغي للتهديد والاتّهام أن يكون مانعاً للإنسان من العمل، ﴿إِنِّي عُذْتُ... أَن تَرْجُمُونِ﴾. (المراد من الرجم إمّا الاتّهام أو الرجم بالحجارة).

٦ ـ المقابلة بالمثل تنفع في العمل التبليغيّ. (ففي مقابل دعوى فرعون: ﴿...أَنَا رَبُّكُمُ﴾ يكرّر موسى: ﴿...بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾).

٧ ـ ما لم يلجأ الإنسان إلى الله ﷻ ويستعذ به فإنّه لا يمكنه الوقوف في وجه الظلمة، ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾.

٨ ـ الإيمان بالنبيّ إيمان بالله ﷻ. (استخدم قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾، بدل قوله: «إن لم تؤمنوا بالله»).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٦.

٩ ـ قد يكون الابتعاد والعزلة أمراً مفيداً أحياناً، ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾، (من موارد النهي عن المنكر الإعراض عن فاعل المنكر).

١٠ ـ مع أنّ النبيّ موسى عليه السلام كان يمتلك المعجزة، ولكنّه لم يطلب الصراع مع منكري دعوته، بل سار ببرنامج يتطابق مع أهدافه من خلال المنطق لا الصراع، ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾.

١١ ـ بعد طيّ مراحل من الدعوة والهداية، يجوز إظهار الغضب، ﴿فَدَعَا...﴾.

١٢ ـ إذا كان الذنب والفساد راسخاً في الإنسان فلن يكون لدعوة الأنبياء أيّ أثر، ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات

- أسرِ من الإسراء بمعنى السير في الليل. و«رهواً» بمعنى الطريق المفتوح الواسع والآمن.
- النِّعمة بكسر النون هي التنعّم، وبفتح النون هي نفس النعمة[1].
- كلمة فاكهين من الفاكهة بمعنى مستمتعين بثمر الفاكهة، وقيل من الفكاهة وهي الحديث السارّ.
- نظراً إلى أن نهر النيل عظيم عبَّر القرآن الكريم عنه بالبحر.

التعاليم

١ ـ بعض الأدعية يُستجاب بسرعة، ﴿فَدَعَا... فَأَسْرِ﴾، (حرف الفاء علامة على السرعة).

(١) مفردات الراغب.

٢ ـ لا بدَّ من أن يقترن الدعاء بالسعي، ﴿فَدَعَا... فَأَسْرِ﴾.

٣ ـ ينبغي أن يُلاحظ الزمان في التخطيط لأنّ له أثراً، ﴿لَيْلًا﴾.

٤ ـ فرار بني إسرائيل ليلاً بقيادة النبيّ موسى عليه السلام كانت نوعاً من المواجهة الصامتة مع فرعون الذي لم يتحمَّل منهم ذلك ولذا أرسل جنده لتعقّبهم، ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾.

٥ ـ لا بدّ من الهجرة من بلاد الكفر إذا لم يتمكّن الإنسان من الوصول إلى أهدافه، ﴿فَأَسْرِ﴾.

٦ ـ يبثُّ الله عز وجل روح الطمأنينة في نفوس المؤمنين، ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾.

٧ ـ كلُّ طريق مفتوح لا يدلّ على اللطف الإلٰهيّ، فالله عز وجل أبقى طريق البحر مفتوحاً لكي يدخل فيه فرعون وجنده فيغرقون بذلك، ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ... إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾.

٨ ـ شاركَ أصحاب البساتين والبيوت والقصور في التعبئة التي قام بها فرعون ضدّ موسى عليه السلام، ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾.

٩ ـ الإمكانات الماديّة لا تشكِّل سبباً للنجاة أمام العذاب الإلٰهيّ، ﴿كَمْ تَرَكُوا۟...﴾.

١٠ ـ سنّة الله عز وجل إفناء وإهلاك القوم الظالمين واستبدالهم بقوم آخرين، ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾.

١١ ـ نِعَم الدنيا سريعة الزوال، ﴿كَمْ تَرَكُوا۟... وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾.

١٢ ـ الغرق في الحياة الدنيا يجعل الإنسان في صفّ المنكرين للحقّ، ﴿كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾.

١٣ ـ الثروة ليست سبباً للسعادة، بل لعلّها تكون أحياناً سبباً للهلاك، ﴿جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ... وَزُرُوعٍ... وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات

❑ ذكر بعض المفسّرين أنَّ عدم بكاء السماء والأرض ربما كان كنايةً عن

حقارتهم، وعدم وجود وليّ ولا نصير لهم ليحزن عليهم ويبكيهم، ولكن ظاهر هذه الآية أنّ نوعاً من الإحساس والشعور موجود في عالم الوجود عبَّر عنه القرآن الكريم بالبكاء.

التعاليم

١ ـ الأرض والسماء تمتلكان شعوراً وإدراكاً وإحساساً، ﴿فَمَا بَكَتۡ﴾.

٢ ـ إذا وجدت الإرادة الإلٰهيّة فإنّ التعاون يتحقَّق في عالم الوجود، ﴿ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾.

٣ ـ الإمهال من قِبَل الله ﷻ له شروط، فقد يصل الذنب درجةً لا يدع فرصةً للإمهال، ﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ۝٣٣﴾

إشارات

□ بلحاظ أنَّ الله ﷻ جعل أمَّة المسلمين خير أمّة: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ...﴾[1]، فالمراد من تفضيل بني إسرائيل على العالمين هو تفضيلهم على أهل زمانهم لاتّباعهم كتاب الله أو تفضيلهم في بعض الخصائص كشقّ البحر ونزول المنّ والسلوى.

التعاليم

١ ـ التحوّلات التاريخيّة جميعاً بيد الله ﷻ، ﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا﴾.

٢ ـ يبعث الله ﷻ الطمأنينة في نفس النبيّ ﷺ، وفي نفوس المؤمنين من خلال حديثه عن نجاة المؤمنين من الأمم السابقة، ﴿نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

٣ ـ العيش في حكومة الطاغوت عذاب ذلّة، ﴿نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

٤ ـ سرُّ هلاك الإنسان خلقه وعمله، ﴿كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

٥ ـ الفعل الإلٰهيّ يقوم على العلم، ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

٦ ـ العطاء الإلٰهيّ وسيلة للابتلاء، ﴿ءَاتَيْنَٰهُم...﴾.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

❑ اختلفت آراء المفسِّرين في بيان المراد من قوم تبّع ومن ذلك:

أ ـ إنّهم ملوك اليمن لأنّ الناس كانت تتَّبِعَهم فأطلق عليهم قوم تبّع.

ب ـ الملوك الذين كان يأتي أحدهم بعد الآخر (أي كانوا تابعين لبعضهم البعض).

ج ـ تبَّع اسم شخص كان حسناً ولكن أتبَاعه كانوا أهل سوء.

❑ تعرَّض القرآن الكريم لبعض الأسباب الموجبة للهلاك والوقوع في العذاب الإلٰهيّ من ذلك:

الفسق، والمكر، والتكذيب، والظلم، والاستكبار، والطغيان، والذنوب.

قال تعالى: ﴿...فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿...فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ...﴾[2].

❑ لا أثر للمعجزة على أهل العناد، فالذي ينكر وجود حياة بعد الموت، أو الذي يقول: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ هو من أهل العناد.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٥.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١١.

التعاليم

١ ـ لا مانع من سرد العقائد الباطلة والخرافات التي يؤمن بها الآخرون إذا لم يترتَّب على ذلك أثر سلبيّ، ﴿لَيَقُولُونَ﴾.

٢ ـ الإيمان بالمعاد هو حدّ الإيمان والكفر. (فالمشركون كانوا يؤمنون بأنَّ الله ﷻ هو خالقهم، ولكنَّهم كانوا ينكرون المعاد)، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾.

٣ ـ أمر المعجزة بيد الله ﷻ، لا بيد الناس، ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾.

٤ ـ التاريخ أفضل درس للاعتبار، ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾.

٥ ـ الذنب سبب للهلاك، ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ...﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات

□ اللعب هو كلُّ عملٍ لا هدف منه وغير مخطَّط له ولا ثمرة تترتّب عليه، كلعب الأطفال.

□ هاتان الآيتان بمنزلة المقدّمة للآيات التالية المتعلّقة بيوم القيامة، وكأنَّ الآيات تُشير إلى أنَّ القيامة لو لم تكن فإنَّ هذا يعني أنَّ الخلق يكون بلا غاية؛ لأنّ عالم الوجود كان لأجل الإنسان، ولو أنّ حياة البشر تُختتم بالموت ولا شيء بعد الموت فهذا يعني أنّ عالم الوجود كلّه باطل. ولذا قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

التعاليم

١ ـ خلْقُ عالم الوجود كان لغاية، إذا لا ينبغي أن نكون بلا هدف، ﴿وَمَا خَلَقْنَا... لَٰعِبِينَ﴾.

٢ ـ ليس الهدف من عالم الوجود سوى الحق، ولو أنّنا لم ندرك الهدف من الخلق فإنَّ هذا يرجع إلى قصورنا ومحدوديّة إدراكنا، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

٣ ـ لا ينتظر الحكيم حكم الآخرين على فعله، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٤ ـ العلم الحقيقيّ هو الإيمان بحقّانيّة وحكمة الفعل الإلٰهيّ، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ... لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

إشارات

- لأنَّ خلق العالم كان بحقّ، إذاً لا بدَّ من وجود يوم القيامة، فالله ﷻ الحكيم خلق الوجود بحقّ، فلن ينتهي هذا الوجود بالموت.
- كلمة مولى، تعني الصديق، والولي، والخادم، والعبد.

التعاليم

١ ـ يوم القيامة هو يوم الفصل بين الحقّ والباطل، وبين المحسن والمسيء، ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾.

٢ ـ لا يُستثنى أحد من الحضور في يوم القيامة، ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

٣ ـ في يوم القيامة تنقطع كلُّ صلة إلا الشفاعة، ﴿لَا يُغْنِى مَوْلًى... إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾.

٤ ـ لا وجود للعون على الإطلاق في يوم القيامة، ﴿شَيْـًٔا﴾.

٥ ـ لا عون في يوم القيامة لا من شخص لشخص ﴿مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾، ولا من جماعة لجماعة، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

٦ ـ على الرغم من كون الناس مجموعين كافّة في يوم القيامة، ولكن كلُّ واحدٍ منهم ونفسه، ﴿أَجْمَعِينَ... وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

٧ ـ الله ﷻ الذي بيده القدرة والرحمة هو العزيز بالنسبة للكفّار وهو الرحيم بالمؤمنين، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات

- الزقّوم نوعٌ من الطعام الكريه الرائحة في جهنم. ورد في الآية ٦٣ من سورة الصافات التالي: ﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ... إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾. فكما أنَّ الكافر والمجرم يخلد في جهنم فكذلك شجرة الزقوم بإرادة من الله ﷻ.
- الأثيم هو من كان غارقاً في الذنوب.
- المهل هو الفلز أو المعدن المذاب أو الملوّث.
- فاعتلوه أي اسحبوه كرهاً وبعنف.

التعاليم

١ ـ المعاد جسمانيّ. (فالطعام والشراب والماء المغليّ علامة كون المعاد جسمانياً)، ﴿طَعَامُ﴾.

٢ ـ الذنب سبب لنزول العذاب الإلٰهيّ، ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾.

٣ ـ عذاب القيامة جسمانيّ وروحانيّ. (فالعذاب الجسمانيّ في الماء المغلي والعذاب الروحيّ بالاستهزاء والاحتقار والإهانة، بأنّهم هم الذين كانوا في الدنيا لا يرون العزّة والكرامة إلّا لأنفسهم)، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.

٤ ـ يحترق أهل جهنّم بالنار من الدّاخل والخارج، ﴿يَغْلِي فِى ٱلْبُطُونِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات

- السندس هو الحرير الناعم، والاستبرق هو الحرير السميك.
- الحور جمع حوراء وهي المرأة التي تكون سوداء العينين وبيضاء الجسم وكلمة «عِين» من العيناء بمعنى صاحبة العيون الواسعة.
- الأمان هو أفضل النعم الإلٰهيّة؛ لأنَّ المقام الأمين ذُكِرَ قبل سائر النِّعم. نعم، الأمان في الجنّة أمان عام وشامل، فلا خوف من الموت ولا منافس، ولا حسد ولا زوال ولا انقراض.
- الطمأنينة في الجنّة هي بلحاظ أصل المقام ﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، وبلحاظ الطعام أيضاً: ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾، ففي الدنيا عندما يأكل الإنسان العديد من الفاكهة يُبتلى بالأمراض المتعدِّدة.

التعاليم

١ ـ التقوى هي سبب نيل نِعَم الجنّة، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ...﴾.

٢ ـ التقوى والخوف اليوم هما سبب الأمان غداً، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

٣ ـ إلى جانب الخوف لا بدّ من وجود الأمل والرجاء، ﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ... فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾.

٤ ـ نِعَم الجنّة متعدِّدة ومتنوِّعة، ﴿جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾.

٥ ـ التخلّي عن لبس الفاخر من الثياب والحرير في أيّام معدودة في هذه الدنيا موجبٌ لنيل النِّعم الأبديّة في الآخرة، ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾.

٦ ـ العري ليس فعلاً حسناً حتّى في الجنّة، ﴿يَلْبَسُونَ﴾.

٧ ـ التقابل في ظلّ التقوى أمر ممدوح. وما يكون سبباً في زيادة الفتنة هو تقابل من ليس من أهل التقوى، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ... مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

٨ ـ لأهل الجنّة مجالس أنس وصداقة، ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.
٩ ـ لا وجود في الجنّة للإعراض والإشاحة، ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.
١٠ ـ الواسطة في زواج الجنّة هو الله ﷻ، ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾

التعاليم

١ ـ الوقاية في الدنيا سبب للوقاية في الآخرة. فمن حفظ نفسه في هذه الدنيا بالتمسّك بالتقوى، سوف يحفظه الله ﷻ في الآخرة من نار جهنم، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾.
٢ ـ الجنّة خالدة، وأهل الجنّة في أمان من قلق الموت، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ...﴾.
٣ ـ ليس لأحدٍ على الله ﷻ من حقّ، بل كلّه من فضل الله، ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾.
٤ ـ كافّة نِعَم الجنّة هي في ظلّ اللطف الإلٰهيّ، ولولا الهداية وجهد النبيّ لما وجد المتّقون ولما وصلوا إلى الجنّة، ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾.
٥ ـ السعادة الحقيقيّة تكون في ظلّ التقوى والنجاة من جهنّم، ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

إشارات

□ من اهتمام الله ﷻ بنبيّه الكريم ﷺ أنّه ذكر بعض أعضاء جسمه في القرآن الكريم من ذلك:
أ ـ الوجه، في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾[1].

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

ب ـ العين، في قوله ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾[١].
ج ـ اللسان، في قوله ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ...﴾[٢].
د ـ الظهر، في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[٣].
هـ ـ اليد، في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً...﴾[٤].
و ـ العمر، (لعمرك) في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٥].
ز ـ العنق، في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ...﴾[٦].
ح ـ القلب، في قوله: ﴿...لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ...﴾[٧].
ط ـ الصدر، في قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٨].

❑ بدأت هذه السورة بتعظيم القرآن واختتمت بوصف القرآن بأنه ذكر.

التعاليم

١ ـ نعمة البيان هي من النِّعَم الإلٰهيّة، ﴿يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾.
٢ ـ الهدف من نزول القرآن تذكير الناس، ﴿يَسَّرْنَٰهُ... لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.
٣ ـ معارف القرآن مطابقة للفطرة. (الإنسان يدرك الحقائق في داخله، ولكن لأسباب ينسى ذلك، ولذا هو بحاجة إلى تذكير)، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.
٤ ـ لقد أتمَّ الله ﷻ الحجّة على الناس بإنزال هذا القرآن، فإن رفضتم ذلك فانتظروا عذاب الله، ﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾.
٥ ـ بثّ الطمأنينة في نفوس الأتباع، والتهديد للأعداء، ﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

---

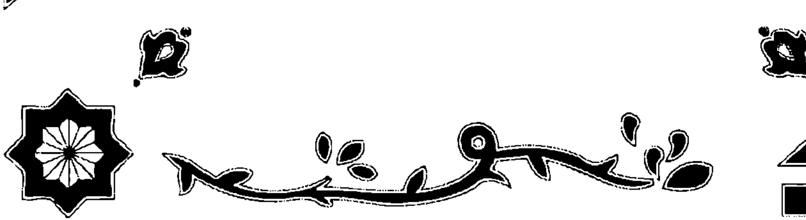
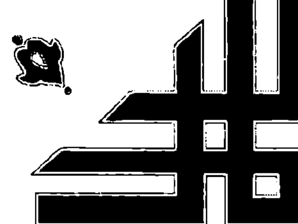
(١) سورة الحجر: الآية ٨٨.
(٢) سورة مريم: الآية ٩٧.
(٣) سورة الانشراح: الآية ٣.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٢٩.
(٥) سورة الحجر: الآية ٧٢.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٢٩.
(٧) سورة الفرقان: الآية ٣٢.
(٨) سورة النشرح: الآية ١.



سُورَةُ الجاثِيَةِ

السورة: ٤٥ الجزء: ٢٥

عدد الآيات: ٣٧

ملامح سورة الجاثية

سورة الجاثية مكية وعدد آياتها سبع وثلاثون.

اسم هذه السورة مأخوذ من الآية الثامنة والعشرين، والجاثي هو من يجلس على ركبه.

ورد في الآية الأولى وفي الآية الأخيرة من هذه السورة وصف الله ﷻ بأنّه عزيز حكيم.

أكثر مضامين هذه السورة ترتبط بعظمة القرآن، أدلّة التوحيد، الردّ على المادّيين، ذكر قصص بعض الأمم السابقة، إنذار الضّالين، الدعوة إلى العفو والصفح وإشارات إلى بعض مواقف القيامة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

إشارات

- الله ﷻ حكيم: ﴿...ٱلْحَكِيمِ﴾، وكتابه حكيم: ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1]، والنبيّ ﷺ معلّم الحكمة أيضاً: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[2].
- كتاب الله ﷻ أمام أعين جميع الناس، ولكن من يهتدي به هم المتّقون فحسب: ﴿...هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3]؛ ومن يهتدي بالتفكير في خلقه هم المؤمنون لا غير: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

التعاليم

١ ـ القرآن الكريم مؤلّف من هذه الحروف العربيّة التي هي تحت نظر الجميع، وقد أُنزل تدريجاً على النبيّ ﷺ، ﴿حمٓ، تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٢ ـ بعثة الرسول ﷺ وإنزال الكتاب من أعظم النعم الإلٰهيّة، ولذا ورد التعرّض لهما قبل التعرّض لنعمة خلق السموات والأرض، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٣ ـ لا بدَّ في أسلوب التبليغ من بيان مكانة القرآن أولاً، ثمَّ التعرُّض لِمَا جاء فيه من تذكير أو من أوامر، ﴿تَنزِيلُ... ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٤ ـ القرآن الكريم أصيل، ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ وهو مصون، ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾.

٥ ـ مبدأ نظام التكوين ونظام التشريع واحد، وبينهما كمال الانسجام، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ... إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٦ ـ يشجّع القرآن على اكتشاف الطبيعة بغرض معرفة الله ﷻ، ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) سورة يس: الآيتان ١ ـ ٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

(٣) السورة نفسها: الآية ٢.

٧ ـ في صفحات كتاب الطبيعة آيات للمؤمنين كما في القرآن الكريم، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾

إشارات

- تتعرَّض الآيات من الثالثة إلى الخامسة لبعض مظاهر الخلق، وفي ختام كلٍّ آيةٍ منها، تجعل المخاطب بها فئة من الناس؛ فتارةً أهل الإيمان، وأخرى أهل اليقين، وثالثة أهل التعقّل. ولعلَّ ذلك لأنَّ طريق الإيمان لا ينفصل عن طريق العقل، وهما معاً يوصلان الإنسان إلى اليقين.

نعم في خلق الإنسان والدواب أمور دقيقة وواسعة؛ والدقّة والتأمّل فيها من موجبات اليقين.

- تنظيم حركة الأرض وتتابع مجيء الليل والنهار هما مظهر من مظاهر صفتي القدرة والحكمة الإلٰهيّة. فلو عُدِمَت هذه الحركة أو كانت أسرع لتعطَّلت حياة الإنسان، ولذا لا تُعرف أهميّة النعمة ولا يُعرف قدرها إلّا إذا فقدها الإنسان.
- للريح والمطر، والليل والنهار دور مهم في حياة المخلوقات على هذه الأرض، ولذا تعرّض لهما في آية مستقلة.
- أنزل الله ﷻ الكتاب لإحياء القلوب وأنزل المطر لإحياء هذه الأرض.
- المراد من اختلاف الليل والنهار، مجيء أحدهما بعد الآخر، أو اختلاف ساعات الليل وساعات النهار حيث يكون أحدهما أطول من الآخر أحياناً والعكس أحياناً أُخرى.
- في الرياح نِعَمٌ ثلاث: جرّ السحاب، تلقيح النبات، وتنقية الهواء.
- كلَّما تعرَّض القرآن الكريم للحديث عن الليل والنهار، ذكر الليل قبل النهار، ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾.

التعاليم

١ ـ عالم الوجود كلّه كتاب لمعرفة الله ﷻ. فالسماوات، والإنسان والدواب توصلنا جميعها نحو هدفٍ واحد، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾.

٢ ـ من النِّعم الإلٰهيّة ما بثَّ في الأرض من دواب، ولولا ذلك لتعطّلت حياة الإنسان، ﴿يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾.

٣ ـ خلق السموات والأرض في جهة، وخلق كافَّة الدواب في جهة، وخلق الإنسان في جهةٍ، ﴿خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ﴾؛ (تعرَّض للإنسان قبل سائر الدواب وبشكل منفصل لبيان أهميّته).

٤ ـ التفكير في عالم الوجود طريق للوصول إلى اليقين، ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

٥ ـ السماء هي باب رزق الإنسان، ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾.

٦ ـ للأرض موت وحياة ففيها دائماً ظاهرة الخريف والربيع، ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

٧ ـ حركة الرياح ليست أمراً يحصل صدفة، بل طبقاً للتخطيط الإلٰهيّ، ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾.

٨ ـ كتاب الوجود مليء بالآيات، ومعرفتها تتوقَّف على التفكير والتدبّر فيها، ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

التعاليم

١ ـ وفَّر الله ﷻ أسباب المعرفة للإنسان لكي تتمّ الحجّة عليهم، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ القرآن الكريم أُنزلَ بهذه الألفاظ على النبي ﷺ، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾.

٣ ـ من يسعى لتربية الناس عليه أن يبدأ بتربية نفسه وبناء ذاته، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾.

٤ ـ الآيات الإلٰهيّة تقوم على أساس الحقّ، ولا طريق فيها للكلام الواهن، أو الخرافة، أو المبالغة والخيال، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾.

٥ ـ الاختيار الإنسانيّ هو الباعث على أن يسلك الإنسان طريقاً غير طريق الله ﷻ، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.

٦ ـ مجال العَجَب من انحراف الإنسان وذمّ ذلك مفتوح بعد هذه الآيات وبعد تلاوة الآيات بحقّ، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.

٧ ـ من يسمع آيات الله ﷻ ولا يهتدي بها، ليس ذلك منه بسبب غموض أو إبهام آيات الله بل لمرضٍ في نفسه، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ... فَبِأَيِّ حَدِيثٍ... يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾

إشارات

- أفّاك من الإفك وهو الشخص الكثير الكذب. الأثيم من الإثم وهو الشخص الكثير الذنوب.
- ويل كلمة للثبور بمعنى الهلاك. وقد تكرَّرت في القرآن الكريم ٢٧ مرة:

وقد استخدمت في موارد مختلفة ومواضع عدة من القرآن؛

فاستعملت في الخائنين للعلم، وهم الذين يَكتبون وهم لا يعلمون ويَنسبون ذلك إلى الله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ...﴾(١).

واستعملت في مورد الخيانة الماليّة وهم المطففون: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾(٢).

واستعملت في مورد الانحراف العقائديّ كالكافرين: ﴿...وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ...﴾(٣) والمشركين: ﴿...وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧٩.
(٢) سورة المطففين: الآية ١.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢.
(٤) سورة فصّلت: الآية ٦.

كما استعملت في مورد من يستهزئ ويفتري على أولياء الله ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾(١).

التعاليم

١ ـ لا بدّ من إيصال نداء الحقّ إلى مسامع الجميع حتّى الضّالين، ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ... تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾.

٢ ـ التبليغ أولاً ثمّ التهديد. فالقرآن الكريم يتوعّد بالهلاك الأبديّ من سَمِعَ آيات الله ﷻ أولاً، ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ... كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٣ ـ الأسوأ من تجاهل الحقّ، الإصرار عليه وروح الاستكبار، ﴿يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾.

٤ ـ علامة التكبّر عدم المبالاة بالكلام الحقّ، ﴿مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾.

٥ ـ جذور الاتّهام بالباطل والاستهزاء في كثيرٍ من الموارد ترجع إلى عدم المعرفة الكافية والوافية، ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾. نعم المعرفة العميقة والواسعة تمنع من الاستهزاء.

٦ ـ لأنّ في الاستهزاء إهانة، كانت عقوبة المستهزئين عذاب الذلّ، ﴿هُزُوًا... عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

إشارات

- وراء بمعنى الخلف، ويأتي أيضاً بمعنى الأمام. وفي هذه الآية الوراء هو بمعنى الأمام كما في الآية ٧٩ من سورة الكهف حيث قال تعالى: ﴿...وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، وهو قول الخضر للنبيّ موسى عليه السلام.

كما نقرأ في الآية ١٠٠ من سورة المؤمنون أنّ الموت متى جاء الإنسان

---

(١) سورة الهمزة: الآية ١.

العاصي والمذنب يَطلب الرجوع إلى هذه الدنيا ويأتيه الجواب بالسلب، ثمّ يقول: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾، فإنّ كلمة وراء هنا بمعنى أمام.

❑ تعرّضت هذه الآية والآيات السابقة لأنواع من العذاب:

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ و﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

التعاليم

١ ـ المشركون في يوم القيامة لا ناصر لهم ولا ملجأ، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾.

٢ ـ اعتماد المستكبرين على ما يملكون أو على أصحابهم لا ينفعهم في الآخرة شيئاً، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾.

٣ ـ ينبئ القرآن عن الذلّ الذي سوف يَلحق بالذين يستهزئون بآيات الله ﷻ ويهتكون حرمة هذه الآيات، ﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾؛ (فإنّ المراد من العذاب المهين الذي ورد إلى جانب جهنّم هو الذلّ الذي سوف يَلحق بهم في الدنيا).

٤ ـ لا تنفع أموال الدنيا ومتاعها في الآخرة، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾.

٥ ـ تذكّر الآخرة يُمكن أن يكون عاملاً أساساً في ترك التكبّر والإصرار على الذنب، ﴿أَثِيمٍ... يُصِرُّ... وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات

❑ الرجز هو الرجس أي إنّ الكفّار سوف يعذّبون بمواد ملوّثة ومنفّرة.

التعاليم

١ ـ القرآن كلّه هدى، من أوامر ونواهٍ وقصص وتشبيهات، ﴿هَٰذَا هُدًى﴾.

٢ ـ العذاب الإلٰهيّ لا يقع إلّا بعد إتمام الحجّة، ﴿هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.

﴿۞ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)﴾

التعاليم

١ ـ الفعل الإلٰهيّ لا يصدر إلّا عن حكمة ولهدفٍ ولغاية، ولِمَا فيه مصلحة الإنسان، ﴿سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ، لِتَبْتَغُوا، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٢ ـ المنافع الماديّة ينبغي أن تكون مقدّمة للارتباط بالله ﷻ، ﴿لِتَجْرِيَ... وَلِتَبْتَغُوا... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٣ ـ تسخير البحار وتأثير العوامل الطبيعيّة كلّه خاضع للإرادة الإلٰهيّة، ﴿بِأَمْرِهِ﴾.

٤ ـ السعي في تأمين مصدر العيش أمر ممدوح، ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾.

٥ ـ الفضل والرحمة وإن كانا من الله ﷻ، ولكن على الإنسان أن يسعى ويبذل جهده للوصول إليهما، ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾.

٦ ـ ليس للإنسان من حقٍّ على الله ﷻ بل كله من فضل الله، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾.

٧ ـ الالتفات إلى النعم الإلٰهيّة يُحيي روح الشكر في الإنسان، ﴿سَخَّرَ لَكُمُ... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٨ ـ سخّر الله ﷻ للإنسان المحيطات لعلّ الإنسان يكون من الشاكرين، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٩ ـ الإنسان حر ومختار، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. (كلمة لعلّ هنا لا تدل على الشك عند الله، بل تدلّ على أنّ الأمر تحت اختيار الإنسان فقد يكون شاكراً وقد يكون كفوراً).

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾

التعاليم

١ ـ كلُّ ما في هذا الكون مسخَّر لخدمة هذا الإنسان، ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

٢ ـ تسخير كلِّ ما في الكون لا ينبغي أن يبعث على الغرور؛ لأنَّ كلَّ ما لدينا هو من عنده، ﴿جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾.

٣ ـ تكاتف أجزاء الوجود باتِّجاهٍ واحد دليل وحدانيّة الخالق، ﴿جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾.

٤ ـ التفكير في النعم الإلٰهيَّة نوع من الشكر لله ﷻ، ﴿تَشۡكُرُونَ... لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

٥ ـ يحثُّ الله ﷻ الإنسان على التأمّل والتفكير، ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

٦ ـ في تسخير الكون للإنسان العديد من الآيات لمن كان من أهل التأمّل والتفكير، ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (لعلَّ العلاقة بين التفكّر والتسخير هو أنّ في الإنسان قدرة على جعل كلِّ ما في هذه الطبيعة من إمكانات تحت تصرفه، وهذه القدرة لدى الإنسان لا تظهر إلّا عندما يلجأ إلى التفكير).

٧ ـ لا بدّ من تحريك الأحاسيس وتحريك عمليّة التفكير، ﴿تَشۡكُرُونَ... يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾

إشارات

- ❑ المراد من أيّام الله هي الأيّام التاريخية التي شهدت تحوّلات كبرى من العذاب الإلٰهيّ للظالمين أو الرحمة الإلٰهيّة للمؤمنين.
- ❑ عانى المسلمون في مكّة من عداوة المشركين وأذاهم، وبدأوا يفكّرون في

مقابلة ذلك بالمثل، ولكنّ الله ﷻ أمر نبيّه بأن يوصي المسلمين بالصبر؛ لأنّهم لا يملكون القوة، وأنّ الله يكفل أمرهم.

التعاليم

١ ـ النبيّ ﷺ مأمور بأن يعلّم المسلمين أسلوب التعامل مع الكفار، ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾.

٢ ـ العفو والصفح من لوازم الإيمان، ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾.

٣ ـ الوصول إلى الأهداف الدينيَّة العليا يتوقَّف على الصبر والاحتراز عن العجلة، ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾.

٤ ـ الإيمان بأنّ العذاب الإلٰهيّ سينزل بالكفّار يدعو الإنسان إلى العفو والصبر، ﴿يَغْفِرُواْ... لِيَجْزِيَ قَوْمًا...﴾.

٥ ـ للعقيدة تأثيرها على العمل، وحيث لم يكن للكفّار من أمل بالقيامة اتّجهوا لارتكاب السيئات، ﴿لَا يَرْجُونَ... يَكْسِبُونَ﴾.

٦ ـ الإنسان مجازى بما عمل، ﴿لِيَجْزِيَ... بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

٧ ـ العذاب يكون على العمل السيّئ الذي صدر من الإنسان عن علم، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

٨ ـ الإصرار والاستمرار في خطّ الانحراف والضلال هو سبب العذاب، ﴿كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

إشارات

□ أشار القرآن وبعبارات مختلفة إلى المبدإ الذي يقول إنَّ نتيجة عمل الإنسان ترجع إليه:

ـ قال تعالى: ﴿...وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[١].

ـ وقال تعالى: ﴿...فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا...﴾[٢].

التعاليم

١ ـ نظام الثواب والعقاب الإلٰهيّ يقوم على أساس العدل وطبقاً لعمل الإنسان من خيرٍ أو شرّ، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا... وَمَنْ أَسَآءَ﴾.

٢ ـ الله ﷻ في غنىً عن العمل الصالح من الإنسان، ﴿عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾.

٣ ـ الناس سواسية أمام القانون الإلٰهيّ (فالإنسان مثاب ومعاقب طبقاً لعمله من كان العامل ومهما كان العمل)، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا... وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾.

٤ ـ الله ﷻ خَلَقَ الإنسان حرّاً مختاراً، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا... وَمَنْ أَسَآءَ﴾.

٥ ـ العدل الإلٰهيّ دليل على المعاد، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا... وَمَنْ أَسَآءَ... إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

٦ ـ المعاد أمل للصالحين وإنذار للفاسدين، ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

٧ ـ القيامة أمر جبريّ ولا تخضع لاختيار الإنسان، ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

٨ ـ الثواب والعقاب الإلٰهيّين من مقتضيات الربوبيّة، ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

إشارات

□ المستفاد من مجيء قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم﴾ بعد قوله: ﴿ءَاتَيْنَا﴾) أنّ الرزق الطيّب إنّما يكون له معنى إذا كان إلى جانب القانون الإلٰهيّ، والحكم الإلٰهيّ. وإلّا فإنّ الرزق الخارج عن القانون الإلٰهيّ لن يكون من الطيّبات.

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٢.
(٢) سورة الزمر: الآية ٤١.

□ لم يتمكّن بنو إسرائيل من حفظ النّعم الإلٰهيّة التي رزقهم إيّاها الله ﷻ، ولذا استبدلت العظمة والعزّة التي كانوا عليها بالمذلّة واللعنة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ...﴾[1].

التعاليم

١ ـ أفضليّة المجتمع ترتبط بتطوّره الفكريّ والاقتصادي المعتمد على القانون الإلٰهيّ، ﴿ءَاتَيۡنَا... ٱلۡكِتَٰبَ... وَرَزَقۡنَٰهُم... فَضَّلۡنَا﴾.

٢ ـ كلّ ما لدينا هو من عند الله ﷻ فلا ينبغي أن نُصاب بالغرور. ﴿ءَاتَيۡنَآ... وَرَزَقۡنَٰهُم... فَضَّلۡنَا﴾.

٣ ـ الأولويّة للنعم المعنويّة. فقد تعرّضت هذه الآية للكتاب والحكم والنبوّة قبل أن تتعرّض للرزق والمعاش، ﴿ءَاتَيۡنَآ... وَرَزَقۡنَٰهُم﴾.

٤ ـ الدولة الدينيّة تاريخها عميق، ﴿ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾.

٥ ـ الفكر المكتمل هو ما كان القانون فيه إلهياً، والحاكم فيه معصوماً، والقضاء فيه عدلا، ﴿ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧﴾

إشارات

□ استبان للناس حقانيّة النبيّ موسى عليه السلام من خلال المعجزات، كما استبان للناس حقانيّة نبي الإسلام ﷺ من خلال الأوصاف التي وردت في حقّه في التوارة والإنجيل، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾.

التعاليم

١ ـ أتمّ الله ﷻ الحجّة على الناس كافّة، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٨.

٢ ـ أعظم أنواع الكفر الاختلاف في الحقّ. فعلى الرغم ممّا آتاهم الله ﷻ من الفضل والغلبة على عدوّهم، ﴿ءَاتَيْنَا... وَرَزَقْنَٰهُم... فَضَّلْنَا﴾ ولكنّهم اختلفوا بدل أن يشكروا، ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾.

٣ ـ ذمّ القرآن الكريم للماضين عِبْرَة للآتين، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ... ٱخْتَلَفُوٓا۟... بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾.

٤ ـ العلم بمفرده لا يكفي للنجاة، فكم من الناس يملك العلم؛ ولكن يقع بينهم الاختلاف بسبب الحسد، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾.

٥ ـ الاختلاف بعد العلم بغيٌ وظلم، ﴿بَغْيًۢا﴾.

٦ ـ يوم القيامة هو يوم الفصل في ما كانوا فيه يختلفون، ﴿يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾

إشارات

□ الشريعة هي طريق الوصول إلى الماء، ويُطلق على ما كان إلى جانب الأنهار الكبيرة التي لا يمكن الوصول إلى الماء فيها بشكلٍ مباشر. وحيث كانت أحكام الدين طريقاً لوصول الإنسان إلى الحياة الحقيقيّة أطلق عليها اسم الشريعة.

التعاليم

١ ـ تعيين الشريعة التي هي طريق الدّين بيد الله ﷻ، ﴿جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾.

٢ ـ من كان مسؤولاً عن هداية الآخرين وإرشادهم، لا بدّ من أن يكون صاحب بصيرة واطّلاع تامّ على طريق ذلك، ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾، (أيّ إنّ النبيّ ﷺ مسلّط على طريق الشريعة).

٣ ـ رسالة نبيّ الإسلام ﷺ هي استمرار لرسالة النبيّ موسى ﷷ. (كان الحديث في الآيتين السابقتين عن النبوة والحكمة والكتاب السماوي لبني إسرائيل).

٤ ـ روح الأديان واحدة، وإن كان برنامجها العباديّ مختلفاً. (كلمة شريعة وردت

نكرة، وهذا يدل على وجود طرقٍ متعدِّدة، ولكن كلمة ﴿ٱلۡأَمۡرِ﴾ وردت معرَّفة أي إن كافّة الطرق ترجع إلى أمرٍ واحد).

٥ ـ حدوث الاختلاف والتحريف هو السبب في بعثة نبيّ جديد. (فالآية السابقة تحدّثت عن اختلاف بني إسرائيل، وهذه الآية تتحدّث عن بعثة نبيّ الإسلام ﷺ).

٦ ـ النبيّ كسائر الناس متَّبع لهذه الشريعة، ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا﴾.

٧ ـ إذا لم يكن الطريق طريق الله ﷻ فإنَّه سوف يكون طريق هوى الذّات وهوى الآخرين، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

٨ ـ لا بدّ للقائد من أن يكون صلباً وأن لا يخضع لضغوط العناصر الجاهلة والمقترحات الجاهليّة، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

٩ ـ أهواء الناس تبلغ من قوّة التأثير حدّاً يَجعل النبي في معرض الخطر أيضاً، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

١٠ ـ للعلم والجهل تأثيرهما على ميول الإنسان، ﴿أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

١١ ـ العلم يسوق الإنسان لاتّباع الشريعة الإلٰهيّة. كما أنّ اتّباع الغرائز والهوى علامة على الجهل والعمى، ﴿شَرِيعَةٖ... فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ... ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات

□ الله ﷻ بصير: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾[1]، والرسول على بصيرة: ﴿...أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ...﴾[2]، والقرآن كتاب بصيرة: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ﴾.

□ لعلّ معنى الآية بملاحظة الآية السابقة: أيّها النبي اتّبع الشريعة المنزَلة من عند

(١) سورة الاحزاب: الآية ٩. (٢) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

الله ﷻ ولا تتّبع أهواءهم؛ لأنّ أحداً من الناس ممّن يقدّم قوانين وأنظمة لن يُغني عن الشريعة والقانون والوحي الإلٰهيّ.

التعاليم

١ ـ اتِّباع الناس الجاهلين لن يمنع خطر أيِّ عذابٍ من عند الله ﷻ. (فالدَّافع لاتِّباع الناس وما يرغبون فيه هو السعي للتمتّع بحمايتهم عند مواجهة المصائب والمشاكل، والقرآن الكريم يرفع جذور هذا التفكير)، ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

٢ ـ السنخيّة بين الأفراد هي الوسيلة لجذب بعضهم إلى بعض، ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

٣ ـ اتِّباع رغبات الجاهلين هو بمنزلة الرضا بولايتهم والدخول في عِدَاد الظالمين، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ... وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

٤ ـ ابتعد عن هوى الناس ولا تستوحش من وحدتك في ذلك، ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٥ ـ التقوى هي سبب تلقّي المدد والعون الإلٰهيّ، ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٦ ـ من علامات التقوى الابتعاد عن هوى الناس، ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٧ ـ أهل التقوى بعيدون كلَّ البعد عن الظلم والظالمين، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٨ ـ لا بدّ من أن يكون التديّن على أساس البصيرة، ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ﴾.

٩ ـ القرآن الكريم وسيلة للبصيرة في جميع المجالات سواء منها الفكريّة، والأخلاقيّة، السياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة والأسريّة، وغيرها، (بصائر وردت بصيغة الجمع).

١٠ ـ لا يمكن التعرُّف إلى الكثير من المضامين إلا عن طريق الوحي ولا طريق للعقل والتجربة إليها، ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ﴾.

١١ ـ القرآن بصيرة للناس كافّة، ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾، وإن كان لا ينتفع من بصيرته إلّا أهل اليقين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

١٢ ـ القرآن كتاب جامع. (فهو بيان لطريق الحقّ، ﴿بَصَٰٓئِرُ﴾، ويسوق الإنسان إلى ذلك، ﴿...وَهُدًى﴾، كما أنّه باب رحمة لهذا الإنسان، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾).

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

إشارات

- الاجتراح من الجرح بمعنى الضرر الذي يصل إلى البدن. وحيث كان الذنب يجعل الروح جريحة، أُطلق على الذين يرتكبون السيئات والذنوب أنّهم اجترحوا السيئات.

- يعتمد القرآن الكريم كثيراً على أسلوب المقارنة ومن ذلك:

أ ـ المقارنة بين المؤمن والفاسق، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا...﴾[1].

ب ـ المقارنة بين العالم والجاهل، ﴿...هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾[2].

ج ـ المقارنة بين من آمن قبل الفتح وهاجر وبين من آمن بعد الفتح وأنفق من ماله، ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾[3].

وفي هذه الآية نلحظ المقارنة بين من عمل السيئات ومن عمل صالحاً، ﴿ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ... كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾.

المؤمن والكافر

في المقارنة بين المؤمن والكافر نجد أنّ المؤمن يطمئنّ لذكر الله ﷻ،

---

(١) سورة السجدة: الآية ١٨.

(٢) سورة الزمر: الآية ٩.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٠.

ويرضى بعطاء الله، ويأمل فضل الله، وطريقه واضح ويرى الموت انتقالاً من عالم إلى آخر، ولكن الكافر يدور في فلك الطاغوت، ومتّبع لهواه وهوى الآخرين مستقبله مظلم ويرى الموت فناء.

ولذا يعتمد القرآن الكريم على أسلوب المقارنة؛ لكي يكون الأمر بيّناً للناس، وليدرك الناس جميعاً ذلك على أيّ مستوى كانوا:

فالمؤمن يزداد إيماناً: ﴿...زَادَتْهُمْ إِيمَانًا...﴾[١]؛ ولكن الكافر يزداد كفراً: ﴿...ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا...﴾[٢].

الله ﷻ هو وليّ المؤمن: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، والكفّار أولياؤهم الطاغوت: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[٣].

الله ﷻ ينزّل الطمأنينة على قلوب المؤمنين: ﴿...أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]؛ وأمّا الكفّار فيُلقي في قلوبهم الرعب: ﴿...سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ...﴾[٥].

أهل الإيمان يتّبعون الحقّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ﴾؛ وأهل الكفر يتّبعون الباطل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْبَٰطِلَ﴾[٦].

مستقبل المؤمن المحبّة: ﴿...سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[٧]؛ ولكن مستقبل الكافر حقارة وذلّة: ﴿...تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ...﴾[٨].

الملائكة تسلّم على أهل الإيمان عندما يُسلِمُون الروح: ﴿...تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ...﴾[٩]؛ ولكن يواجه الكفّار تأنيب الملائكة: ﴿...تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ...﴾[١٠].

جهاد أهل الإيمان في سبيل الله ﷻ: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ وأمّا الكفار

(١) سورة الأنفال: الآية ٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.
(٤) سورة الفتح: الآية ٤.
(٥) سورة الأنفال: الآية ١٢.
(٦) سورة محمد: الآية ٣.
(٧) سورة مريم: الآية ٩٦.
(٨) سورة يونس: الآية ٢٧.
(٩) سورة النحل: الآية ٣٢
(١٠) السورة نفسها: الآية ٢٨.

فيقاتلون في سبيل الطاغوت: ﴿...يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ...﴾[١].

أجر المؤمن محفوظ: ﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾)[٢]؛ ولكن غير المؤمن عمله محبط: ﴿...حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ...﴾[٣].

يرى المؤمن أنَّ كلَّ ما عنده هو من عند الله ﷻ: ﴿...هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي...﴾[٤]؛ ولكنّ الكافر يرى كلّ ما عنده أنّه من عند نفسه: ﴿...إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ...﴾[٥].

عمل المؤمن باق: ﴿...فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[٦]؛ وأمّا عمل الكفّار ففي ضلال: ﴿...أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[٧].

المؤمن لا يخشى أحدا إلا الله ﷻ: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾[٨]؛ ولكن غير المؤمن يعيش الخوف من الناس: ﴿...يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ...﴾[٩].

الملائكة تنزل على أهل الإيمان: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[١٠]؛ ولكن غير المؤمن تنزل عليه الشياطين ﴿...تتنزل الشياطين)[١١].

أهل الإيمان يعيشون الأمل ﴿...وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾[١٢]؛ ولكن الكفّار يعيشون اليأس: ﴿...إذا هم يقنطون)[١٣].

وبكلمة موجزة، طريق الحق هو الأعلى: ﴿...وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾؛ وطريق الباطل هو السفلى: ﴿...كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ...﴾[١٤].

فهل يبقى بعد هذا العرض القرآني أيُّ موضعٍ للشك والتردّد؟

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٦.
(٢) سورة الكهف: الآية ٣٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٧.
(٤) سورة النمل: الآية ٤٠.
(٥) سورة القصص: الآية ٧٨.
(٦) سورة محمد: الآية ٤.
(٧) السورة نفسها: الآية ١.
(٨) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.
(٩) سورة النساء: الآية ٧٧.
(١٠) سورة فصلت: الآية ٣٠.
(١١) سورة الشعراء: الآية ٢٢١.
(١٢) سورة الإسراء: الآية ٩.
(١٣) سورة الروم: الآية ٣٦.
(١٤) سورة التوبة: الآية ٤٠.

نعم، لا شكّ في الدّين إطلاقاً: ﴿...لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾[1]؛ ولكن هؤلاء يوجدون الشكّ في نفوسهم: ﴿...فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[2].

التعاليم

١ ـ الله ﷻ عادل، ولا يتساوى لديه المحسن والمسيء، ﴿أَمْ حَسِبَ...﴾.

٢ ـ جذور الكثير من الانحرافات ترجع إلى الظنون التي يعيشها الناس، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ...﴾.

٣ ـ الذنب خطر؛ ولكنه أكثر خطراً لمن كان يطلب الذنب ويسعى إليه، ﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾؛ (كلمة اجتراح تتضمن معنى الطلب).

٤ ـ يميل أهل المعاصي في فطرتهم إلى أن يكونوا من المحسنين، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ...﴾.

٥ ـ الإيمان والعمل الصالح وكذلك الذنب لهما تأثيرهما في حياة الإنسان ومماته، ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.

٦ ـ الحكم على أساس الخيال والظنّ مذموم، ﴿أَمْ حَسِبَ... سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات

- هذه الآية هي بمنزلة الدليل على الآية السابقة؛ ففي الآية السابقة ورد أنّ المسيئين يظنّون أنّه سوف يتمّ التعامل معهم كالمحسنين. مع أنّ هذا خيال باطل، ثمّ تقول هذه الآية: ألا يعلم هؤلاء بأنّ خلق السموات والأرض مبنيٌّ على الحقّ، وفي النظام الحقّ لا يمكن معاملة المحسن كالمسيء.

نعم، لازم الخلقة إن كانت حقًّا أن تكون المجازاة عدلاً.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢.
(٢) سورة التوبة: الآية ٤٥.

□ الحقّ يُطلق على الشيء الذي يُبنى على أساس الحكمة والمنطق. فالخلق على أساس الحقّ يعني أن يكون لأجل غاية وهدف.

□ دليل المعاد هو الحكمة والعدل الإلٰهيّ، وقد أشارت هذه الآية إلى كلا الدليلين.

أمّا الحكمة: فلأنّ الموت لو كان عدماً ونهايةً لهذا الإنسان، فإنّ الخلق سوف يكون عبثاً ودون غاية، مع أنّ الخلق كان على أساس الحكمة ولغاية، فهل يمكن لصانع الفخار أن يقوم بتحطيم ما صنعه بعد انتهائه منه، وهل يمكن أن يكون الموت هو النهاية؟

أمّا العدالة: فهي عقوبة كلّ شخص يستحقّ ذلك دون أن يُظلم. ولو لم يعاقب أو عوقب بالأكثر مما يستحقّه لكان ظلماً.

التعاليم

١ ـ نظام الوجود قام على أساس الحقّ؛ ولذا سوف يكون التعامل مع الإنسان على أساس الحقّ أيضاً، ﴿خَلَقَ... بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ﴾.

٢ ـ القيامة والعقاب والثواب العادل هو لازم خلق هذا العالم. (حرف الواو في قوله: ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ دليل على أنّ الخلق كان لغايةٍ وإحدى هذه الغايات هو الثواب والعقاب).

٣ ـ نظام الدنيا والآخرة يقوم على أساس الحقّ، ﴿خَلَقَ... بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ... وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

٤ ـ الجزاء يقوم على أساس العمل لا الأمل والتمني، ﴿وَلِتُجْزَىٰ... بِمَا كَسَبَتْ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات

□ أورد القرآن الكريم صفة «الختم» في حقّ طائفتين من الناس: إحداهما الكفّار،

حيث قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾[١]، والأخرى من عبد هواه: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾

❑ المراد من عبادة الهوى عدم معرفة التكليف واتّباع الغريزة.

❑ عبادة الهوى تعطّل أجهزة المعرفة عند الإنسان، فلا العين تبقى تعرف الحقيقة، ولا الأذن تسمعها، ولا القلب يدركها.

❑ من أسباب عبادة الهوى الميل إلى المادّيّات، كما ورد في آية أخرى: ﴿...أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ...﴾[٢].

❑ عبادة الهوى أساس المحنة: «الهوى أساس المحن»[٣]. و«إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع»[٤].

❑ عبادة الهوى تمنع من العدل: ﴿...فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟...﴾[٥].

وهي سبب للانحراف عن سبيل الله ﷻ: ﴿...وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾[٦].

وهي سبب سقوط الإنسان: ﴿...وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾[٧].

وفي هذه الآية نقرأ كيف أنّ عبادة الهوى تكون سبباً للختم على القلب، ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾.

التعاليم

١ ـ عبادة الهوى نوع من الشرك، وعابد الهوى يستحق الذم، ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

٢ ـ على الرغم من أنّ الهوى أمر باطني؛ ولكنّ أثر عبادة الهوى تظهر في أعمال الإنسان، ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.
(٣) غرر الحكم.
(٤) الكافي، ج ١، ص ٥٤.
(٥) سورة النساء: الآية ١٣٥.
(٦) سورة ص: الآية ٢٦.
(٧) سورة طه: الآية ١٦.

٣ ـ الإنسان موجود عابد بذاته؛ ولكنه ينحرف في اختياره لمعبوده فبدل عبادته لله ﷻ يعبد هواه، ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

٤ ـ عقوبة من ترك الله ﷻ ومال إلى هواه أن يضلّه الله، ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾.

٥ ـ إذا كان الهوى هو الحاكم، فإنّ العلم لا ينفع الإنسان. فعبادة الهوى توجب الانحراف حتى عند العلماء، ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

٦ ـ عبادة الهوى سبب لسدّ أبواب الهداية في وجه الإنسان، ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ... فَمَن يَهْدِيهِ﴾.

٨ ـ عدا هدى الله، فإنَّ كلَّ طريقٍ يؤدّي إلى الضلالة، ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات

□ الدهر هو عمر الدنيا، وكانت عقيدة المادّيين أنّ مضي العمر هو سبب الموت وهلاك الإنسان[1].

التعاليم

١ ـ عبادة الهوى تجعل الإنسان أعمى العين والقلب الأمر الذي يؤدّي إلى إنكاره القيامة، فيرى أنّ الحياة تنحصر في الحياة الدنيويّة القصيرة، ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ... حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾.

٢ ـ ليس لمنكري المعاد من علم أو حجّة في إنكارهم هذا، ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾.

٣ ـ ليس للظنِّ والتخمين من قيمة في المسائل الاعتقاديّة، بل لا بدّ للعقائد من أن تُبنى على أساس العلم، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

---

(١) مفردات الراغب.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات

□ لنظام الخلقة هدف وغاية، وهو يسير ضمن نظام وقانون جعله الله الحكيم، ونفي ذلك دليل الجهل وعدم العلم.

التعاليم

١ ـ آيات القرآن واضحة وبيّنة، ﴿ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾.

٢ ـ يلجأ الكفّار إلى طلب إحضار الآباء والأجداد، بدل التأمّل في آيات الله ﷻ، ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا... ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾.

٣ ـ متى استحضرت كلام المنكرين، فاستحضر الردّ عليهم معه، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ... قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾.

٤ ـ آيات القدرة والحكمة والعدالة واضحة وبيّنة بنحو لا يبقى بعد ذلك من داعٍ للشكّ في القيامة، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

٥ ـ حياة الإنسان الأولى دليل إمكان القيامة، ﴿يُحْيِيكُمْ... ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾.

٦ ـ طلب إحياء الآباء في هذه الدنيا يقوم على أساس الجهل وعدم العلم، ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٧ ـ يقوم الشك في المعاد على أساس جهل الإنسان، ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

التعاليم

١ ـ الإحياء والإماتة أمر سهل على الله ﷻ؛ لأنّ عالم الوجود تحت يده، ﴿يُحْيِيكُمْ... يُمِيتُكُمْ... وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

٢ ـ الخسران الدنيويّ ليس بشيء، بل الخسران في الآخرة هو الخسران المبين، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

٣ ـ أولئك الذين أنكروا القيامة، سوف يكونون من الخاسرين في يوم القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات

□ الجثو هو بمعنى الجلوس على الركب، وذلك عند الخوف والوحشة أو التواضع والتسليم.

□ ذكر القرآن الكريم أن للإنسان ثلاثة أنواع من الكتب في يوم القيامة[١].

أ ـ لكلِّ إنسان كتاب يُدرَج فيه ما عمله في هذه الدنيا: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[٢]. ويُخاطب هذا الإنسان فيؤمر بأن: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ...﴾[٣].

ب ـ لكلِّ أمّةٍ أيضاً كتاب تُدرج فيه أعمال المجتمع، قال تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾.

ج ـ ثمّة كتاب لكافّة الأمم وفيه كلُّ شيء وعمل كلِّ إنسان: ﴿...وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ...﴾[٤].

التعاليم

١ ـ من أهوال يوم القيامة أنّك ترى الناس جميعاً جاثين، ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾.

٢ ـ المعاد جسمانيّ، ﴿جَاثِيَةً﴾.

٣ ـ في نظام الوجود حساب وكتاب وضبط وتسجيل للأعمال، وفي القيامة يكون

---

(١) تفسير الميزان، ج ١٣، ص ٣٤٨.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٣.
(٣) السورة نفسها: الآية ١٤.
(٤) سورة الكهف: الآية ٤٩.

الحكم طبقاً للعمل وعلى أساس شهادة الشهود، ﴿تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾.

٤ ـ جزاء كلِّ إنسان في يوم القيامة مطابقٌ لعمله في هذه الدنيا، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات

□ ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا ذكر العبد ربه في قلبه، كتب الله له ذلك في صحيفة، ثم يعارض الملائكة يوم الخميس، فيريهم الله ذكر عبده له بقلبه، فيقول الملائكة: ربنا عمل هذا العبد قد أحصيناه، أمّا هذا العمل فما نعرفه، فيقول الرب: إن عبدي قد ذكرني بقلبه فأثبته في صحيفته، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]».

ونقرأ في دعاء كميل قوله عليه السلام: والشاهد لما خفي عنهم.

التعاليم

١ ـ ليس في القيامة من شيء مخفيّ، بل الكلّ حاضر، ﴿هَٰذَا﴾.

٢ ـ كلُّ شيءٍ في القيامة مكتوب ومدون، ﴿كِتَٰبُنَا﴾.

٣ ـ صحيفة أعمال الإنسان تمتاز بالدقّة والمطابقة للواقع ولا تحتاج إلى شرح ولا إلى تفسير، ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾.

٤ ـ دليل كون صحيفة الأعمال حقًّا وتمتاز بالدقّة هو أن المثبت لها هو الله عز وجل، ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾.

٥ ـ الإيمان بأنّ أعمال الإنسان تدوّن بشكل دقيق رادع للإنسان عن فعل المعاصي، ﴿كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾.

(١) تفسير البرهان.

٦ ـ عمل الإنسان يدوّن كما وقع، لا على أساس القرائن والشواهد والآثار، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

إشارات

- الفوز هو النصر والوصول إلى الخير سالماً وتحقيق الأماني والآمال. وقد وردت كلمة فوز في القرآن الكريم مردَفةً بكلمات مثل: (مبين)، (عظيم) و(كبير).
- ورد في هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾، ولم يقل: «يدخلون الجنّة»، وذلك يعني أنّ أهل الإيمان والعمل هم في ظلّ الرحمة الإلٰهيّة الخاصّة.
- إلى جانب الإيمان يكون العمل الصالح وأمّا إلى جانب الكفر فلا عمل صالح.
- إذا وردت كلمات الجمع مع الألف واللام فهي تعني في اللغة العربيّة تمام الأفراد. كما في كلمة مساجد، فإنّها لو وردت مع الألف واللام فهي تعني كافّة المساجد. وعندما ورد في القرآن الكريم بعد ذكر صفة الإيمان التعرّض للعمل الصالح ورد بالجمع المعرف بالألف واللام أي إنّ كلَّ عمل المؤمن لا بدّ من أن يكون صالحاً.

التعاليم

١ ـ استقامة الإنسان تتحقّق عندما يقترن إيمانه بالعمل الصالح، وعمله الصالح يكون عاماً وشاملاً، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٢ ـ من غير الممكن تلقّي الرحمة الإلٰهيّة بدون إيمان وعمل صالح، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟... فِى رَحْمَتِهِۦ﴾.

٣ ـ الثواب والعقاب من شؤون الربوبيّة، ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾.

٤ ـ الجنّة ونِعَمُها مظهر من مظاهر الرحمة الإلٰهيّة، ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾.

٥ ـ أهل الاستقامة عاقبتهم الفوز، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ﴾.

٦ ـ الإنسان يطلب الاستقامة بطبعه، والقرآن الكريم هو الذي يبيّن للإنسان طريق الاستقامة الحقيقيّ، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾.

٧ ـ جذور الكفر في التكبّر، ﴿كَفَرُوٓاْ... ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾.

٨ ـ الاستكبار الفوريّ علامة على العناد، ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾.

٩ ـ جذور الذنب والمعصية في الكفر والتكبّر، ﴿كَفَرُوٓاْ... ٱسْتَكْبَرْتُمْ... مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

إشارات

- علامة الكافر التشكيك وعلامة المؤمن السؤال، والبحث والوصول إلى اليقين.
- قد يكون أحياناً لخلافٍ بسيط ضرر كبير. فلو أنّ شخصاً أطفأ الضوء في غرفةٍ فإنّ ظاهره أنّه لم يقم بأيّ عملٍ فيه معصية أو إثم، ولكن هذا العمل يكون من السيئات متى أوجب وحشة أو خوف من كان في تلك الغرفة، أو لو أضاع من كان في الغرفة ثوبه وحذاؤه، أو أدّى إلى اصطدام الناس بعضهم ببعض، أو اصطدام الناس بالأعمدة التي في الغرفة. أو لو حدثت بعض السرقات أو المنكرات، فإنّ هذه كافّة هي من آثار سوء العمل، ولذا في القيامة تظهر كلّ هذه الآثار السيئة للعمل.
- المراد من نسيان الله ﷻ لهم أنّ الله ﷻ يتعامل مع هؤلاء الذين نسوا الله ﷻ

معاملة من ليس بموجود، فيتركهم وأنفسهم، وإلّا فالله عَجَّلَ لا ينسى أحداً: ﴿...وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[1].

التعاليم

١ ـ القيامة يوم ظهور كلّ ما كان خفيًّا، ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾.

٢ ـ تظهر في القيامة مضافاً إلى نفس الأعمال التي قام بها الإنسان، آثار تلك الأعمال والمفاسد التي ترتّبت عليها، ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾.

٣ ـ العقاب الإلٰهيّ يتناسب مع سلوك الإنسان. فنفس ما كانوا يستهزئون به سوف يُحيق بهم، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

٤ ـ الاستهزاء هو أسلوب المستكبرين، ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ... كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

٥ ـ كلّ من نسي المعاد، يُنسى في يوم المعاد، ﴿نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ﴾.

٦ ـ لا يكفي الإيمان بالمعاد؛ بل لا بدّ من ذكر المعاد، ﴿نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات

❑ الاستعتاب بمعنى طلب ما يرفع الغم والمؤاخذة، كالاعتذار.

❑ تعرّضت الآيات السابقة لبعض مواقف محكمة العدل في يوم القيامة:

١ ـ يجمع فيها كلّ الناس: ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾.

٢ ـ تظهر خسارة المبطلين: ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾.

٣ ـ لكلّ أمّةٍ كتاب تُدعى إليه: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾.

---

(١) سورة مريم: الآية ٦٤.

٤ ـ الكتاب ينطق عليهم: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾.

٥ ـ ينقسم الناس إلى صنفين من تناله الرحمة ومن يناله العذاب.

٦ ـ يلقّن أهل جهنّم أسباب نيلهم للعذاب: ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ... ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

٧ ـ العقاب يتناسب والذنب: ﴿نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾.

٨ ـ تحيط آثار المعاصي بالعصاة ولا تدع لهم سبيلاً للخروج والاعتذار.

❑ أهم سبب للخسران الاغترار بالدنيا والاستهزاء والتشكيك.

التعاليم

١ ـ ينبغي إعلام المعاقَب بسبب عقابه، ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ...﴾.

٢ ـ الاغترار بهذه الدنيا والفرح والتعلّق بها يدفع الإنسان للاستهزاء بالحقائق، ﴿ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾.

٣ ـ لا تذمّ الدنيا، بل ذُمَّ الاغترار بها، ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾.

٤ ـ من يستهزئ بدين السماء لا طريق له للنجاة ولا للاعتذار ولا يقبل له عذر، ﴿لَا يُخْرَجُونَ... وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات

❑ في بداية هذه السورة كان الحديث عن نزول القرآن، والنِّعم، والله ﷻ العزيز الحكيم. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، وفي ختام هذه السورة الحديث عن عقاب المستهزئين، وورد أيضاً وصف الله ﷻ بالعزيز الحكيم. ولعلّ ذلك للإشارة إلى أنّ النِّعم، العقوبات، الرحمة والعذاب كلها تقوم على أساس القدرة والحكمة الإلٰهيّة.

التعاليم:

١ ـ الله ﷻ وحده هو الذي يستحقّ الحمد والثناء، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾.

٢ ـ ربّ السماوات والأرض وكافّة الوجود هو الله الواحد، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ... وَرَبِّ... رَبِّ﴾.

٣ ـ السموات والأرض وكلّ شيء في الوجود تحت التدبير الإلٰهيّ، ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

٤ ـ العزّة والقدرة الإلٰهيّة مقارنة للحكمة، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

«والحمد لله ربّ العالمين»

الفهرس

سورة الصافات ٥ ـ ٥٨

سورة ص .... ٥٩ ـ ١١٠

سورة الزمر .... ١١١ ـ ١٧٢

سورة غافر .... ١٧٣ ـ ٢٦٢

سورة فصلت .... ٢٦٣ ـ ٣١٢

سورة الشورى .... ٣١٣ ـ ٣٦٧

سورة الزخرف .... ٣٦٩ ـ ٤١٢

سورة الدخان .... ٤١٣ ـ ٤٣٤

سورة الجاثية .... ٤٣٥ ـ ٤٦٦